goodreads CHOICE AWARDS

مكتبة

فريدا ماكفادن

FREIDA McFADDEN

ترجمة: زينة إدريس

للمنزل المثاليّ قانون واحد:

لا تنظر خلف الأبواب المغلقة

سرّ الخادمة

THE HOUSEMAID'S SECRET

رواية

ترجمت إلى 40 لغة وستتحول إلى فيلم سينمائي

شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
Arab Scientific Publishers

مبادرة ترجم

T3123

سرّ الخادمة

THE HOUSEMAID'S SECRET

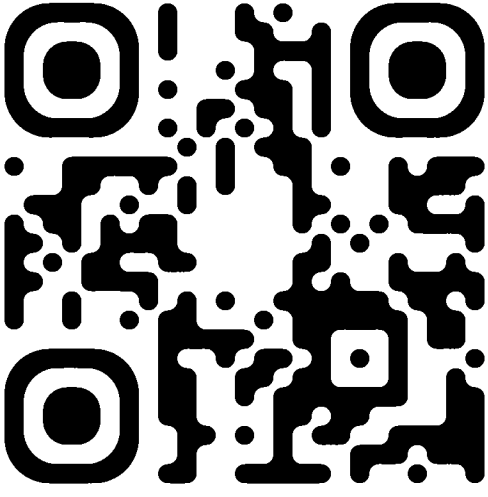

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

ⓒ الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر، 1447هـ

ماكفادن، فريدا

سر الخادمة. /فريدا ماكفادن؛ إدريس، زينة – ط1. الرياض، 1447هـ

256 ص؛ 17 × 24 سم

رقم الإيداع: 1447/2218

ردمك: 978-603-93819-5-2

T3123

مكتبة
t.me/soramnqraa

فريدا ماكفادن

FREIDA McFADDEN

سرّ الخادمة

THE HOUSEMAID'S SECRET

رواية

مكتبة
t.me/soramnqraa

ترجمة

زينة إدريس

مراجعة وتحرير

مركز التّعريب والبرمجة

شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
Arab Scientific Publishers

يتضمّن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزيّ
THE HOUSEMAID'S SECRET
حقوق التّرجمة العربيّة مرخّص بها قانونيًّا من الناشر
Bookouture, An imprint of Storyfire Ltd, Carmelite House, 50 Victoria Embankment, London EC4Y 0DZ
بمقتضى الاتّفاق الخطّيّ الموقّع بينه وبين الدّار العربيّة للعلوم ناشرون للنّشر – الرّياض
Copyright © 2023 by Freida McFadden
Freida McFadden has asserted her right to be identified as the author of this work.
All rights reserved.
Arabic Copyright © 2025 by Arab Scientific Publishers Inc., Riyadh, Saudi Arabia

الطّبعة الأولى: آب/أغسطس 2025م – 1447هـ

مكتبة
t.me/soramnqraa

جميع الحقوق محفوظة

شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
Arab Scientific Publishers
السجل التجاري 1010921463
www.asp.sa

مقدّمة

مكتبة
t.me/soramnqraa

أنا هالكة الليلة لا محالة.

ومض البرق من حولي، وأضاء غرفة المعيشة في الكوخ الصغير الذي أمضي فيه الليل، والذي ستنتهي فيه حياتي قريبًا بشكل مفاجئ. لمحتُ ألواح الأرضية الخشبية في الأسفل، ولجزء من الثانية، تخيّلت جسدي ممدّدًا على تلك الألواح، في بركة حمراء غير منتظمة الأطراف، تتسرّب إلى داخل الخشب. حملقتُ بعينيّ إلى المجهول. كان فمي مفتوحًا قليلًا، وقطرة دم تسيل على ذقني.

لا، لا.

ليس الليلة.

بمجرّد أن أظلم الكوخ مجدّدًا، رحت أتلمّس طريقي بشكل أعمى، مبتعدة عن الأريكة المريحة. كانت العاصفة عنيفة في الخارج، ولكن ليس إلى حدّ انقطاع الكهرباء. لا، لا بدّ أنّ شخصًا آخر هو المسؤول عن ذلك؛ شخصًا قتل نفسًا الليلة، ويتوقّع أن أكون الضحيّة التالية.

بدأ كلّ شيء بوظيفة تدبير منزليّ بسيطة. والآن، قد ينتهي الأمر بمسح دمائي المسفوكة عن أرض الكوخ.

انتظرتُ وميض برق آخر ليُنيرَ لي الطريق، ثمّ توجّهت بحذر إلى المطبخ. ما من خطّة في ذهني، لكنّ المطبخ يحتوي على أسلحة محتملة. فثمّة مجموعة كاملة من السكاكين هناك، وحتّى الشوكة قد تكون مفيدة. فبيدَيْنِ خاليَتَيْنِ، أنا فريسة سهلة؛ أمّا إذا تسلّحتُ بسكّين، فلعلّ فرص نجاتي تكون أفضل بقليل.

كانت إضاءة المطبخ أفضل من بقيّة الكوخ بفضل نوافذه الكبيرة. فتوسّعت حدقتاي، في محاولة للرؤية قدر الإمكان... ثمّ مشيت متعثّرة حتّى وصلتُ إلى الطاولة الرخامية. لكن بعد ثلاث خطوات على الأرضية المكسوّة بالمشمّع، انزلقت قدماي، فسقطتُ بقوّة على الأرض، وصدمتُ مرفقي بشدّة بحيث دمعت عيناي.

في الواقع – ولأكون منصفة – كانت عيناي دامعتين أساسًا.

بينما كنت أحاول الوقوف على قدميّ مجدّدًا، أدركت أنّ أرضية المطبخ مبلّلة. ومض البرق مرّة أخرى، فنظرتُ إلى راحتَيّ، ووجدتهما مصبوغتين باللون القرمزي. هذا يعني أنّني لم أنزلق على بقعة ماء أو بعض الحليب المسكوب، بل انزلقتُ على دماءٍ.

جلست هناك قليلًا، أتفحّص جسدي. لم أكن أعاني من أيّ ألم، وما زلت سليمة. إذًا، فالدماء ليست دمائي.

ليس بعد، على أيّ حال.

انهضي، هيّا انهضي، إنّها فرصتك الوحيدة.

هذه المرّة نجحت في النهوض. فوصلتُ إلى طاولة المطبخ، وتنفّست الصعداء عندما لامسَت أصابعي السطح الصلب البارد. بحثتُ عن مجموعة السكاكين، ولكنّني لم أستطِع العثور عليها. أين تُراها تكون؟

عندئذٍ، سمعت وقع خطوات تقترب. من الصعب الحُكم، لا سيّما وأنّ كلّ شيء مظلم للغاية، لكنّني متأكّدة تمامًا أنّ شخصًا ما أصبح معي في المطبخ. فجأة، انتصبت الشعيرات على عنقي عندما التقت نظراتي بنظرات عينَين أُخريَين.

لم أَعُد هنا بمفردي.

عندئذٍ، غاص قلبي ذعرًا. لقد اتّخذتُ قرارًا خاطئًا جدًّا، وأسأتُ تقدير شخص في غاية الخطورة.

والآن، سأدفع الثمن.

الجزء الأوّل

الفصل الأوّل

ميلي

قبل ثلاثة أشهر

بعد ساعة من حفّ الأسطح، أصبح مطبخ آمبر ديغرو نظيفًا تمامًا.

على حدّ علمي، تطلب آمبر جميع وجباتها تقريبًا من المطاعم المجاورة. لذا، لا أعتقد أنّ الجهد الذي بذلتُه كان ضروريًّا حقًّا. فأنا متأكّدة أنّها لا تجيد حتّى إشعال فرنها الفاخر. في الواقع، تملك آمبر مطبخًا فسيحًا وجميلًا، مُزوَّدًا بأحدث الأجهزة، لكنّني واثقة من أنّها لم تستخدمها قطّ. فبالإضافة إلى طنجرة الضغط، وجهاز طهي الأرزّ، والمقلاة الهوائية، لديها أيضًا جهاز يدعى مجفّف طعام. وأستغرب أن تملك امرأة مجفّفًا في مطبخها، في حين أنّ حمّامها يحتوي على ثمانية أنواع مختلفة من المرطّبات. ولكنْ من أكون أنا لأعطي رأيي؟

حسنًا، أنا أعطي رأيي أحيانًا.

غير أنّني قمت مع ذلك بتنظيف كلّ هذه الأجهزة غير المستخدمة بعناية، كما نظّفت البرّاد، ووضعت عشرات الأطباق في الجلّاية، ومسحتُ الأرضيّة حتّى أصبحت لامعة كالمرآة. والآن، لم يعد عليّ سوى وضع آخر مجموعة من الملابس في الغسّالة، لتصبح شقّة ديغرو – التي تحتلّ سطح المبنى – نظيفة تمامًا.

"ميلي!" علا صوت آمبر اللاهث في المطبخ، بينما كنتُ أمسح العرق عن جبهتي بظاهر يدي. "ميلي، أين أنت؟"

صرختُ مجيبة: "أنا هنا!" علمًا أنّ مكان وجودي معروف. فالمنزل الذي كان مؤلّفًا من شقّتين متجاورتين دُمجتا في شقّة واحدة كبير بالفعل، ولكن ليس إلى حدّ التّساؤل عن مكان وجودي؛ فإن لم أكن في غرفة المعيشة، فسأكون حتمًا في المطبخ.

دخلت آمبر المطبخ، بمظهرها الأنيق المعتاد، مرتدية أحد أثوابها الفاخرة العديدة جدًّا. كان هذا الثوب بزركشة الحمار الوحشي، ذا ياقة على شكل الحرف V وكمَّين ينتهيان عند

معصميها النحيلين. انتعلت حذاءً يتلاءم مع الفستان، ومع أنّها بدت جميلة على نحو صارخ كعادتها، إلّا أنّني لم أكن متأكّدة تمامًا ما إذا كان يجدر بي مجاملتها على زيّها أو مطاردتها في رحلة سفاري.

قالت بنبرة اتّهام، كما لو أنّني لست تمامًا حيث يفترض بي أن أكون: "أنت هنا إذًا!"

"كدت أنتهي، لم يعد عليّ سوى أخذ الغسيل و..."

قاطعتني قائلة: "في الواقع، سأحتاج إلى بقائك لوقت أطول".

أزعجني طلبها قليلًا. فأنا أنظّف منزل آمبر مرّتين في الأسبوع، لكنّ مهامي لا تقتصر على ذلك، بل تشمل أيضًا أمورًا أخرى، بما في ذلك رعاية طفلتها أوليف البالغة من العمر تسعة أشهر. صحيح أنّني أحاول أن أكون مرنة، لأنّ الأجر ممتاز، ولكنّها لا تحرص على إبلاغي مسبقًا. فمع أنّني شدّدتُ في كلّ وظائف مجالسة الأطفال التي مارستها هنا على مبدأ ضرورة إبلاغي مسبقًا، إلّا أنّها لا تكلّف نفسها عناء إخباري بحاجتها إليّ إلّا قبل عشرين دقيقة تقريبًا.

تابعت آمبر تقول بجدّيةِ امرأةٍ تخبرني أنّها متوجّهة إلى المستشفى لإجراء عمليّة جراحية في القلب: "لديّ موعد لتزيين الأظفار، وأريد منك رعاية أوليف في غيابي".

أوليف طفلة لطيفة، ولا أمانع رعايتَها عادة، بل ثمّة أوقات أنتهز فيها الفرصة لكسب مزيد من المال، والاستفادة من أجر الساعة الباهظ الذي تدفعه لي آمبر؛ وهذا ما يتيح لي الاحتفاظ بسقف فوق رأسي، وتناول طعام لا أجمعه من القمامة. أمّا اليوم، فلا يمكنني ذلك. لذا، أجبتها: "لديّ درس بعد ساعة".

"أوه". عبست آمبر، ثمّ سرعان ما انفرجت أساريرها مجدّدًا. فقد أخبرتني في آخر مرّة أتيت فيها إلى هنا أنّها قرأت مقالًا عن أنّ للابتسام والعبوس دورًا كبيرًا في تكوّن التجاعيد، ولذلك تحاول أن تُبقِيَ تعابير وجهها محايدة قدر الإمكان في كلّ الأوقات. "ألا يمكنك تفويت الدرس؟ أليس لديهم تسجيل للمحاضرات أو نصوص يمكنك الحصول عليها؟"

كلّا. علاوة على ذلك، فقد تغيّبتُ عن حصّتين دراسيتين في الأسبوعين الماضيين، عندما طلبَت إليّ مجالسة طفلتها من دون سابق إنذار. وبما أنّني أحاول الحصول على شهادة جامعية، عليّ نيل درجة جيّدة في هذه المادّة. وعلى أيّ حال، أنا أحبّها. فعلم النفس الاجتماعي ممتع ومثير للاهتمام، وحصولي على درجة نجاح شرط بالغ الأهمّية لنَيلي شهادتي.

قالت آمبر: "ما كنت لأطلب إليك ذلك لو لم يكن الأمر مهمًّا".

قد يختلف تعريفها لكلمة "مهمّ" عن تعريفي. فبالنسبة إليّ، "المهمّ" أن أتخرّج في الجامعة، وأحصل على تلك الشهادة في العمل الاجتماعي. ولست واثقة من مدى أهمّية تزيين الأظفار بالمقارنة مع تخرّجي. أعني، ما زلنا في أواخر الشتاء، فمن سيرى قدميها؟

بدأتُ بالقول: "آمبر".

في تلك اللحظة، علا صوت بكاء آتٍ من غرفة المعيشة. ومع أنّني لا أقوم بمجالسة أوليف رسميًّا في الوقت الحاليّ، إلّا أنّني أراقبها عادةً عندما أكون هنا. إذ تصطحب آمبر ابنتها لتلعب مع أطفال صديقاتها ثلاث مرّات في الأسبوع. وفي ما تبقّى من وقت، يبدو لي أنّها تخطّط لكيفيّة التخلّص من عبء الطفلة. كانت قد اشتكت لي من أنّ السيد ديغرو لا يسمح لها بتوظيف مربّية بدوام كامل لأنّها لا تعمل. ولهذا السبب، تلجأ إلى التعاقد مع عدد من جليسات الأطفال؛ غالبًا أنا. على أيّ حال، كانت أوليف في قفص اللعب عندما بدأتُ بالتنظيف، وبقيتُ معها في غرفة المعيشة إلى أن نامت على صوت المكنسة الكهربائية.

قالت آمبر بنبرة ذات مغزى: "ميلي".

فتنهّدتُ، ووضعتُ جانبًا الإسفنجة التي يبدو وكأنّها أصبحت ملتصقة بيدي مؤخّرًا. ثمّ غسلت يديَّ في حوض الجلي، وجفّفتهما ببنطالي الجينز الأزرق وأنا أنادي قائلة: "أنا قادمة يا أوليف".

عندما عدت إلى غرفة المعيشة، كانت أوليف قد دفعت نفسها إلى حافّة القفص وهي تبكي بشدّة حتّى أصبح وجهها الصغير المستدير أحمر اللون. تشبه أوليف الأطفال الذين يظهرون على غلاف مجلّات الأطفال. فهي ذات وجه بريء وجميل للغاية، لا سيّما مع لفائف شعرها الأشقر الناعم، المضغوط الآن إلى الجانب الأيسر بعد قيلولتها. في تلك اللحظة، لم تبدُ بريئة تمامًا؛ لكن عندما رأتني، رفعت ذراعيها على الفور وكفّت عن البكاء.

وصلتُ إلى قفص اللعب وحملتُها بين ذراعيّ، فدفنَت وجهها الصغير المبلّل بالدموع في كتفي، ولم أعد أشعر بالسوء حيال التغيّب عن الصفّ إذا ما اضطررتُ لذلك. لا أعرف السبب، ولكن عندما بلغتُ الثلاثين، شعرتُ وكأنّ زرًّا ضُغِطَ بداخلي وجعلني أعتقد أنّ الأطفال هم أروع ما في الكون. لذا، أحبّ قضاء الوقت مع أوليف، على الرغم من أنّها ليست طفلتي.

"أنا أقدّر ذلك يا ميلي". كانت آمبر ترتدي معطفها، وتتناول حقيبة غوتشي من فوق رفّ المعاطف بجانب الباب. "صدّقيني، أصابع قدميّ تشكرك".

نعم، لا شكّ في ذلك. "متى ستعودين؟"

مع أنّنا نعلم كلتانا أنّها تكذب، إلّا أنّها أكدّت لي قائلة: "لن أطيل الغياب. ففي النهاية، أعلم أنّ أميرتي الصغيرة ستشتاق إليّ!"

تمتمتُ قائلة: "بالتأكيد".

بينما كانت آمبر تبحث في حقيبتها عن مفاتيحها أو عن هاتفها أو ربّما عن أحد مستحضراتها، أقحمَت أوليف وجهها في كتفي أكثر. أخيرًا، رفعَت وجهها المستدير الصغير، وابتسمت لي مُظهِرةً أسنانها الأربع الصغيرة البيضاء، ثمّ أعلنت قائلة: "ما-ما".

فتجمّدت آمبر، ويدها لا تزال في حقيبتها، وبدا أنّ الزمن بأكمله قد توقّف. "ماذا قالت؟"

أوه، لا. "قالت... ميلي؟"

كانت أوليف غافلة تمامًا عن المشكلة التي تسبّبها، فابتسمت لي مرّة أخرى، ثمّ قالت بصوت أعلى هذه المرّة: "ماما!"

وعلى الفور، أصبح وجه آمبر ورديّ اللون تحت كريم الأساس. "هل نادتك ماما للتوّ؟"

"لا..."

صاحت أوليف ببهجة: "ماما!" يا إلهي! هلّا تتوقّفي عن ذلك أيّتها الصغيرة.

رمت آمبر حقيبتها على طاولة القهوة، وغطّى وجهها قناع من الغضب سيسبّب لها التجاعيد حتمًا. "هل تخبرين أوليف أنّك أمّها؟"

صرختُ قائلة: "كلّا! أنا أخبرها أنّني ميلي. ميلي. أنا متأكّدة أنّ الأمر اختلط عليها، خاصّة أنّني أنا من..."

حملقت إليّ متسائلة: "ألأنّك تمضين معها وقتًا أكثر منّي؟ أهذا ما قصدته؟"

"لا! حتمًا لا!"

"هل تقصدين أنّني أمّ سيّئة؟" مشت آمبر خطوة نحوي، وبدا على أوليف الخوف. "هل تعتقدين أنّك أمّ لابنتي الصغيرة أكثر منّي؟"

"كلّا! على الإطلاق..."

"إذًا، لماذا تخبرينها أنّك أمّها؟"

"أنا لم أفعل!" عندئذٍ، شعرت أنّني أكاد أرى راتبي المرتفع، الذي أتقاضاه من عملي كجليسة أطفال، يختفي في البالوعة. "أقسم لك، أنا أقول لها إنّني ميلي. لكنّ اسمي يبدو مثل ماما، هذا كلّ ما في الأمر، فالحرف الأوّل هو نفسه".

أخذت آمبر نَفَسًا عميقًا لتهدأ، ثمّ اقتربَت خطوة أخرى قائلة: "أعطيني طفلتي".

"بالتأكيد".

لكنّ أوليف لم تسهّل الأمور. فعندما رأت أمّها تقترب منها وهي تمدّ ذراعيها نحوها، تمسّكت بعنقي بشدّة، وانتحبَت قائلة: "ماما!"

فتمتمتُ قائلة: "أوليف، أنا لست ماما، هذه ماما"، التي توشك أن تطردني إن لم تُفلتيني.

صاحت آمبر: "ما هذا الظلم؟! لقد أرضعتها لأكثر من أسبوع! ألا يساوي هذا شيئًا؟"

"أنا آسفة..."

أخيرًا، انتزعَت آمبر ابنتها من بين ذراعيّ، بينما راحت الفتاة تهزّ برأسها الصغير وتصرخ: "ماما!" وهي تمدّ إليّ ذراعيها السمينتين.

وبّخت آمبر الطفلة قائلة: "هـذه ليسـت أمّـك، بـل أنـا أمّـك! هـل تريـدين أن تـري تشـقّقات بطني؟ هذه المرأة ليست أمّك".

"ماما!"

صحّحتُ لها قائلة: "ميلي، ميلي".

ولكن ما نفع ذلك؟ فهي لم تعد بحاجة إلى معرفة اسمي. من الآن فصاعدًا، لن يُسـمح لـي بدخول هذا المنزل مجدّدًا، فقد طُردت منه بلا رحمة.

الفصل الثاني

مكتبة
t.me/soramnqraa

في أثناء سيري من محطّة القطار إلى شقّتي المكوّنة من غرفة نوم واحدة في جنوب برونكس، أمسكتُ حقيبتي بإحدى ذراعيّ بإحكام، وقبضتُ بيدي الأخرى على رذاذ الدفاع عن النفس المدسوس في جيبي. فصحيح أنّنا في وضح النهار، لكنّ الحذر واجب في هذا الحيّ.

أشعر اليوم أنّني محظوظة بسكني في شقّة صغيرة، وإن تكن وسط أحد أخطر الأحياء في نيويورك. وإن لم أعثر على وظيفة أخرى في أسرع وقت ممكن لتعويض الدخل الذي خسرته للتوّ بعد أن طردتني آمبر ديغرو - من دون حتّى أن تعرض عليّ كتابة توصية - فإنّ أقصى آمالي لن تتجاوز النوم في صندوق من الورق المقوّى في الشارع، أمام المبنى المتهالك الذي أعيش فيه حاليًّا.

في الواقع، لو لم أقرّر الذهاب إلى الجامعة، لوفّرت بعض المال؛ لكن لشدّة غبائي، اخترت تطوير نفسي.

بينما كنت أعبر الأمتار الأخيرة المؤدّية إلى المبنى الذي أقطن فيه، وحذائي الرياضي يسحق الطين على الرصيف، شعرت أنّ شخصًا ما يتبعني. ممّا لا شكّ فيه أنّني دائمًا في حالة تأهّب قصوى هنا، ولكنْ ثمّة أوقات أشعر فيها بقوّة بأنّني جذبت نوعًا خاطئًا من الاهتمام.

الآن على سبيل المثال، بالإضافة إلى إحساسي بوخز في مؤخّر عنقي، كنت أسمع وقع خطًى خلفي. وبدا لي أنّ وقع الخطى يعلو تدريجيًّا، ممّا يعني أنّه، أيًّا يكن من يسير خلفي، فهو يقترب.

غير أنّني لم ألتفت، بل اكتفيت بشدّ معطفي الأسود بقوّة حول جسدي وأنا أحثّ خطاي، مرورًا بسيّارة مازدا سوداء ذات مصباح أمامي متصدّع، وصنبور إطفاء أحمر يسرّب الماء في جميع أنحاء الشارع، ووصولًا إلى الدرجات الإسمنتية الخمس غير المستوية المؤدّية إلى باب المبنى.

كانت مفاتيحي جاهزة. فخلافًا للمبنى السكني الفخم الذي يعيش فيه آل ديغرو في منطقة آبر ويست سايد، ما من بوّاب هنا، بل ثمّة جهاز اتّصال داخلي ومفتاح لفتح الباب. وعندما أجّرتني صاحبة المنزل - السيّدة راندال - الشقّة، ألقت عليّ محاضرة صارمة حول عدم السماح لأيّ شخص بالدخول خلفي، لأنّ ذلك قد يعرّضني للسّرقة أو للاغتصاب.

بينما كنت أُدخل المفتاح في القفل، الذي يعاند دائمًا، ارتفع صوت وقع الخطى مجدّدًا. وبعد ثانية، لاح فوقي ظلّ لم أستطع تجاهله. نظرت إلى الأعلى، فرأيت رجلًا في أواسط

العشرينيّات من عمره، يرتدي معطفًا أسود، وشعره الداكن مبلّل بعض الشيء. بدا لي مألوفًا على نحو غامض، لا سيّما الندبة التي تعلو حاجبه الأيسر.

حين لاحظ تعبير التردّد على وجهي، قال: "أنا أقطن في الطابق الثاني، اثنان-ج".

أجبته: "آه"، مع أنّني كنت لا أزال غير مرتاحة للسماح له بالدخول.

أخرج الرجل مجموعة مفاتيح من جيبه وهزّها في وجهي، فلاحظتُ أنّ أحدها يحمل نقوشًا مشابهة لتلك الموجودة على مفتاحي. كرّر: "اثنان-ج، تحتكِ مباشرة".

أخيرًا، استسلمت ودخلت، للسماح للرجل صاحب الندبة فوق حاجبه الأيسر بدخول المبنى الذي أقيم فيه؛ نظرًا إلى كونه قادرًا على شقّ طريقه إلى الداخل بسهولة إذا ما أراد ذلك. تقدّمته وصعدت السلّم درجة تلو الأخرى، وأنا أتساءل عن كيفيّة تأمين إيجار الشهر المقبل؛ أنا بحاجة إلى وظيفة جديدة حالًا. كنت قد عملتُ نادلة بدوام جزئي لبعض الوقت، ولكنّني تخلّيت عن الوظيفة بغباء لأنّ أجر مجالسة أوليف كان مرتفعًا، كما أنّ عدم انتظام جدول رعايتها جعل من الصعب بالنّسبة إليّ التوفيق بينها وبين وظيفة ثانية. وليس من السهل على شخص مثلي العثور على وظيفة أخرى، لا سيّما مع سوابقي الجنائية.

"الطقس جميل اليوم". تناهى إليّ صوت الرجل ذو الندبة فوق حاجبه الأيسر وهو يصعد الدرج خلفي.

"آه". اكتفيت بهذا التعليق، وذلك لأنّ آخر ما أريده الآن هو التحدّث عن الطقس.

أضاف: "سمعت أنّ الثلوج ستتساقط مجدّدًا الأسبوع المقبل".

"همم".

"نعم، ثمانية إنشات بحسب التوقّعات؛ ستكون آخر الثلوج قبل حلول الربيع".

لم أعُد أستطيع التّظاهر بالاهتمام. عندما وصلنا إلى الطابق الثاني، ابتسم لي الرجل قائلًا: "أتمنّى لك يومًا سعيدًا".

فتمتمت مجيبة: "وأنا أيضًا".

وبينما كان يسير في البهو المؤدّي إلى شقّته، لم يسعْني سوى التفكير فيما قاله لي عندما سمحت له بالدخول. اثنان-ج، تحتك مباشرة.

كيف عرف أنّني أعيش في الطابق الثالث-ج؟

عبستُ وأنا أحثّ خطاي على الدرج متّجهة إلى شقّتي. كنت قد جهّزت المفاتيح مجدّدًا، وبمجرّد دخولي، أغلقتُ الباب خلفي، وأدرت المفتاح في القفل، ثمّ أغلقت المزلاج. من المحتمل أنّني أبالغ بشأن تعليقه، لكنّ الحذر واجب، لا سيّما لمن يعيش في جنوب برونكس.

قرقرت معدتي، لكنّني كنت أتوق إلى حمّام دافئ أكثر من الطعام. لذا، تأكّدت أنّ الستائر مسدلة، ثمّ خلعتُ ملابسي ودخلتُ الحمّام. كنتُ أعلم من تجربتي أنّ هامشًا صغيرًا يفصل بين الماء الساخن المغليّ أو البارد الجليدي. فخلال الفترة التي عشتها هنا، أصبحتُ خبيرة في ضبط درجة الحرارة، التي يُحتمل أن تنخفض أو ترتفع عشرين درجة في جزء من الثانية، لذلك لم أكن أطيل البقاء عادة. على أيّ حال، أنا لا أحتاج إلّا إلى غسل بعض الأوساخ عن جسدي. فبعد يوم من التجوّل في المدينة، يكون جسدي مكسوًّا بطبقة من الغبار الأسود؛ حتّى إنّني أكره أن أتخيّل حالة رئتيّ.

لا أصدّق أنّني خسرت تلك الوظيفة. فقد كانت آمبر تعتمد عليّ بشدة، بحيث ظننت أنّني سأستمرّ في العمل لديها؛ على الأقلّ حتّى تصبح أوليف في روضة الأطفال، وربّما لفترة أطول. وكنت قد بدأت أشعر أنّني مرتاحة تقريبًا، كما لو أنّني أملك وظيفة ثابتة ودخلًا يمكنني الاعتماد عليه.

والآن، لا بدّ لي من البحث عن عمل آخر، وربّما وظائف أخرى متعدّدة لتحلّ محلّ تلك الوظيفة. غير أنّ الأمر ليس سهلًا بالنسبة إليّ مثل معظم الناس. فأنا لا أستطيع وضع إعلان على تطبيقات رعاية الأطفال المعروفة؛ لأنّها جميعها تتطلّب تدقيقًا في تاريخي المهنيّ. وبمجرّد حدوث ذلك، تصبح أيّ فرص عمل محتملة غير مطروحة. فلا أحد يرغب في توظيف شخص مثلي في منزله.

في الوقت الحاليّ، لديّ نقص في التوصيات. فعلى الرّغم من أنّ الوظائف التي تولّيتها لم تقتصر على التنظيف، بل اعتدت بالإضافة إلى ذلك على القيام بمهامّ أخرى للعديد من العائلات التي عملت لديها لفترة من الزّمن، إلّا أنّني لم أعد أفعل ذلك. لم أفعل منذ سنوات.

حسنًا، لا فائدة من الخوض في الماضي، ليس عندما يبدو المستقبل قاتمًا بهذا الشكل.

كفّي عن الإشفاق على نفسك يا ميلي. فقد سبق أن كنتِ في مواقف أسوأ وخرجتِ منها.

انخفضت درجة حرارة المياه فجأة، فصدرت عنّي صرخة لا إرادية. عندئذٍ، مددت يدي إلى الصنبور وأغلقته. فقد استمتعت بعشر دقائق لا بأس بها، وهذا أفضل ممّا توقّعت.

لففت جسدي برداء الحمّام من دون أن أتكبّد عناء انتعال الشبشب، ومشيت بقدميّ المبلّلتين في المطبخ الذي يتفرّع من غرفة المعيشة. في شقّة آل ديغرو، كان المطبخ وغرفة المعيشة وغرفة الطعام منفصلة بعضها عن بعض. أمّا في هذه الشقّة، فقد تمّ دمجها جميعًا في غرفة واحدة متعدّدة الأغراض، ومن المفارقة أنّها أصغر بكثير من أيّ غرفة في منزل ديغرو. حتّى إنّ الحمّام هناك أكبر من غرفة معيشتي بأكملها.

وضعتُ قدرًا من الماء على الموقد حتّى يغلي. في الواقع، لا أعرف ماذا سأحضّر على العشاء، ولكن من المحتمل أن يتضمّن نوعًا من المعكرونة المسلوقة، إمّا رامن أو سباغيتي أو معكرونة حلزونية. وكنت أدرس خياراتي عندما سمعت طرقًا على الباب.

تردّدت، وشدّدت حزام ردائي حول خصري، ثمّ سحبتُ علبة من السباغيتي من الخزانة.

نادى صوت مكتوم من خلف الباب: "ميلي! دعيني أدخل يا ميلي!"

أجفلتُ. أوه، لا.

أضاف: "أنا أعلم أنّك هناك!"

الفصل الثالث

لا يمكنني تجاهل الطارق.

تركت قدماي أثرًا مبلّلًا خلفي وأنا أعبر المسافة القصيرة إلى الباب. وعندما قرّبتُ عيني من الثقب، رأيت رجلًا يقف في الخارج، شابكًا ذراعيه على صدر بذلته الرسمية من بروكس براذرز.

"ميلي". تحوّل الصوت إلى دمدمة منخفضة. "دَعيني أدخل، حالًا".

تراجعتُ خطوة إلى الوراء، وضغطتُ بأناملي على صدغيّ للحظة. هذا أمر لا مفرّ منه؛ عليّ أن أدعه يدخل. لذا مددتُ يدي، وفتحت القفل، ثمّ أدرتُ المفتاح، وفتحت الباب برفق.

"ميلي". دفع الباب ليفتحه بالكامل، ودلف إلى داخل منزلي، ثمّ أحاط ذراعِي بأصابعه. "ما الذي يجري؟"

فانخفضت كتفاي وأنا أجيبه: "أنا آسفة، بروك".

ألقى عليّ بروك كانينغهام، الذي أواعده منذ ستّة أشهر، نظرة حادّة وقال: "كنّا على موعد عشاء الليلة، لكنّك لم تحضري، ولم تردّي على رسائلي أو اتّصالاتي".

كان مُحِقًّا في كلّ ما قاله، فأنا بالفعل أسوأ صديقة على الإطلاق. إذ كان من المفترض أن ألتقي بروك في مطعم في تشيلسي بعد انتهاء محاضراتي لهذا اليوم، ولكن بعد أن أقالتني آمبر، لم أتمكّن من التركيز على المحاضرات، ولم أشعر بالرغبة في تناول العشاء في الخارج، لذا ذهبت مباشرة إلى المنزل. وكنت أعرف أنّني إذا اتّصلت ببروك وأخبرته أنّني لا أرغب في الذهاب، فسيلحّ عليّ؛ وبصفته محاميًا، فهو مقنِع للغاية. لذا، كنت أنوي إلغاء الموعد برسالة نصّية، لكنّني واصلت تأجيل ذلك. وفي غمرة انشغالي بالتحسّر على نفسي، نسيت الأمر تمامًا.

كما قلت، أنا أسوأ صديقة على الإطلاق.

اعتذرتُ مجدّدًا: "أنا آسفة".

"كنت قلقًا عليك، فقد ظننت أنّ مكروهًا حلّ بك."

"لماذا؟"

انطلقت صفّارة إنذار مدوّية بالقرب من النافذة، فيما نظر إليّ بروك كما لو أنّني طرحت سؤالًا في غاية الغباء. في الواقع، شعرت ببعض الذنب. فربّما كان لديه الكثير ليقوم به الليلة، غير

أنّني لم أكتفِ بجعله ينتظرني في المطعم كالأحمق، بل اضطرّ إلى إضاعة بقيّة الليلة في المجيء إلى جنوب برونكس للاطمئنان عليّ.

على الأقلّ، أنا مدينة له بشرح.

قلت: "لقد أقالتني آمبر ديغرو، وأنا في ورطة حاليًّا."

فرفع حاجبيه متسائلًا: "أحقًّا؟" لدى بروك أجمل حاجبين رأيتهما لدى رجل على الإطلاق، وأنا متأكّدة أنّه يقوم بتسويتهما لدى محترف، لكنّه لا يعترف بذلك. "لماذا أقالتك؟ بحسب قولك، هي لا تستطيع العيش بدونك؛ لا سيّما وأنّك تقومين أساسًا بتربية طفلتها، كما أخبرتني."

"بالضبط، لكنّ طفلتها لم تكفّ عن مناداتي ماما، فجنّ جنون آمبر."

حدّق بروك إليّ قليلًا، ثمّ ما لبث أن انفجر ضاحكًا. في البداية، شعرت بالإهانة. فقد خسرت عملي، ألا يدرك مدى سوء ذلك؟

لكن لم تكد تمرّ ثانية، حتّى وجدتُ نفسي أنضمّ إليه. ألقيت برأسي إلى الوراء وضحكت حين أدركت مدى سخافة هذه المسألة برمّتها. تذكّرت كيف كانت أوليف تمدّ يديها إليّ وتبكي وهي تصيح: "ماما"، بينما كانت آمبر تغلي غضبًا، حتّى ظننت أنّها ستصاب بسكتة دماغية.

بعد دقيقة، كنّا نحن الاثنين نمسح الدموع عن أعيننا. ثمّ أحاطني بروك بذراعيه، وقد تبدّد غضبه من إهمالي موعدنا. في الواقع، بروك لا يغضب بسهولة. ومع أنّ معظم الناس يعتقدون أنّ هذه إحدى صفاته الجيّدة، إلّا أنّني أتمنّى في بعض الأوقات لو أنّه يتحلّى بمزيد من الحيويّة ويعبّر عن نفسه بحماسة أكبر.

بشكل عامّ، نحن في أفضل مرحلة من علاقتنا. ستّة أشهر... هل ثمّة وقت أفضل من ذلك في العلاقة؟ بصراحة، لا أدري تمامًا؛ لأنّها المرّة الثانية فقط التي أبلغ فيها هذا الحدّ. لكن يبدو أنّ ستّة أشهر هي الفترة المثالية التي يزول فيها الإرباك الذي يسود في بداية العلاقة، بينما لا يزال كلّ طرف يُظهر للآخر أفضل ما لديه.

على سبيل المثال، بروك محامٍ وسيم، في الثانية والثلاثين من عمره، من عائلة ميسورة الحال. يبدو شابًّا مثاليًّا، لكن من الطبيعي أن تكون لديه عادات سيّئة، وإن كنت لا أعرف ما هي بعد. فربّما كان ينظّف شمع أذنه بإصبعه ثم يمسحه على طاولة المطبخ أو الأريكة، أو حتّى يأكله، من يدري؟ باختصار، قد يكون لديه كثير من العادات السيّئة التي لا أعرف عنها شيئًا، وبعضها قد لا يتعلّق بشمع الأذن إطلاقًا.

في الواقع، كان لديه بالفعل عيب واحد. فعلى الرغم من أنّه شاب قوي، ووجهه يفيض بالصحّة، إلّا أنّه يعاني من مرض في القلب أصيب به في طفولته. لكن لا يبدو أنّ لهذه الحالة تأثيرًا

على الإطلاق. فهو يتناول قرص دواء كلّ يوم، وهذا كلّ ما في الأمر على ما يبدو. لكنّ القرص مهمّ بما فيه الكفاية ليحتفظ بزجاجة احتياطية في خزانة أدويتي. وقد جعله مرضه وعدم يقينه بشأن مدّة حياته أكثر إصرارًا على الاستقرار من معظم الرجال.

قال بروك: "دعيني أصطحبك إلى العشاء، فأنا أريد أن أرفّه عنك."

إلّا أنّني هززت رأسي مجيبة: "أريد البقاء في المنزل فحسب، والشعور بالأسف على نفسي. وربّما أبدأ بالبحث عن وظائف عبر الإنترنت."

"الآن؟ لقد خسرتِ عملك منذ بضع ساعات فقط. ألن تنتظري حتّى الغد على الأقلّ؟"

حدّقتُ إليه قائلة: "بعضنا يحتاج إلى المال لدفع الإيجار."

أومأ برأسه ببطء، وقال: "حسنًا، ماذا لو لم تكوني مضطرّة إلى القلق بشأن الإيجار؟"

أحسست بالارتباك لأنّني أعرف إلى أين سيؤدي هذا الحديث. "بروك..."

"كفى، لماذا ترفضين الانتقال إلى شقّتي يا ميلي؟" وأضاف عابسًا: "فكما تعلمين، شقّتي مؤلّفة من غرفتَي نوم، تطلّ على سنترال بارك، وتقع في مبنى لن تتعرّضي فيه للقتل ليلًا. وأنتِ تزورينني فيها دائمًا على أيّ حال..."

هذه ليست المرّة الأولى التي يقترح عليّ فيها الانتقال إلى شقّته، ولا يمكنني أن أنكر أنّ حججه مقنعة. إن انتقلت إلى شقّة بروك، فسأعيش برفاهية تامّة من دون أن أدفع فلسًا واحدًا؛ حتّى إنّه لن يسمح لي بالمشاركة لو أردت ذلك. وهكذا سأتمكّن من التركيز على إنهاء دراستي الجامعية لأصبح أخصّائية اجتماعية، وأسهم في تحسين العالم. يبدو الأمر في غاية البساطة.

لكن كلّما فكّرت في قبول دعوته، صرخ صوت بداخلي: لا تفعلي!

صوتي الداخلي مقنع تمامًا مثل بروك. فثمة أسباب وجيهة للإقامة في شقّته، لكن في المقابل، ثمّة سبب وجيه واحد لعدم القيام بذلك. فهو لا يعرف حقيقتي. وحتّى لو كان بالفعل يأكل شمع أذنيه، فإنّ أسراري أسوأ بكثير.

هكذا، وجدت نفسي في أكثر علاقة طبيعية وصحّية عشتها في حياتي، ومع ذلك، يبدو أنّني مصمّمة على إفسادها. لكنّني حقًّا في مأزق؛ فإن أخبرته بالحقيقة عن ماضيّ، فقد يتخلّى عنّي، وأنا لا أريد ذلك. وإن لم أخبره...

عاجلًا أم آجلًا، سيكتشف كلّ شيء؛ غير أنّني لست مستعدّة لذلك بعد.

قلت: "أنا آسفة. فكما سبق وقلت، أنا بحاجة إلى مساحتي الخاصّة في الوقت الحاليّ".

همّ بروك بالاعتراض، لكنّه سرعان ما تراجع؛ فهو يعرفني جيّدًا ويعرف مدى عنادي. وقد بدأ بالفعل يكتشف أسوأ صفاتي. لذا، قال: "على الأقلّ، عديني أنّك ستفكّرين في الأمر".

فكذبت مجيبة: "سأفكّر في الأمر".

الفصل الرابع

سأجري اليوم مقابلة العمل العاشرة خلال الأسابيع الثلاثة الفائتة، وقد بدأت أشعر بالتوتّر. فأنا لا أملك في حسابي المصرفي ما يكفي من المال حتّى لتغطية إيجار شهر واحد. أعلم أنّه من المفترض أن يكون لدى المرء احتياطيّ ماليّ يكفيه لستّة أشهر على الأقلّ - تحسّبًا لأيّ طارئ - لكنّ النظرية أسهل من التطبيق. ليتني كنت أملك احتياطيًّا يكفيني لستة أشهر، لا بل ليتني كنت أملك احتياطيًّا يكفيني ولو لشهرين. بدلًا من ذلك، في حوزتي أقلّ من مئتي دولار.

لا أعرف ما الخطأ الذي ارتكبته في المقابلات التسع السابقة الّتي أجريتها للحصول على وظيفة في تنظيف المنازل أو رعاية الأطفال. فقد أكّدت لي إحدى النساء بوضوح أنّها تنوي توظيفي، لكن ها قد مضى أسبوع ولم أسمع منها شيئًا؛ لا منها ولا من أيٍّ من الأشخاص الآخرين. أفترض أنّها تحقّقت من تاريخي، وكان ذلك كفيلًا بجعلها تصرف النظر عن ذلك.

لو كنت فتاة عادية، لتمكّنت ببساطة من الالتحاق بإحدى شركات التنظيف، ولما اضطررت إلى خوض هذه العمليّة من أساسها. لكنّ أيًّا من تلك الشركات لن تقبل بتوظيفي. فقد سبق وحاولتُ، غير أنّ عمليات التحقّق من تاريخ المتقدّم للوظيفة تجعل الأمر مستحيلًا. فما من أحد يريد في منزله شخصًا لديه سجلّ جنائي. لهذا السبب، أنشر إعلانات على الإنترنت، وأحاول أن أكون متفائلة.

آمالي ليست عريضة بشأن مقابلة اليوم أيضًا. فأنا سألتقي رجلًا يُدعى دوغلاس غاريك، يعيش في مبنًى سكني في حيّ آبر ويست سايد، غرب سنترال بارك. وهو واحد من تلك المباني القوطية ذات الأبراج الصغيرة التي تبرز في الأفق. يبدو في الواقع وكأنّه ينبغي أن يكون محاطًا بخندق مائي ومحروسًا من تنّين، لا مجرّد مكان يمكن لأيّ شخص أن يدخله مباشرة من الشارع.

فتح لي باب المدخل بوّاب أشيب الشعر، وأمال قبّعته السوداء تحيّةً لي. وبينما ابتسمت له، عاودني ذلك الإحساس المزعج في مؤخّر عنقي؛ وكأنّ أحدًا ما يراقبني.

منذ تلك الليلة التي عدت فيها إلى المنزل بعد طردي من العمل، راودني ذلك الإحساس مرارًا. في الواقع، هذا أمر منطقي في الحيّ الذي أقطن فيه في جنوب برونكس؛ فهو يعجّ

باللصوص الذين يترصّدون لأيّ شخص يبدو وكأنّه يحمل مالًا. لكنّه ليس مبَرّرًا هنا، في أحد أرقى أحياء مانهاتن.

قبل أن أخطو داخل المبنى، استدرت فجأة لأنظر خلفي. كان ثمّة عشرات الأشخاص الذين يتجوّلون في الشارع، لكن لا أحد منهم يبدو مهتمًّا بي. فشوارع مانهاتن تعجّ بالشخصيات الفريدة والمثيرة للاهتمام، وأنا لست واحدة منها. لذا، لا سبب يدعو أيّ شخص للتحديق إليّ.

فجأة، رأيت السيّارة.

إنّها سيّارة مازدا سوداء. ثمّة الآلاف منها في المدينة، لكن حين حدّقتُ إليها، ساورني إحساس غريب بأنّني سبق أن رأيتها. استغرق منّي الأمر لحظة لأدرك السبب؛ فقد كان المصباح الأمامي الأيمن متصدّعًا. أنا متأكّدة أنّني رأيت مازدا سوداء ذات مصباح أيمن متصدّع مركونة بالقرب من المبنى الذي أعيش فيه في جنوب برونكس.

ألم أفعل؟

حدّقت من خلال الزجاج الأمامي، فوجدت السيّارة فارغة. عندئذٍ، نظرتُ إلى لوحة الأرقام. كانت لوحة تسجيل نيويوركية، ولا شيء مميّز في ذلك. فحاولت أن أحفظ الرقم:F32158. لم يكن الرقم يعني لي شيئًا، لكن إن رأيته مجدّدًا، فسأعرفه على الفور.

قاطع البوّاب شرودي وسألني: "هل ستدخلين يا آنسة؟"

تنحنحتُ مجيبة: "آه، نعم. أنا آسفة."

عندما دخلت بهو المبنى، فوجئت بديكوره الفخم. فبدلًا من المصابيح العلوية، كان البهو مضاءً بثريّات ومصابيح جانبية مصمّمة لتشبه المشاعل. وكان سقفه المنخفض مقوّسًا في شكل قبّة؛ الأمر الذي جعلني أشعر وكأنّني أدخل نفقًا. أمّا الجدران، فقد زُيّنت بلوحات فنّية، جميعها بلا شكّ لا تقدّر بثمن.

سألني البواب: "أيّ شقّة تقصدين يا آنسة؟"

"آل غاريك. الشقة عشرون-أ."

غمزني قائلًا: "آه، "البنتهاوس"."

هذا رائع، العائلة تقطن في "بنتهاوس". من المستحيل أن يقبلوا بي، فلماذا أحاول؟

بعدما أجرى البواب اتّصالًا بالطابق العلوي لتأكيد موعدي، رافقني إلى المصعد، واستخدم مفتاحًا خاصًّا كي أتمكّن من الصعود إلى "البنتهاوس". وما إن أُغلِق الباب خلفي، حتّى سارعتُ إلى تفقّد مظهري. كنت أرتدي بنطالًا أسود أنيقًا وسترة صوفية. فمرّرت يدي على خصلات شعري الأشقر المسرّح على شكل كعكة بسيطة. وفيما كنت على وشك تعديل ياقة قميصي، لاحظت الكاميرا المثبّتة في زاوية المصعد، فقرّرت ألّا أقدّم للبوّاب عرضًا مجّانيًّا.

حين انفتح باب المصعد، وجدت نفسي مباشرة في بهو شقّة آل غاريك الفاخرة. وما إن خرجتُ منه حتّى أخذتُ نَفَسًا عميقًا. كانت للثراء رائحةٌ مميّزة هنا؛ مزيج من عطر فاخر ورائحة أوراق نقدية جديدة من فئة مئة دولار. تردّدت عند المدخل، غير متأكّدة ممّا إذا كان عليّ التقدّم من دون أن يرحّب بي أحد رسميًّا. لذا، ركّزتُ انتباهي على قاعدة بيضاء تتوسّطها منحوتة رمادية، هي في الأساس مجرّد صخرة عمودية ملساء كبيرة، كتلك التي قد تجدها في أيّ حديقة في المدينة. ومع ذلك، فإنّ قيمتها تفوق على الأرجح كلّ ما اقتنيته في حياتي.

"ميلي؟" تناهى إليّ الصوت قبل لحظات من ظهور صاحبه في البهو. "ميلي كالواي؟"

كان السيد غاريك هو من دعاني إلى هذا اللقاء اليوم. في الواقع، لم يكن من المعتاد أن يتّصل بي رجل لترتيب مقابلة عمل؛ ففي معظم الأحيان، يكون التعامل مع سيّدات المنازل. لكنّ السيّد غاريك بدا متحمّسًا للقائي. إذ اندفع نحو الردهة، والابتسامة تعلو شفتيه، مادًّا يده لمصافحتي.

سألته: "السيد غاريك؟"

أجاب وهو يصافحني بيده القوية: "من فضلك، ناديني دوغلاس."

بدا دوغلاس غاريك تمامًا كما توقّعت لرجل يقطن في "بنتهاوس" في آبر ويست سايد. فقد كان في أوائل الأربعينيّات من العمر، رجل وسيم بطريقة كلاسيكية وذو ملامح متناسقة. كان يرتدي بدلة بدت باهظة الثمن، فيما صفّف شعره البنّي الداكن واللامع باحترافية. أمّا عيناه البنيتان الغائرتان فكانتا تنمّان عن الذكاء، ولا يلتقي نظره بنظري إلّا بالقدر اللازم.

قلت: "تشرّفت بلقائك... دوغلاس."

ابتسم بامتنان وهو يقودني إلى غرفة المعيشة الواسعة: "أشكرك على قدومك اليوم. تتولّى زوجتي ويندي الأعمال المنزلية عادةً؛ فهي تفتخر بمحاولتها القيام بكلّ شيء بنفسها، غير أنّها لم تكن على ما يرام مؤخّرًا؛ لذا أصررتُ على البحث عن مساعدة."

استغربت جملته الأخيرة. فالنساء اللواتي يعشن في شقق فاخرة كهذه لا "يحاولن القيام بكلّ شيء" بأنفسهنّ عادةً، بل يذهبن إلى حدّ توظيف خادمات لخادماتهنّ.

قلت: "أفهمك بالتأكيد. ذكرتَ أنّك تبحث عن موظّفة تقوم بالطهي وأعمال التنظيف...؟"

أومأ برأسه مجيبًا: "مهامّ التدبير المنزلي العادية؛ كنفض الغبار، والترتيب، والغسيل، هذا فضلًا عن تحضير العشاء عدّة ليالٍ في الأسبوع. هل تعتقدين أنّ هذا ممكن؟"

"بكلّ تأكيد". كنت على استعداد للموافقة على أيّ شيء تقريبًا. "لديّ خبرة سنوات في تنظيف الشقق والمنازل. ويمكنني إحضار مستحضرات التنظيف بنفسي..."

هنا، دوغلاس قاطعني قائلًا: "لا، لا داعي لذلك. في الواقع، زوجتي... ويندي دقيقة جدًّا في اختيار مستلزمات التنظيف. فهي تعاني من حساسية تجاه الروائح، وتخشى أن تثير لديها أعراض التحسّس. لذا، عليكِ استخدام موادّ خاصّة بنا، وإلّا..."

قلت: "بالتأكيد، كما ترغبان."

استرخت كتفاه قليلًا، وقال: "هذا عظيم، ونودّ أن تبدئي على الفور."

"لا مشكلة في ذلك."

"جيّد، جيّد". ابتسم محرجًا وأضاف: "فكما ترين، المكان في حالة فوضى."

تقدّمت إلى غرفة المعيشة، وجال نظري في المكان. وكما هو الحال مع بقيّة المبنى، جعلتني هذه الشقّة أشعر كأنّني انتقلت إلى الماضي. فباستثناء الأريكة الجلدية الفاخرة، تبدو معظم قطع الأثاث وكأنّها صنعت قبل مئات السنين، ثمّ جُمّدت في الزمن، قبل أن تُنقَل خصوصًا إلى هذه الغرفة. ولو كنت أعرف المزيد عن الديكور، لاستطعت أن أجزم ربّما أنّ طاولة القهوة نُحتت يدويًّا في أوائل القرن العشرين، أو أنّ المكتبة ذات الأبواب الزجاجية تعود إلى فترة إحياء العصر النيوكلاسيكي الفرنسي، أو شيء من هذا القبيل. كلّ ما أعرفه يقينًا هو أنّ كلّ قطعة هنا تساوي ثروة صغيرة.

الأمر الآخر الذي أعرفه يقينًا أنّ هذه الشقة ليست في حالة فوضى، بل على العكس تمامًا. فلو طُلِب إليّ التنظيف الآن، فلن أعرف حتّى ما عليّ فعله. سأحتاج إلى مجهر للعثور على ذرّة غبار واحدة.

قلت بحذر: "أنا مستعدة للبدء متى شئت."

أومأ دوغلاس موافقًا وقال: "هذا عظيم، يسرّني سماع ذلك. إذًا تفضّلي بالجلوس لنتحدّث أكثر".

جلستُ بجواره على الأريكة الجلدية، وغرقت في جلدها الناعم الفاخر. يا إلهي! هذا أروع ما لامس بشرتي على الإطلاق. بإمكاني الجلوس على هذه الأريكة إلى الأبد، ولن ينقصني شيء بعد ذلك.

حدّق إليّ دوغلاس بعينيه الغائرتين اللتين يعلوهما حاجبان كثيفان داكنان، ثمّ قال: "إذًا، حدّثيني عن نفسكِ يا ميلي."

أُعجبت منذ البداية بعدم وجود أيّ إيحاء بالملاطفة في صوته؛ فقد ظلّت عيناه مركّزتين باحترام على عينيّ. في الواقع، كنت قد تورّطتُ مرّة واحدة من قبل مع أحد أرباب عملي، ولن أسمح لنفسي بالسير في هذا الطريق مجدّدًا. حتّى إنّني أفضّل أن أقتلع سنّي بكمّاشة على تكرار تلك التجربة.

تنحنحتُ قائلة: "حسنًا، أنا حاليًّا طالبة في الكلّية المجتمعية[1]. وأنوي أن أصبح أخصّائية اجتماعية، لكن في الوقت الحالي، أنا أعمل لتغطية تكاليف دراستي."

ارتسمت على وجهه ابتسامة كشفت صفًّا مستقيمًا من الأسنان البيضاء: "هذا عظيم. وهل لديكِ خبرة في الطبخ؟"

أومأت برأسي: "نعم، فقد طهوتُ لكثير من العائلات التي عملتُ لديها. صحيح أنّني لستُ محترفة، لكنّني حضرتُ بعض الدروس. كما أنّني..." سمحت لنظري بالتجوّل في أرجاء الغرفة، لكنّني لم أرَ أيّ ألعاب أو أيّ علامة على وجود طفل هنا. "أقوم أيضًا برعاية الأطفال؟"

فتشنّج وجه دوغلاس للحظة قبل أن يقول: "لا داعي لذلك."

انزعجت من نفسي وتساءلت متى سأتعلّم إمساك لساني؛ فبما أنّه لم يذكر شيئًا عن رعاية الأطفال، لا بدّ أنّني ذكّرته بمشكلة مؤلمة تتعلّق بالعقم. "آسفة."

هزّ كتفيه بلا مبالاة. "لا بأس. ما رأيك بجولة في المكان؟"

لا شكّ في أنّ "بنتهاوس" آل غاريك يضع شقّةَ آمبر الفاخرة في خانة المنزل العادي؛ وذلك لأنّ هذا المكان ينتمي إلى مستوى آخر تمامًا. فالصالة وحدها بمساحة مسبح أولمبي تقريبًا، وثمة زاوية تحتوي على طاولة للمشروبات، تحيط بها ستّة مقاعد عتيقة. وعلى الرغم من الطابع العتيق للديكور، إلّا أنّ المطبخ مجهّز بأحدث الأجهزة، وربّما حتّى بأفضل جهاز تجفيف طعام في السوق.

أشار دوغلاس بيده إلى المطبخ الفسيح قائلًا: "إنّه يحتوي على كلّ ما قد تحتاجين إليه."

جال نظري في أرجاء المطبخ، وعقدتُ أصابعي آملةً أن يكون ثمّة دليل يشرح وظيفة عشرات الأزرار التي رأيتها على واجهة الفرن. "يبدو مثاليًّا."

ابتسم دوغلاس برضا وقال: "ممتاز. والآن، فلننتقل إلى الطابق الثاني."

الطابق الثاني؟

شقق مانهاتن لا تحتوي على طابقين، لكن على ما يبدو، هذه الشقّة مختلفة. اصطحبني دوغلاس في جولة في الطابق العلوي، مرورًا بما لا يقلّ عن ستّ غرف نوم. كانت غرفة النوم الرئيسة وحدها فسيحة لدرجة أنّني كدت أحتاج إلى منظار لرؤية السرير الضخم في الطرف الآخر من الغرفة. وكانت ثمّة غرفة مخصّصة بالكامل للكتب، ما ذكّرني - ولو بشكل عابر -

---

(1) الكلية المجتمعية هي مؤسسة تعليمية عامة (عادةً ما تكون حكومية) تقدم التعليم العالي، خاصةً درجات الزمالة، لمدة عامين. تُعتبر الكلية المجتمعية خيارًا ممتازًا للطلاب الذين يبحثون عن تعليم بعد المرحلة الثانوية بأسعار معقولة ومرونة في اختيار مسار دراسي.

بمشهد في الجميلة والوحش، عندما يتمّ اصطحاب الجميلة إلى المكتبة العملاقة. أمّا الغرفة الأخرى، فكانت تضمّ جدارًا مليئًا بالوسائد. إنّها غرفة الوسائد، على ما يبدو.

وبعد أن مررنا بغرفة تحتوي على ما بدا أنّه مدفأة صناعية، وجدار زجاجي ضخم يكشف عن إطلالة ساحرة على أفق مدينة نيويورك، وصلنا إلى الباب الأخير. تردّد قليلًا، واضعًا يده على مقبض الباب، ثمّ قال: "هذه غرفة الضيوف، ووينـدي تتعافى هنا. من الأفضل أن ندعها تستريح."

قلت: "آسفة لسماع أنّ زوجتك مريضة."

فشرح قائلًا: "إنّها مريضة منذ بداية زواجنا تقريبًا. فهي تعاني من... مرض مزمن. تمرّ بأيّام جيّدة وأخرى سيئة. في بعض الأحيان، تكون كما عهدتها، وفي أحيان أخرى، لا تتمكّن من النهوض من الفراش إلّا بصعوبة. وثمّة أيّام..."

"ماذا؟"

"لا شيء". ظهرت على وجهه ابتسامة باهتة، ثمّ أضاف: "على أيّ حال، إذا كان الباب مغلقًا، فاتركيها وشأنها. إنّها بحاجة إلى الراحة."

"أتفهّم ذلك تمامًا."

حدّق دوغلاس إلى الباب بملامح متجهّمة، ومرّر أصابعه برفق على سطحه، ثم هزّ رأسه. أخيرًا، قال لي: "إذًا يا ميلي... متى يمكنكِ مباشرة العمل؟"

الفصل الخامس

في عام 1964م، قُتلت امرأة تدعى كيتي جينوفيز.

كانت كيتي نادلة تبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا. تعرّضت للاغتصاب والطعن نحو الساعة الثالثة فجرًا، على بُعد مئة قدم فقط من شقّتها في كوينز. صرخَت طلبًا للمساعدة، لكن على الرغم من أنّ العديد من الجيران سمعوا استغاثاتها، إلّا أنّ أحدًا منهم لم يهبّ لنجدتها. غادر مهاجمها وينستون موزلي لفترة وجيزة، ثمّ عاد بعد عشر دقائق ليطعنها عدّة مرّات أخرى، قبل أن يسرق خمسين دولارًا من حقيبتها. أخيرًا، توفّيت كيتي متأثّرة بجراحها.

أعلن البروفيسور كيندريد في قاعة المحاضرات: "لقد تعرّضت كيتي جينوفيز للهجوم والاغتصاب والقتل أمام ثمانية وثلاثين شاهدًا. ثمانية وثلاثون شخصًا شهدوا على الاعتداء، ولم يتقدّم أحد لمساعدتها أو يتّصل بالشرطة."

أستاذنا رجل ستّينيّ، شعره دائم التمرّد. جال على كلّ منّا بنظرات اتّهاميّة؛ كما لو كنّا نحن الأشخاص الثمانية والثلاثين الذين تركوا تلك المرأة لمصيرها، ثمّ قال: "هذا هو تأثير المتفرّج. إنّه ظاهرة في علم النفس الاجتماعي، تجعل الأفراد أقلّ ميلًا إلى تقديم المساعدة للضحيّة بوجود أشخاص آخرين."

كان الطلّاب في القاعة منهمكين في تدوين الملاحظات أو الكتابة على أجهزة الحاسوب المحمولة، أمّا أنا فاكتفيت بالتحديق إلى الأستاذ.

قال الأستاذ كيندريد: "فكّروا في الأمر؛ أكثر من ثلاثين شخصًا سمحوا بتعرّض امرأة للاغتصاب والقتل، واكتفوا بالمشاهدة من دون أن يحرّكوا ساكنًا. هذا مثال واضح على انتشار المسؤولية في المجموعة[1]."

تململت في مقعدي بعدم ارتياح، مُتَخيِّلةً ما كنت سأفعله لو وجدت نفسي في مثل ذلك الموقف؛ لو نظرت من نافذتي ورأيت رجلًا يعتدي على امرأة. لم أكن لأقف متفرّجة، هذا

---

(1) ظاهرة انتشار المسؤولية هي عندما ينتظر الأشخاص المعنيّون باتّخاذ قرار أن يتصرف شخص آخر بدلًا منهم. وكلما ازداد عدد المشاركين، ازداد معه احتمال عدم تحرك أيّ شخص، ظنًّا منهم أنّ شخصًا آخر من المجموعة سيستجيب على الأرجح.

مؤكّد. كنت سأقفز من النافذة لو اضطرّرت إلى ذلك.

لا، في الحقيقة، ما كنت لأفعل. فقد تعلّمت ضبط نفسي بشكل أفضل، لكنّني كنت سأطلب النجدة فورًا. كنت سأنزل إلى الشارع حاملةً سكّينًا. صحيح أنّني لن أستخدمها، لكن قد يكون وجودها كافيًا لإخافة المعتدي.

كان الخوف ما زال يلازمني وأنا أغادر قاعة المحاضرات، وأفكّر في تلك الفتاة المسكينة التي قُتِلت قبل أكثر من نصف قرن. وعندما وصلت إلى الشارع، مررت من أمام بروك من دون أن أنتبه إليه، بحيث اضطرّ إلى اللّحاق بي والإمساك بذراعي.

كالعادة، كان لدينا موعد على العشاء.

"مرحبًا". ألقى عليّ التحيّة مبتسمًا، كاشفًا عن أسنان بيضاء ناصعة لم أرَ لها مثيلًا. لم أسأله يومًا إن كان يقوم بتبييضها لدى طبيب أسنان، لكنّه يفعل بالتأكيد؛ إذ لا يمكن أن تكون الأسنان بهذه الدرجة من البياض بشكل طبيعي. "سنحتفل الليلة بوظيفتك الجديدة، أليس كذلك؟"

فقلت بابتسامة: "صحيح، أنا آسفة."

سألني بقلق: "هل أنت بخير؟"

"في الواقع، ما زلت تحت تأثير المحاضرة التي خرجت منها للتوّ. كانت تتناول امرأة تعرّضت في ستّينيّات القرن الماضي للاغتصاب أمام ثمانية وثلاثين شاهدًا، إلّا أنّ أحدًا منهم لم يتحرّك لإنقاذها. كيف يمكن لشيء كهذا أن يحدث؟"

أصدر بروك فرقعة بطرفَيْ إصبعيه وقال: "كيتي جينوفيز، أليس كذلك؟ أتذكّر هذه الحادثة من محاضرات علم النفس في جامعتي."

"صحيح، وهي حادثة مروّعة."

قال وهو يشبك أصابعه بأصابعي، بحيث شعرت بدفء راحة كفّه: "لكنّ القصّة مبالغ فيها، فصحيفة نيويورك تايمز ضخّمتها؛ إذ كان عدد الشهود أقلّ بكثير ممّا ذكرَتْ. وبالنظر إلى مواقع الشقق، لم يستطِع معظمهم رؤية ما كان يحدث فعلًا، واعتقدوا أنّها مجرّد مشادّة بين عاشقين. كما أنّ عددًا منهم اتّصل بالشرطة بالفعل. وأظنّ أنّ إحدى جاراتها كانت تحتضنها عندما وصلت سيّارة الإسعاف."

"آه". شعرت بشيء من القصور، كما يحدث غالبًا عندما أكتشف أنّ بروك أكثر دراية منّي في موضوع ما، وهو أمر يتكرّر كثيرًا، في الواقع. إذ يبدو لي أنّه يعرف كلّ شيء تقريبًا، وهذه إحدى الصفات العديدة التي تجعل منه رجلًا مثاليًّا.

أضاف وهو يحرّر يدي ويطوّق كتفيّ بذراعه: "لكنّها لم تعد قصّة مهمّة بالقدر نفسه، أليس كذلك؟" لمحنا انعكاسنا على زجاج أحد المتاجر، ولم أستطِع منع نفسي من التفكير في أنّنا نبدو

متناسبَين معًا. فقد كنّا أشبه بذلك النوع من الأزواج الذين يقومون بدعوة شخص إلى حفل زفافهم، ثمّ يشترون منزلًا بسياج أبيض في الضواحي، ليملؤوه بعد ذلك بالأطفال. تابع قائلًا: "على أيّ حال، لا ينبغي أن تشعري بالسوء بسبب شيء حدث منذ عقود. أنتِ... أنتِ طيّبة للغاية، أتعلمين ذلك؟"

لطالما شعرت بتلك الرغبة الملحّة في مساعدة من هم في مأزق. لكن مع الأسف، كان ذلك يجرّ عليّ المتاعب أحيانًا. ليتني كنتُ حقًّا بتلك الطيبة التي يراها بروك... لكنّه لا يعلم شيئًا. ابتسمت له بخفّة وقلت: "آسفة، الأمر أقوى منّي."

غمزني قائلًا: "أعتقد أنّ هذا ما دفعكِ إلى دراسة العمل الاجتماعي؛ هذا ما لم أتمكّن من إقناعكِ بمهنة مربحة أكثر."

كان صديقي السابق هو الذي أقنعني بسلوك هذا الطريق المهني؛ لكي أتمكّن من مساعدة المحتاجين من دون تجاوز حدود القانون. أنتِ تريدين مساعدة الجميع يا ميلي، وهذا ما يعجبني فيكِ. كان يفهمني جيدًا، لكنّه لم يعد هنا، مع الأسف.

ضغط بروك على كتفيّ برفق وقال: "على أيّ حال، لننسَ أمر النساء اللواتي قُتلن في الستينيّات. أخبريني عن وظيفتكِ الجديدة."

أخبرته عن "البنتهاوس" المذهل الذي يملكه آل غاريك. وحين وصفت له الإطلالة، والموقع، والطابق الثاني، أطلق صفيرًا خافتًا. مكتبة سُر مَن قرأ

قال بينما كنّا نعبر الشارع، ونحن نتفادى بصعوبة درّاجة كادت تصطدم بنا: "لا بدّ أنّ هذه الشقّة كلّفت ثروة". من الواضح أنّ راكبي الدّرّاجات في هذه المدينة لا يبالون على الإطلاق بإشارات المرور أو المشاة. تابع بروك: "أنا واثق من أنّهم دفعوا عشرين مليونًا على الأقلّ".

"يا إلهي! أتظنّ ذلك؟"

"بالتّأكيد، ومن الأفضل أن يكون أجرك عاليًا."

"إنّه كذلك". في الواقع، حين ذكر دوغلاس الأجر بالساعة، كدتُ أرى علامات الدولار تتطاير أمام عينيّ.

"ذكّريني باسم الرجل الذي وظّفكِ".

"دوغلاس غاريك."

فرقع مجدّدًا بطرفَي إصبعيه وقال: "آه، إنّه الرئيس التنفيذي لشركة كوينستوك. فقد التقيتُه ذات مرّة عندما استعان بمكتبي للحصول على براءة اختراع. إنّه رجل لطيف فعلًا."

"نعم، هذا ما بدا لي."

بدا لطيفًا بالفعل، لكنّني لم أكفّ عن التفكير في ذلك الباب المغلق في الطابق الثاني، وفي الزوجة التي لم تخرج حتّى لمقابلتي. فعلى الرغم من حماستي لهذه الوظيفة، إلّا أنّ شيئًا ما في ذلك يسبّب لي القلق.

شدّني بروك برفق إلى ممرّ المشاة - إذ كان ضوء إشارة المرور يومض إيذانًا بتغيّره إلى الأحمر - ونجحنا في العبور في اللحظة الأخيرة. قال مبتسمًا: "أتعلمين؟ المبنى يبعد خمسة مبانٍ فقط عن شقّتي."

تلميح واضح.

كنت أعلم بالتأكيد أنّ "البنتهاوس" قريب من شقّة بروك. وعندما قال ذلك، شعرت بعدم الارتياح؛ تمامًا كما حدث في قاعة المحاضرات. فقد أصبح بروك لجوجًا؛ إذ يريدني أن أسكن معه، ولا يبدو أنّه سيتخلّى عن الفكرة. المشكلة أنّني لا أستطيع التخلّص من هذا الشعور... أي لو كان بروك يعرفني حقًّا، لما رغب في ذلك. وأنا أحبّ رفقته، ولا أريد أن أفسد الأمر.

قلت: "بروك..."

فنظر إلى الأعلى بسأم وقال: "حسنًا، حسنًا. اسمعي، أنا لا أقصد الضغط عليكِ. إذا كنت غير مستعدّة للانتقال إلى شقّتي، فلا بأس. لكن، اعلمي أنّنا نشكّل فريقًا رائعًا برأيي. على أيّ حال، أنت تمضين نصف وقتك في شقّتي، أليس كذلك؟"

أجبتُه بصوت غير حاسم: "آه."

فابتسم لي كاشفًا عن أسنانه البيضاء المثالية: "أيضًا... يرغب والداي في لقائكِ."

حسنًا، الآن توتّرت تمامًا. فمع أنّه يلحّ عليّ بشأن الانتقال إلى شقّته، إلّا أنّه لم يخطر ببالي قطّ أن يخبر والديه عنّي؛ لكنّه فعل على ما يبدو. لا شكّ في أنّه يتّصل بهما كلّ يوم أحد عند الثامنة مساءً، ويطلعهما على كلّ تفاصيل حياته المثالية.

قلتُ بصوت واهن: "آه."

أضاف: "وأنا أيضًا أودّ مقابلة والديكِ."

كانت تلك لحظة مناسبة تمامًا لأخبره أنّني على قطيعة مع والدَيّ، لكنّ الكلمات لم تغادر شفتَيّ.

في الواقع، هذا ليس بالأمر السهل. فقد كان صديقي السابق يعرف كلّ شيء عنّي من البداية، لذا لم أضطرّ يومًا إلى الكشف عن ماضيّ المعقّد، ولم أعِش تلك اللحظة المرعبة التي يتوجّب عليّ فيها كشف كلّ شيء. ثمّ إنّ بروك... مثالي للغاية، وعيوبه الوحيدة تكاد تكون تافهة. على سبيل المثال، ترك مقعد المرحاض مرفوعًا ذات مرّة في شقّتي. وحتّى هذا لم يحدث سوى مرّة واحدة.

المشكلة أنّ بروك مستعدّ للاستقرار. ومع أنّنا في العمر نفسه، إلّا أنّني لست جاهزة بعد. أمّا هو، فلا يريد الانتظار. إذ يشغل وظيفة ممتازة في إحدى كبرى شركات المحاماة، ويجني أكثر من كفايته لإعالة أسرة. ومع أنّ فحوصات القلب الأخيرة أكّدت أنّه بصحّة جيّدة، إلّا أنّه يخشى ألّا يعيش حتّى متوسّط العمر المتوقّع للرجال في هذا البلد. لهذا السبب، يريد الزواج وإنجاب الأطفال وهو لا يزال قادرًا على الاستمتاع بالحياة.

أمّا أنا، فما زلتُ أشعر أنّني في طور النضوج. ما زلتُ طالبة في النهاية، ولستُ مستعدّة للزواج. ببساطة... لا أستطيع الاستقرار الآن.

توقّف عن السير ونظر إليّ، ممّا أدّى إلى اصطدام أحد المارّة بنا تقريبًا، فتمتم الرجل بشتيمة قبل أن يكمل طريقه. قال بروك بنبرة جادّة: "لا بأس، لا أريد استعجالكِ، لكن عليكِ أن تعرفي أنّني مجنون بك يا ميلي."

قلتُ له: "وأنا أيضًا مجنونة بك."

أمسك يديّ وحدّق إلى عينيّ: "في الحقيقة، أعتقد أنّني أحبّك."

تسارع نبضي قليلًا. فقد سبق أن قال إنّه مجنون بي، لكنّه لم يقل قطّ إنّه يحبّني، حتّى ولو كان الأمر مشروطًا بكلمة أعتقد.

فتحتُ فمي، غير واثقة ممّا عليّ قوله. لكن قبل أن أنطق بأيّ كلمة، اجتاحني ذلك الشعور المزعج، ذلك الوخز في مؤخّر عنقي.

لماذا أشعر أنّني تحت المراقبة؟ هل بدأت أفقد عقلي؟

قلتُ أخيرًا، في محاولة لكسر الصمت: "حسنًا، أعتقد أنّ هذا لطيف."

في الواقع، لم أكن مستعدّة للاعتراف بحبّي بعد. فأنا لا أستطيع أن أخطو هذه الخطوة في علاقتنا، بينما لا يزال ثمّة كثير من الأمور التي لا يعرفها بروك عنّي. ولحسن الحظّ، لم يُصرّ على الأمر.

قال: "هيّا بنا، فلنذهب لتناول بعض السوشي."

في مرحلة ما، سيتحتّم عليّ أن أخبره أيضًا أنّني لا أحبّ السوشي.

الفصل السادس

إنّه يومي الأوّل في العمل لدى آل غاريك.

كان دوغلاس قد أعطى تعليماته لحارس المبنى ليسمح لي بالدخول، وترك لي نسخة من المفتاح كي أتمكّن من إدخاله في فتحة المصعد. راح المصعد يئنّ ويَصرّ وهو يصعد عشرين طابقًا. حسنًا، بل تسعة عشر طابقًا. فمع أنّ الشقّة تحمل الرقم عشرين-أ، إلّا أنّ المبنى يفتقد الطابق الثالث عشر؛ إذ لا مكان لسوء الحظّ هنا.

صرّت تروس المصعد بصوت حادّ قبل أن يتوقّف عند الطابق المقصود. وحين انفتح الباب، وجدت نفسي مجدّدًا أمام شقّة آل غاريك المذهلة. على الرّغم من أنّ دوغلاس قال إنّهما سيحتاجان إلى خدماتي عدّة مرات أسبوعيًّا، إلّا أنّ الشقّة لا تبدو تقريبًا بحاجة إلى تنظيف. فثمة بعض الغبار، كما هو الحال في أيّ شقّة في المدينة، لكن بخلاف ذلك، المنزل مرتّب نسبيًّا.

ناديت: "مرحبًا؟ دوغلاس؟"

لكن لم يأتِني جواب.

حاولت مجدّدًا: "سيّدة غاريك؟"

تقدّمت إلى غرفة المعيشة، وأنا أشعر هذه المرّة أيضًا أنّني دخلت منزلًا يعود إلى زمن غابر. لن أتمكّن يومًا من شراء قطعة واحدة من هذه المفروشات العتيقة، حتّى لو أنفقت كلّ مدّخراتي. فقد انتقيت معظم أثاث شقّتي من بين مفروشات ملقاة على الرصيف أمام المبنى الذي أقطن فيه.

تقدّمتُ نحو الرفّ الذي يعلو ما بدا أنّه مدفأة وهمية، والذي اصطفّت عليه نحو ستّ صور، يظهر فيها دوغلاس غاريك برفقة امرأة نحيلة جدًّا ذات شعر كستنائيّ طويل. التُقِطت إحداها لهما على منحدر تزلّج، والأخرى وهما بملابس رسمية، وثالثة أمام ما يبدو كهفًا. رحت أتأمّل وجه المرأة التي لا بدّ أن تكون ويندي غاريك، وتساءلتُ عمّا إذا كنت سألتقي بها قريبًا، أم ستظلّ حبيسة ذلك الباب المغلق كلّما جئت إلى هنا. في الحقيقة، لا مشكلة لديّ في ذلك، فقد عملت لدى الكثير من الزبائن الذين لم أرَهم قطّ طوال فترة عملي لديهم.

دوّى صوت ارتطام عالٍ من الطابق العلوي، فقفزت مبتعدة عن المدفأة. إذ لا أريد أن يظنّ أحد أنّني كنت أتطفّل؛ فهذه لن تكون بالتأكيد بداية تعارف جيّدة بيني ووينديي غاريك.

تراجعتُ مبتعدة عن المدفأة، وألقيت نظرة نحو أسفل الدرج. لم يكن ثمّة أحد هناك، ولم أسمع وقع خطوات تقترب. لا يبدو أنّ أحدًا قادم.

قرّرت أن أبدأ بغسل الملابس. وكان دوغلاس قد أشار إلى سلّة الخيزران التي يضعون فيها غسيلهم المتّسخ في غرفة النوم الرئيسة. وما إن تبدأ الغسالة بالعمل، يمكنني الشروع في إنجاز باقي الأعمال.

صعدت السلّم الخشبي المصقول متّجهة إلى غرفة النوم الرئيسة الواسعة. وفي حجرة الملابس، وجدت السلّة التي أراني إيّاها دوغلاس قبل أيّام. لكن عندما فتحتها، ذُهِلت تمامًا.

خلال عملي في غسل الملابس، رأيت كثيرًا من الأشياء الغريبة. فقد رأيت ملابس لم تكمل طريقها إلى السلّة، بل تناثرت حولها في دائرة فوضوية. ورأيت شتّى أنواع البقع، من الشوكولاتة، إلى الزيت، ووصولًا إلى بقع كنت شبه متأكّدة أنّها دماء؛ غير أنّه لم يسبق لي أن رأيت شيئًا من هذا القبيل.

كانت كلّ الملابس المتّسخة مطويّة.

حدّقت إلى السلّة للحظات، محاوِلة استيعاب الأمر. هل أخطأت؟ هل هذه ملابس تمّ غسلها وينبغي إعادتها إلى الخزانة؟ فأنا لم أجد مبرّرًا لطيّ الملابس المتّسخة.

لكنْ هذه هي سلّة الغسيل التي أراني إيّاها دوغلاس، ولا بدّ أنّها تحتوي على الملابس المتّسخة.

حملت السلّة وخرجت بها من غرفة النوم الرئيسة. وبينما كنت أعبر الردهة نحو غرفة الغسيل، لاحظت أنّ باب غرفة الضيوف مفتوح قليلًا.

ناديتُ بحذر: "سيدة غاريك؟"

حدّقتُ عبر شقّ الباب، واستطعت تمييز عين خضراء تحدّق إليّ.

"أنا ميلي". هممتُ برفع يدي للتحيّة، لكنّني أدركت أنّ الأمر مستحيل وأنا أحمل السلّة، فوضعتها أرضًا. "أنا عاملة التنظيف الجديدة."

تقدّمت خطوة نحو الباب، ويدي ممدودة في مبادرة ودّية، لكن قبل أن أصل حتّى إلى منتصف المسافة، اختفت الفجوة الصغيرة. فقد أُغلِق الباب فجأة.

حسنًا...

أفهم أنّ بعض الأشخاص لا يميلون إلى التواصل الاجتماعي، خاصّة مع طاقم التنظيف. لكنْ ألم يكن بإمكانها أن تلقي عليّ التحيّة على الأقلّ، كي لا أبدو وكأنّني أتحدّث إلى الفراغ في وسط الردهة؟

على أيّ حال، هذا منزلها، وقد أخبرني دوغلاس أنّها تعاني من مرض ما. لذا، لن أضغط عليها لتتعرّف إليّ.

مع ذلك، هل سيكون من السيّئ حقًّا أن أطرق الباب وأخبرها باسمي؟

لكن لا، فقد طلب إليّ دوغلاس بوضوح عدم إزعاجها، لذا لن أفعل. سأنهي الغسيل، وأعدّ لهما العشاء، ثم أغادر.

الفصل السابع

بعد أن أنهيت الغسيل ورتّبت الطابق العلوي قليلًا (علمًا أنّه لم يكن ثمّة الكثير لفعله)، نزلت إلى المطبخ لأبدأ بتحضير العشاء.

لحسن الحظّ، تُرِكَت لي قائمة على باب الثلاجة. كانت عبارة عن قائمة طعام مطبوعة لهذا الأسبوع، بما في ذلك الوصفات والتعليمات المحدّدة حول كيفيّة شراء الموادّ الغذائية. وكانت بعض الملاحظات مكتوبة بخطّ اليد الذي بدا لي أنثويًّا، ولكن من الصعب أن أجزم. عندما قرأت التعليمات، بدأت حماستي للعمل تتلاشى تدريجيًّا:

يجب شراء الباتيه[1] يوم الثلاثاء من عند أوليفر دليكاتيسن قبل الساعة 4 مساءً.

إذا لم تجدي سوى التيرين[2]، فلا تشتريه. في هذه الحالة، اشتري الباتيه من عند فرانسوا.

يجب تقديم الباتيه على الخبز الريفي الذي ينبغي لك شراؤه من سوق لندن. خذي قطعة واحدة وادهني عليها الباتيه برفق، ثمّ ضعي فوقها الكورنيشون[3] الذي ستحضرينه من مستر رويال.

أردت حينئذٍ لو يخبرني أحدهم ما هو الباتيه، وما هو الكورنيشون. على الأقلّ، كنت أعرف ما هو الخبز. لكن لماذا يتحتّم عليّ الذهاب إلى أربعة متاجر لشراء هذه العناصر الثلاثة؟ وهل "مستر رويال" شخص أم مكان؟

من الجانب الإيجابيّ، لم يتبقّ الكثير للخيال. فالوصفات مرتّبة بحسب التاريخ، وما عليّ سوى إيجاد تاريخ اليوم والبدء بتحضير عشاء الليلة المكوّن من...

دجاجة كورنيش[4]. حسنًا، سيكون هذا مثيرًا للاهتمام.

بعد ساعتين، وضعت الملابس النظيفة في مكانها. كانت دجاجة الكورنيش تُطهى في الفرن، ورائحتها شهيّة جدًّا برأيي. وكنت قد جهّزت الطاولة لشخصين في غرفة الطعام. لذا،

---

(1) عجينة أو فطيرة محشوة باللحم المفروم أو أي حشوة أخرى، مثل الجبن أو الخضراوات.

(2) من المطبخ الفرنسي التقليدي، هو رغيف من اللحم المفروم أو الهلام، يشبه الباتيه، يتم طهيه في قالب فخاري مغطى.

(3) الكورنيشون هو نوع من الخضار شبيه جدًّا بالخيار، لكن أصغر حجمًا، يُقدّم كمخلّل.

(4) هي سلالة دجاج.

اكتفيت الآن بالوقوف في المطبخ، مكتوفة اليدين بانتظار نضوج الطعام. آمل أن يتزامن ذلك مع موعد العشاء، المحدّد عند الساعة السابعة تمامًا.

فجأة، بينما كنت أفتح الفرن لأفحص الدجاجة، انفتح باب المصعد مُصدِرًا صوتًا قويًّا، يمكن سماعه من بعد ميل. ثمّ تناهى إليّ وقع خطوات ثقيلة متّجهة نحو الردهة، وراح الصوت يعلو تدريجيًّا. "ويندي!" تردّد صوت دوغلاس في الشقّة. "ويندي، لقد عدت!"

تقدّمت إلى مدخل المطبخ، وأطللت على السلّم المؤدّي إلى الطابق الثاني. وقفتُ أصغي قليلًا؛ بانتظار أن يُفتَح باب غرفة الضّيوف، على أمل أن أتمكّن أخيرًا من استراق نظرة إلى السيّدة غاريك الشهيرة، ولكنّني لم أسمع شيئًا.

مسحت يديَّ ببنطالي وأنا أخرج من المطبخ قائلة: "مرحبًا، العشاء على وشك أن يجهز..."

وقف دوغلاس في غرفة المعيشة، ونظره مثبّت على السلّم. "ممتاز، شكرًا جزيلًا يا ميلي."

"على الرحب والسعة". تبعت نظراته نحو السلّم. "هل ترغب في أن أصعد لمناداة السيّدة غاريك؟"

"هممم". نظر إلى طبقَي الطعام الموضوعَيْن على طاولة السنديان المصنوعة على الطراز الفيكتوري، والتي بدت كما لو أنّ الملكة نفسها قد تناولت طعامها عليها، ثمّ أضاف: "أشعر أنّها لن تنضمّ إليّ الليلة."

"هل آخذ لها طبقًا إلى الطابق العلوي؟"

"لا داعي لذلك، سأحمله إليها بنفسي". ثمّ ظهرت على وجهه شبه ابتسامة وأضاف: "ما زالت تشعر بتوعّك، أنا متأكّد."

تمتمتُ: "لا بأس، سأُخرج الطعام من الفرن."

ثمّ أسرعتُ عائدةً إلى المطبخ لتفقُّد العشاء. أخرجتُ دجاجة الكورنيش من الفرن، وكانت تبدو مذهلة. أعني، بالنظر إلى أنّني لم أحضّرها من قبل، ولم يسبق لي أن سمعت بها إلّا نظريًّا.

استغرق الأمر منّي عشر دقائق أخرى لتقطيع هذا الشيء السخيف وفق التعليمات الدقيقة. لكن في النهاية، بات لديَّ طبقان جميلان. فحملتهما إلى غرفة الطعام، تمامًا في الوقت الذي رأيتُ فيه دوغلاس يهبط السلّم.

سألته وأنا أضع ما في يدي على الطاولة: "كيف حالها؟"

صمتَ قليلًا، وكأنّه يزن إجابته، ثمّ قال: "لم يكن يومها جيّدًا."

"هذا مؤسف."

فرفع كتفيه بلا مبالاة وقال: "ما باليد حيلة، لكن شكرًا لك على مساعدتكِ اليوم يا ميلي."

"على الرحب والسعة. هل تودّ أن أحمل طبق السيّدة غاريك إلى غرفتها؟"

لا أعلم إن كنت أتخيّل فحسب، لكنّ شفتَي دوغلاس توتّرتا عندما سمع اقتراحي، ثمّ قال: "لقد عرضتِ ذلك بالفعل، وقلتُ إنّني سآخذه بنفسي، أليس كذلك؟"

"نعم، لكن..." توقّفتُ قبل أن أتفوّه بشيء غبيّ. لا شكّ في أنّه يظنّ أنّني أُكثر من الكلام، ولم يكن مخطئًا تمامًا. "على أي حال، أتمنّى لك مساءً سعيدًا."

أجاب بفتور: "شكرًا، تصبحين على خير، ميلي."

التقطتُ معطفي، وتوجّهتُ نحو المصعد. حبستُ أنفاسي بينما كنتُ أنتظر الباب ليُغلق، ثم أرخيت كتفيّ. لم أكن أعلم السبب تحديدًا، لكنْ ثمّة أمر ما في تلك الشقّة يجعلني أشعر بعدم الارتياح.

الفصل الثامن

قال بروك: "ربما كانت مصّاصة دماء لا تستطيع مغادرة غرفتها خلال ساعات النهار وإلّا تحوّلت إلى رماد".

كنت قد أخبرتُ بروك بكلّ شيء عن آل غاريك. لذا، خلال احتسائنا شرابًا بعد العشاء في شقّته، راح يقدّم لي تفسيرات غير مجدية إطلاقًا لسبب ذهابي إلى هناك نحو ستّ مرّات من دون أن تخرج ويندي غاريك من غرفة الضيوف ولو مرّة واحدة؛ مع أنّني متأكّدة من وجودها هناك. فقد كانت المرّة التي انفتح فيها الباب قليلًا هي الوحيدة التي أوشكتُ فيها أن أراها.

قلتُ وأنا متربّعة على أريكة بروك: "هي ليست مصّاصة دماء".

"لا يمكنك أن تعرفي على وجه اليقين".

"بلى، لأنّه لا وجود لمصّاصي الدماء".

"أهي مستذئبة إذًا؟"

فضربتُ بروك على ذراعه، وكادت الضربة أن تتسبّب بسكب محتويات الكأس التي يحملها. "هذا ليس منطقيًّا، لماذا تحتاج إلى البقاء في غرفتها إذا كانت مستذئبة؟"

قال مفكّرًا: "حسنًا، ربّما كان لديها شريط أخضر صغير مربوط حول عنقها، وإذا فكّه أحدهم، فسيسقط رأسها؟"

أخذتُ رشفة من الشراب الذي سكبه لي بروك. لا شكّ في أنّ الزجاجات باهظة الثمن أفضل بكثير من تلك الرخيصة، لكنّني لا أستطيع أن أميّز بتاتًا تلك النكهات الدقيقة التي يتحدّثون عنها، مثل العسل أو اللافندر أو غير ذلك. فبروك يسألني دائمًا، بحيث صرتُ أكذب وأقول إنّني أستطيع تمييزها، لكنّني لا أفعل في الحقيقة، بل أتظاهر فحسب.

قلتُ: "يساورني إحساس غريب، هذا كلّ ما في الأمر".

"لقد أعطيتكِ خلاصة أفكاري". ثمّ أحاطني بذراعه وقال: "إذا لم تكن مصّاصة دماء، ولا مستذئبة، ولا رأسًا مفصولًا، فما الذي يحدث برأيك؟"

وضعتُ الكأس على الطاولة أمامي، وعضضتُ على شفتي السفلى، ثمّ أجبت: "بصراحة، لا فكرة لديّ، إنّه مجرّد إحساس سيّئ".

بدا على بروك الشرود للحظة وهو ينظر إلى الكأس التي لم أشرب منها سوى القليل. "ألن تنهي شرابك؟"

"لا أعلم، أعتقد أنّني لا أرغب في الشراب".

فقال باستنكار: "لكنّ هذا الشراب فاخر للغاية".

"أظنّ أنّني لستُ عطشى".

حدّق إليّ مصدومًا. "عطشى! ميلي، لا داعي لأن تكوني عطشى لتتذوّقي شرابًا جيّدًا".

"حسنًا". رفعتُ الكأس وأخذتُ رشفة أخرى. أتساءل أحيانًا عن سبب مواعدته لي أصلًا؛ بخلاف أنّني جميلة على حدّ قوله. فهو يتصرّف كما لو أنّه محظوظ لكونه معي، ولكن هذا جنون. فأنا لستُ الصيد الثمين هنا، بل هو. "أنتَ محقّ، إنّه لذيذ جدًّا".

أنهيتُ ما بقي من الشراب، لكنّ تفكيري كان منشغلًا طوال الوقت بآل غاريك.

الفصل التاسع

أصبحتُ معتادة على التنصّت كلّما مررت بباب غرفة الضيوف.

أعلم أنّ هذا يُعَدُّ تَطَفُّلًا، ولن أنكر ذلك، لكنّني لا أستطيع تمالك نفسي. فقد مرّ شهر منذ أن بدأت العمل لدى آل غاريك، ومع ذلك لم ألتقِ ويندي غاريك رسميًّا حتى الآن؛ لكنّني سمعت أصواتًا تصدر من تلك الغرفة، ولاحظت الباب مواربًا ثلاث مرّات على الأقلّ. وفي كلّ مرة، كان يُغلَق قبل أن أتمكّن من تقديم نفسي.

ليس من المبالغة القول إنّ خيالي قد بدأ يجرفني بعيدًا. فقد صادفت الكثير من الأمور الغريبة خلال سنوات عملي في تنظيف المنازل، كما صادفت أيضًا الكثير من الأمور السيّئة. ومع أنّني حاولت لفترة إصلاح بعضها، إلّا أنّني لم أعد أفعل ذلك منذ زمن طويل.

ليس منذ أن رحل إنزو.

هذه المرّة، وأنا أسير في الردهة، سمعت بوضوح صوتًا صادرًا من غرفة الضيوف. عادةً ما تكون الغرفة هادئةً، لذا جذب الصوت انتباهي، فتوقّفت مُمْسِكةً بالمكنسة الكهربائية، وألصقت أذني بالباب. وهذه المرّة، سمعت الصوت بوضوح أكبر.

إنّه بكاء.

ثمّة من يبكي في الداخل.

كنتُ قد وعدت دوغلاس بألّا أطرق الباب. لكن، ولسببٍ ما، تذكّرت قصّة كيتي جينوفيز. فحتّى لو كانت القصّة مبالغًا فيها برأي بروك، إلّا أنّني أعلم أنّه من المحتمل وقوع أمور غير محمودة عندما يَمضي الناس العاديون في طريقهم من دون أن يتدخّلوا.

طرقت الباب، وعلى الفور، توقّف البكاء.

ناديت: "سيدة غاريك، هل أنتِ بخير؟"

لم يأتِني جواب، فكرّرت قائلة: "سيدة غاريك، هل أنتِ على ما يرام؟"

ولمّا لم تجبني، جرّبت تكتيكًا آخر، فقلت: "لن أذهب قبل أن أتأكّد أنّكِ بخير؛ سأظلّ واقفة هنا طوال اليوم إن لزم الأمر"، ثمّ وقفت هناك وانتظرت.

بعد بضع ثوانٍ، سمعت خطوات خفيفة خلف الباب. فتراجعتُ خطوة إلى الوراء، ورأيت الباب ينفتح بمقدار بوصتين، ثمّ لاحت لي عين خضراء تحدّق إليّ. وكما توقّعت، كان بياض العين مشوبًا بالعروق الحمراء، وجفنها مُنتَفِخًا.

همسَت صاحبة العين بصوت حادّ: "ماذا تريدين؟"

قلت بسرعة: "أنا ميلي، عاملة التنظيف".

لم تردّ، فأضفت: "لقد سمعت بكاءً".

قالت بصوت متشنّج: "أنا بخير".

"هل أنتِ متأكّدة؟ لأنّني..."

فقاطعتني بحدّة: "أنا واثقة من أنّ زوجي أخبرك أنّني لست على ما يرام، أليس كذلك؟ أريد أن أرتاح فحسب".

"نعم، لكن..."

وقبل أن أتمّ جملتي، أغلقت ويندي غاريك الباب في وجهي. وهكذا انتهت جهودي للتواصل معها، لكنّني حاولت على الأقلّ.

عدت أدراجي نحو السلّم، وأنا أجرّ المكنسة الكهربائية خلفي. كنت أضيع وقتي بمحاولة التدخّل في ما لا يعنيني. وكلّما ذكرت الأمر أمام بروك هذه الأيّام، أوصاني بالاهتمام بشؤوني.

بينما كنت أضع المكنسة الكهربائية في مكانها، سمعت صوت باب المصعد وهو يُفتح. ثمّ ما لبث أن دخل دوغلاس غرفة المعيشة وهو يصفّر بصوت خافت، مرتديًا إحدى بدلاته فاحشة الثمن. كان يحمل باقة ورود في إحدى يديه، وصندوقًا أزرق مستطيلًا في اليد الأخرى.

قال لي بابتسامة مشرقة لا تتناسب إطلاقًا مع حالة زوجته التي تبكي في الطابق العلوي: "مرحبًا، ميلي. كيف تسير الأمور؟ هل أوشكتِ على الانتهاء؟"

أجبته بتردّد: "نعم..." لم أكن واثقة ممّا إذا كان عليّ إخباره بما سمعتُه. لكن إذا كانت زوجته تبكي، أليس من المفترض أن يرغب في معرفة ذلك؟ لذا، جازفتُ بالقول: "تبدو زوجتك محبطة، فقد سمعتها تبكي في غرفتها".

احمرّت وجنتاه قليلًا. "أنتِ لم... تتحدّثي إليها، أليس كذلك؟"

على الرّغم من أنّني لا أميل إلى الكذب، إلّا أنّه طلب إليّ بوضوح عدم إزعاجها. لذا، أجبت بسرعة: "كلّا، لم أفعل بالتأكيد".

فاسترخت كتفاه. "جيّد، عليكِ تركها وشأنها. فكما سبق لي أن قلت، هي ليست على ما يرام".

"نعم، أذكر ذلك..."

رفع الصندوق الأزرق وقال: "لقد أحضرتُ لها هدية". وضع الورود جانبًا، وفتح العلبة المخملية، ثم أراني إيّاها بفخر. "أعتقد أنّها ستحبّها".

نظرت إلى محتويات الصندوق، لأرى أجمل سوار وقع عليه نظري؛ سوار مرصّع بأحجار ماسيّة لا تشوبها شائبة.

قال دوغلاس بحماسة: "كما نقشتُ عليه إهداءً خاصًّا".

"أنا أكيدة أنّها ستحبّه".

حمل الورود وصعد السلّم، فتابعتُه بنظري وهو يختفي في الردهة، ثم سمعت الباب يُفتَح ويُغلَق.

لا أفهم ما يجري حقًّا. فدوغلاس يبدو زوجًا محبًّا ومتفانيًا. وبالمقابل، لا تبارح ويندي غرفتها على الإطلاق. ربّما تفعل ذلك في غيابي، لكنّني لم أرَ وجهها بالكامل إلّا في الصور.

ثمّة أمر غير طبيعي في هذا الوضع، ولا أعرف ما هو. لكن كما يقول بروك، هذا ليس من شأني، ولا يجدر بي التدخّل.

الفصل العاشر

هل أنت قادمة الليلة؟

مع أنّني رتّبت مع دوغلاس للذهاب إلى منزله الليلة لشراء لوازم الطهي والتنظيف، إلّا أنّه يحرص دائمًا على التأكيد برسالة نصّية؛ فهو مُنظَّم للغاية. وبالنظر إلى الأجر الذي يدفعونه لي، فإنّني أحرص على الردّ فورًا.

نعم، سأكون هناك!

لا محاضرات لهذا اليوم، لذا سأمضي فترة بعد الظهر في التسوّق لآل غاريك، قبل التوجّه إلى منزلهما لتنظيف الأوساخ غير المرئية وطهي العشاء. فقد مضى أكثر من شهر على عملي لديهما، وأصبحتُ معتادة تمامًا على هذا الروتين. أخذت قائمة المشتريات، لكن عليّ التوجه إلى مانهاتن لشراء كلّ ما يريدانه.

طلب إليّ بروك أن أبقى عنده الليلة الماضية - وكنت أمضي الكثير من الليالي هناك - نظرًا إلى قرب شقّته من "البنتهاوس" والجامعة؛ ولكن كان هذا سببًا إضافيًّا لرفضي البقاء. فبمكوثي عنده أكثر من ذلك، سأجد نفسي أعيش هناك فعليًّا، وهذا ما لا أريده.

ليس بعد، على الأقلّ، ليس قبل إخباره بالحقيقة. فهو يستحقّ ذلك.

مع ذلك، أنا خائفة؛ إذ أخشى أن يصاب بروك بالذعر وينفصل عنّي في الحال إذا عرف كلّ شيء عن ماضيّ. وما أخشاه أكثر هو أن تعمد عائلته الثرية والراقية إلى إقناعه بالتخلّي عنّي عندما تكتشف حقيقة أمري. فبروك مثالي، وكذلك أسرته، أمّا أنا، فإنّني أبعد ما أكون عن المثالية.

علاقتي السابقة كانت نقيضًا للمثالية، وقد ناسبني ذلك تمامًا. في الواقع، لا أدري ما الّذي يكشفه ذلك عن شخصيّتي؛ أي أن يكون توأم روحي شخصًا مثل إنزو أكاردي.

بدأت علاقتي بإنزو قبل أربع سنوات كصداقة، بعد أن انتهت إحدى الوظائف التي شغلتها على نحو غير متوقّع تمامًا. وبما أنّني لم أكن أملك الكثير من الأصدقاء، كنت ممتنّة بشدّة للدعم الذي قدّمه لي. وهكذا وصل بنا الأمر إلى قضاء كلّ أوقات فراغنا معًا تقريبًا. بالإضافة ذلك، فقد ساعدَنا ما لا يقلّ عن اثنتي عشرة امرأة على النجاة من علاقات مسيئة. وفي كثير من الأحيان، كان الأمر يقتصر على توفير الموارد المناسبة لهنّ. لكن في أحيان أخرى، كنّا نضطر

إلى أن نكون أكثر إبداعًا. وقد أنشأ إنزو شبكة علاقات سمحت له بالاستحصال على هويّات جديدة، وهواتف غير قابلة للتتبّع، وتذاكر سفر إلى أماكن بعيدة. فكنّا نساعد النساء على الهرب من علاقاتهن السامّة من دون اللجوء إلى العنف.

في الواقع، هذه ليست الحقيقة كاملةً. فلو أردت أن أكون صادقة تمامًا، لقلت إنّ الأمور كانت تخرج عن السيطرة أحيانًا... إلى حدّ ما. غير أنّنا اتفقنا أنا وإنزو على عدم الحديث عن تلك المرّات مجدّدًا. فقد فعلنا ما توجّب علينا فعله.

كان إنزو هو من شجعني على العودة إلى الجامعة لدراسة العمل الاجتماعي. ولم أكن أعلم حينذاك أنّه كان يضعني على طريق حياة طبيعية؛ حياة لم أحلم يومًا بإمكانية تحقيقها. فحتّى مع سجلّي الجنائي، لا يزال بإمكاني الحصول على وظيفة في العمل الاجتماعي. وبذلك يمكنني أن أفعل ما أحبّه، ولكن ضمن حدود القانون.

برأي بروك، نحن نشكّل ثنائيًّا جيّدًا. ومع أنّه قد يكون محقًّا، إلّا أنّنا - أنا وإنزو - كنّا بالفعل فريقًا متكاملًا؛ فقد عملنا معًا، وكان لدينا هدف مشترك. وبالإضافة إلى ذلك، كان طيّبًا، وشغوفًا، وجذّابًا إلى حدّ يثير الجنون. لا سيّما مع تلك الصفة الأخيرة، مهما حاولتُ أن أكون مجرّد صديقة له، لم يكن من السهل عليّ أن أتجاهل مزاياه الخارجية.

في ذلك الوقت، كرهتُ حقيقة انجذابي إليه. وفي إحدى الليالي، كنت في شقّته، نتناول معًا البيتزا من مطعمنا المفضّل (الذي صدف أن كان أيضًا الأرخص ثمنًا). وكنّا قد اخترنا الإضافات التي نحبّها: بيبروني وكثير من الجبن. ما زلتُ أذكر كيف ارتشف إنزو جرعة كبيرة من شرابه قبل أن يبتسم لي قائلًا: "هذا لطيف".

فوافقتُه الرأي: "نعم، صحيح".

وضع زجاجته على طاولة القهوة. وبعد كلّ تلك المنازل التي نظّفتها، أصبحت أشعر بشيء من الدوار كلّما رأيتُ أحدهم لا يستخدم قاعدة أكواب. قال لي: "أحبّ قضاء الوقت معكِ يا ميلي".

وعلى الرّغم من أنّني لم أكن أملك خبرة كبيرة مع الرجال، إلّا أنّ النظرة التي رمقني بها لم تكن تحتمل التأويل. وإن كانت لديّ أيّ شكوك، فقد تبدّدت لاحقًا. أخيرًا، همس قائلًا: "ربّما يجدر بنا أن نمضي وقتًا أطول معًا؟"

ماذا كان عساي أن أقول غير "نعم"؟ فما من امرأة يمكنها رفض طلب كهذا من إنزو أكاردي.

في الحقيقة، لطالما ظننتُ أنّ إنزو رجل متعدّد العلاقات، لكنّه بعد ذلك اليوم لم يعد يرى غيري. ومع أنّ علاقتنا تطوّرت بسرعة، إلّا أنّها بدت طبيعية تمامًا. فخلال بضعة أسابيع،

أصبحنا نقضي كلّ أوقاتنا معًا. وبعد فترة قصيرة، قرّرنا الانتقال إلى المسكن نفسه. كنّا متفاهمين تمامًا. وبين دراستي وعلاقتي بإنزو، كنتُ أكثر سعادة من أيّ وقت مضى.

وما زلتُ أذكر اليوم الذي انهار فيه كلّ شيء.

كنّا جالسَين على الأريكة، تلك التي أحضرها إنزو من الرصيف المجاور للمبنى الذي نسكن فيه. كانت لا تزال بحالة جيّدة وقابلة للاستخدام (مع بقعة واحدة لم نتمكّن من تحديد طبيعتها. لكنّ المسألة كانت بسيطة، لأنّنا اكتفينا بقلب الوسادة على الجانب الآخر). كان يطوّقني بذراعه العضلية، ونحن نشاهد فيلم العرّاب 2، لأنّ إنزو صُدِم مؤخّرًا عندما اكتشف أنّني لم أشاهد الثلاثية من قبل، وقال لي: "إنّه فيلم كلاسيكي يا ميلي!" أمّا أنا، فكنتُ أفكّر في مدى سعادتي، وفي صديقي الذي يفوق روبرت دي نيرو جاذبية.

فجأة، رنّ هاتفه.

دارت المحادثة بأكملها بالإيطالية، وحاولت التقاط كلمة أو اثنتين. كرّر مرارًا، Malata. فما كان منّي إلّا أن فتحتُ هاتفي وأدخلتُ الكلمة، فجاءتني الترجمة: مريضة.

حين أنهى المكالمة، التفت إليّ وقال بلكنته الثقيلة – التي تظهر أحيانًا عندما يُصاب بالتوتّر أو الغضب – إنّ والدته أُصيبت بجلطة دماغية، وإنّها في المستشفى. وكان عليه أن يعود إلى صقلية لرؤيتها، لا سيّما وأنّ والده وشقيقته قد رحلا، ولم يعد لديها أحد سواه. شعرتُ بالارتباك؛ لأنّه لطالما أخبرني أنّه لا يستطيع العودة إلى موطنه. فقبل أن يغادر بلاده، ضرب رجلًا واسع نفوذٍ وكاد أن يقتله بيديه، فأعلن هذا الأخير أنّه سيمنح من يأتيه برأسه جائزة قيّمة.

ذكّرته قائلة: "لكن، ألم تقل لي إنّك لا تستطيع العودة، وإنّ ثمّة أشخاصًا أشرارًا سيقتلونك إن عدتَ. أليس هذا ما قلته؟"

أجاب: "بلى، بلى، لكنّ هذه المسألة انتهت. فأولئك الأشرار... تكفّل بهم أشرار آخرون".

ما كان عساي أن أقول؟! لم يكن بوسعي أن أمنع صديقي من رؤية والدته بعد أن أُصيبت بجلطة. لذا منحته مباركتي، وسافر لرؤيتها في اليوم التالي.

رافقتُه إلى المطار، وعندما حان وقت الوداع، عانقني خمس دقائق كاملة قبل أن يعبر نقطة التفتيش. نظر إليّ، ووعدني قائلًا إنّه سيعود "قريبًا جدًّا".

غير أنّني لم أتوقّع ألّا يعود على الإطلاق.

أنا متأكّدة أنّه كان ينوي العودة، فهو ما كان ليكذب عليّ عمدًا. في الأيّام الأولى، كنّا نتحدّث عبر الهاتف كلّ ليلة، وكان الحديث يتّخذ منحًى حميميًّا أحيانًا. فيهمس لي كم هو مشتاق إليّ، وكم يتوق إلى اجتماعنا مجدّدًا. لكن مع استمرار مرض والدته، بدأ يتّضح لي تدريجيًّا أنّه لا يستطيع الرحيل، كما أنّها لم تكن قادرة على المجيء إلى هنا.

كان قد مضى عام كامل لم أرَ فيه وجهه، حين سألته أخيرًا بصراحة: "أخبرني الحقيقة، متى ستعود؟"

فأطلق تنهيدة طويلة قبل أن يجيب: "لا أدري، فأنا لا أستطيع أن أتركها يا ميلي".

"وأنا لا أستطيع الانتظار إلى الأبد".

أجاب بحزن: "أعلم". ثمّ أضاف: "أنا أفهم موقفكِ".

وهكذا انتهى كلّ شيء، بتلك البساطة. وبعد بضعة أشهر، حين عرض عليّ بروك أن نخرج معًا، لم يكن لديّ سبب لأرفض.

مع إنزو، كانت حياتي مغامرة دائمة. أمّا الآن، فأنا في طريقي إلى الحياة الطبيعية المثالية التي لم أعتقد يومًا أنّها في متناولي. فبروك لا يملك أصدقاء يمكنهم تدبير جواز سفر مزوّر خلال أربع وعشرين ساعة. ويمكنني أن أتخيّل كيف سيحدّق إليّ بذهول لو طلبتُ إليه شيئًا كهذا.

بالمقابل، كان لدى إنزو صديق لكلّ مشكلة تصادفه. وكانت هذه تقريبًا جملته المعتادة كلّما طلبت مساعدته: "لديّ صديق".

والآن، أنا بصدد القيام بأكثر المهامّ اعتيادية: الخروج لشراء البقالة. مع العلم أنّه ما من شيء عاديّ في القائمة التي أرسلها لي دوغلاس هذا الصباح. فبينما كنت أتفحّص العناصر الأولى، انكمشتُ فزعًا من غرابة الأشياء التي يريد مني البحث عنها:

فاكهة الكفّ[1]

رؤوس السرخس[2]

بطّيخ الفأر[3]

حرنكش[4]

أنا شبه مُتَأَكّدة أنّ هذه الأسماء من اختراعه. بطّيخ الفأر؟ لا يمكن لهذا الاسم أن يكون لطعام حقيقي، بل تبدو الكلمة مختلَقَة حتمًا.

حملت قائمة التسوّق، وارتديت سترتي، ثمّ هبطت السلّم. لا فكرة لديّ عن المدّة التي سيستغرقها العثور على بطّيخ الفأر، أو حتّى معرفة ماهيته، لذا من الأفضل أن أمنح نفسي بعض الوقت.

---

(1) ثمرة حمضية تبدو مثل الليمون مع شرائح طويلة تشبه الأصابع.

(2) السعف المتجعد من نبات السرخس الصغير، الذي يُحصد لاستخدامه كخضار.

(3) فاكهة تبدو كالبطيخ؛ لكنها بحجم العنب وبطعم الخيار الممزوج بالليمون.

(4) فاكهة استوائية.

بوصولي إلى الطابق الأرضي، كدت أرتطم بذلك الرجل الذي يسكن في الشقّة الواقعة أسفل شقّتي مباشرةً؛ الرجل ذي الندبة فوق حاجبه الأيسر، فشعرت بانقباض خفيف في معدتي عندما رأيته.

ابتسم لي قائلًا: "مرحبًا". كانت سنّه الثانية إلى اليسار ذهبيّة، ممّا ذكّرني بجو بيشي في فيلم "وحدي في المنزل"، الذي كان المفضّل لديّ في طفولتي. "تبدين على عجلة من أمرك".

اعتذرت بابتسامة سريعة: "نعم، آسفة".

"لا بأس". اتسعت ابتسامته وهو يضيف: "بالمناسبة، أنا زافييه".

فأجبته مُتَجنِّبةً ذكر اسمي الأول: "تشرفتُ بلقائك".

"ميلي، أليس كذلك؟"

حسنًا، لم تنجح استراتيجيتي. أشعر بعدم الارتياح؛ فهذا الرجل لا يعرف مكان سكني فحسب، بل يعرف اسمي أيضًا، وربّما شهرتي. غير أنّه من السهل بالتأكيد معرفة هذه التفاصيل من صناديق البريد.

ما زلت أشعر بين الحين والآخر بأنّني مراقَبة. وعلى الرّغم من أنّني أعتقد أحيانًا أنّ الأمر كلّه مجرّد أوهام، إلّا أنّني لم أعد متأكّدة من ذلك الآن. فزافييه يعرف عنّي أكثر ممّا ينبغي. هل من الممكن أن يكون...؟

يا إلهي، لا يمكنني التفكير في هذا الاحتمال الآن. فالتجوّل في شوارع جنوب برونكس مخيف بما فيه الكفاية، ولا ينقصني القلق من احتمال تعرّضي للملاحقة من الرجل القاطن تحت شقّتي. ربما يجدر بي قبول عرض بروك والانتقال للإقامة في شقّته. فمن المحتمل أن يتركني زافييه وشأني إذا انتقلت إلى آبر ويست سايد. وإن لم يفعل، فسيكون عليه التعامل مع حارس المبنى ببزّته وقبعته؛ إذ لا يمكن لأحد أن يتجاوز أولئك الحرّاس. أعتقد أنّهم يستطيعون استخدام قبعاتهم كأسلحة مرتدّة إذا لزم الأمر.

سألني زافييه: "ماذا تفعلين اليوم؟"

أجبته وأنا أتوجّه نحو المخرج: "أنا ذاهبة لشراء بعض الحاجيات وحسب."

"أحقًّا؟ هل ترغبين في مرافقة؟"

"لا، شكرًا."

بدا لي أنّ لدى زافييه المزيد ليقوله، لكنّني لم أمنحه الفرصة، بل تجاوزته وخرجت من الباب. سواء انتهى بي الأمر مع بروك أم لا، فقد أضطرّ إلى الانتقال قريبًا. فأنا لا أشعر بالراحة بالقرب من هذا الرجل. وحدسي ينبئني أنّه من النوع الذي لا يقبل الرفض.

الفصل الحادي عشر

عندما وصلتُ إلى شقة آل غاريك، كنتُ أحمل أربعة أكياس مليئة بالمشتريات. تدبّرت أمري جيّدًا مع حمولتي حتّى اقتربتُ من آخر مبنى، وكدتُ أُسقِط كلّ شيء أرضًا. لكن بعون الله، وصلتُ أخيرًا سالمة غانمة، مع بطّيخ الفأر وكلّ الأغراض الأخرى. (اتّضح أنّ لهذه الفاكهة وجودًا بالفعل، وقد تمكّنتُ من العثور عليها في متجر لبيع المنتجات الإسبانية).

لحسن الحظّ، لم أضطرّ إلى العبث بمقبض الباب؛ لأنّ باب المصعد انفتح على الفور، فتمكّنتُ من الدخول من دون عناء. كنتُ أنوي التوجّه إلى المطبخ مباشرة، لكن في منتصف الطريق، اضطررتُ إلى وضع كلّ الأكياس من يدي على الأرض وأخذ استراحة قصيرة. فلو سقطت حبّات بطّيخ الفأر وتكسّرت، لربّما سأجلس على الأرض وأبكي حتّى تجفّ دموعي.

وبينما كنتُ واقفة في غرفة المعيشة، أحاول التفكير في أفضل طريقة لنقل الأغراض إلى المطبخ، سمعتُ ذلك الصوت.

كان صراخًا.

حسنًا، ليس صراخًا واضحًا، بل مكتومًا. لم أستطع تمييز الكلمات، لكن بدا لي أنّ شخصًا ما في غرفة النوم العلوية يصرخ بشدّة. فتركتُ الأكياس خلفي واقتربتُ من الدرج، محاوِلةً الإصغاء أكثر. عندئذٍ، سمعتُ صوت التحطّم.

كان كصوت زجاج يتكسّر.

وضعتُ يدي على الدرابزين، تأهّبًا للصعود والتحقّق ممّا يجري. لكن قبل أن أخطو خطوة واحدة، سمعتُ صوت بابٍ يُغلَق بعنف في الطابق العلوي، ثمّ علا وقع أقدام على الدرج، فتراجعتُ خطوة إلى الوراء.

"ميلي." توقّف دوغلاس عند أسفل الدرج. كان يرتدي قميصًا رسميًّا ويحمل بيده اليمنى كيس هدايا، وبدا وجهه محمرًّا كما لو أنّ ربطة عنقه كانت مشدودة، مع أنّها مرتخية. سألني: "ماذا تفعلين هنا؟"

أجبتُ متلعثمة: "أنا... لقد أحضرتُ المشتريات، وكنتُ على وشك أن أضعها في المطبخ."

ضاقت عيناه وهو يسأل: "إذًا، لمَ لستِ في المطبخ؟"

فابتسمتُ بارتباك: "سمعتُ صوت تحطّم، فخشيت أن..."

أثناء حديثي، لاحظتُ تمزقًا في قماش قميصه الفاخر. في الواقع، لم يكن مجرّد فتق بسيط، بل تمزّقًا فوق جيب الصدر مباشرة.

قال باقتضاب: "كلّ شيء على ما يرام". ثمّ أضاف: "سأتولّى أمر المشتريات بنفسي، يمكنكِ الانصراف."

"حسنًا..."

لم أستطِع أن أشيح بنظري عن ذلك التمزّق في قميصه. كيف حدث ذلك؟ فالرجل يعمل مديرًا تنفيذيًّا، ولا يقوم بأيّ أعمال شاقة. هل تمزّق قمصيه للتوّ، في غرفة الضيوف؟

مدّ يده وأعطاني كيس الهدية الصغير الوردي. "أريدكِ أن تعيدي هذا بدلًا منّي، فويندي لا تريده."

أخذتُ الكيس الصغير، ولمحتُ فيه قماشًا حريريًا. "حسنًا، لكن هل الإيصال موجود هنا؟"

"لا، إنّه هدية."

"لكن... لا أعتقد أنّني أستطيع إعادته بدون إيصال. من أين تمّ شراؤه؟"

صرّ دوغلاس على أسنانه: "لا أعرف، مساعِدتي هي الّتي اشترته. سأرسل لكِ نسخة عن الإيصال عبر البريد الإلكتروني."

"إذا كانت مساعدتك هي التي اشترته، ألن يكون من الأسهل أن تعيده بنفسها؟"

أمال رأسه وهو يحدّق إليّ، ثمّ سألني: "عذرًا، لكن أليس من واجبك تنفيذ المهمّات التي أطلبها إليكِ؟"

أرجعتُ رأسي إلى الخلف؛ فللمرّة الأولى منذ أن بدأتُ العمل هنا، يتحدّث إليّ دوغلاس بهذه الفظاظة. لطالما ظننته رجلًا لطيفًا، وإن يكن متوتّرًا ومشتّت الذهن، لكنّني أدركت الآن أنّ لديه وجهًا آخر.

لكن، أليس لكلّ منّا وجه آخر؟

وقف دوغلاس غاريك يحدّق إليّ. توقّع منّي أن أغادر المنزل، لكنّ كلّ خليّة في جسدي كانت تحثّني على البقاء، والصعود إلى الطابق العلوي للاطمئنان إلى أنّ كلّ شيء على ما يرام.

أخيرًا، وقف بيني وبين الدرج، ثمّ عقد ذراعيه أمام صدره ورفع حاجبيه الكثيفين. لن أتمكّن من تجاوزه، وحتّى لو فعلتُ، وطرقتُ باب غرفة النوم، يساورني شعور بأنّ ويندي غاريك ستؤكّد لي أنّها بخير.

لذا، لم يكن بوسعي فعل شيء سوى الرحيل.

الفصل الثاني عشر

خلال رحلتي الممتدّة لمسافة كيلومتر واحد من محطّة المترو إلى مبنى شقّتي، عاودني ذلك الشعور المزعج بوخز في مؤخّر عنقي.

عندما أشعر به في مانهاتن، في الحيّ الفاخر الذي أعمل فيه ويعيش فيه صديقي، يبدو الأمر وكأنّني مصابة بجنون الارتياب. لكن الآن، في جنوب برونكس، بعد أن غربت الشمس، يصبح الارتياب منطقيًّا. لم أكن أرتدي ملابس تلفت الانتباه، بل بنطال جينز أزرق أكبر من مقاسي بدرجة على الأقلّ، ومعطفًا منتفخًا لا يتّسم حقًّا بالأناقة، ذا لون داكن يهدف إلى التماهي مع الليل، كما أنتعل حذاء نايكي رماديًّا، كان أبيض اللون في ما مضى. لكن على الرغم من ذلك، كنت أبدو امرأة. حتّى مع القبّعة الصوفية المضغوطة على شعري الأشقر ومعطفي القبيح المنتفخ، يستطيع معظم الناس تمييزي كامرأة من على بعد مئتي متر.

لذا، حثثت خطاي. كنت أحمل في جيبي عبوة من رذاذ الفلفل، وكانت أصابعي ملتفّة حولها. لكنّ هذا الشعور لن يختفي حتّى أدخل المبنى وأغلق الباب خلفي.

تلك هي المسألة؛ فأنا لا أشعر بذلك الوخز عندما أكون في شقّتي، ولا حين أقوم بتنظيف منزل آل غاريك. لا يساورني هذا الإحساس إلّا عندما أكون في الخارج، في وقت يمكن فيه بالفعل لشخص ما أن يراقبني. ولهذا السبب، أعتقد أنّ الإحساس حقيقي.

أو ربّما كنت مجنونة؛ هذا احتمال أيضًا.

أرسل لي بروك رسالة نصّيّة يسألني فيها عمّا إذا كنت أرغب في القدوم إلى منزله الليلة، لكنّني أخبرته بأنّني متعبة.

انصرف ذهني عن بروك وأنا أسحب بعض الرسائل من صندوق البريد، فقد كانت جميعها فواتير. كيف يُعقَل أن تكون لديّ كلّ هذه الفواتير؟ فأنا أشعر أنّني أنفق المال بالكاد. على أيّ حال، كنت أدسّ الرسائل في حقيبتي عندما سمعت قفل باب المبنى يدور. بعد لحظات، اندفعت موجة من الهواء البارد، ورأيت ذلك الرجل ذا الندبة فوق حاجبه الأيسر يدخل.

زافييه، ذاك اسمه كما قال.

قال لي بمرح زائد: "مرحبًا، ميلي. كيف حالك؟"

أجبته بجفاء: "بخير."

ثمّ استدرتُ متجهةً إلى الدرج، آملةً أن يتوقّف عند صندوق بريده. لكن على العكس من ذلك، أسرع للّحاق بي، محاولًا السير بجانبي.

سألني: "هل لديك خطط الليلة؟"

فأجبتُه وأنا أهرول صعودًا إلى الطابق الثاني، لأتمكن أخيرًا من التخلّص منه: "لا".

قال: "يمكنكِ المجيء إليّ، لنشاهد فيلمًا."

"أنا مشغولة."

"لا، لستِ كذلك؛ فقد قلتِ للتوّ إنّك لا تخطّطين لفعل شيء الليلة".

صررتُ على أسناني بقوّة. "أنا متعبة، سأستحمّ ثمّ أنام."

فابتسم زافييه، ولمعت سنّه الذهبية تحت أضواء السلّم الخافتة: "وهل ترغبين في صحبة أحدهم أثناء ذلك؟"

أدرتُ وجهي بعيدًا عنه. "لا، شكرًا."

وصلنا إلى الطابق الثاني، وتوقّعتُ أن يمضي في طريقه، لكنّه واصل الصعود بجانبي، فانقبضت معدتي، ومددت يدي إلى جيبي أتحسّس عبوة رذاذ الفلفل.

قال بإلحاح: "لِمَ لا؟ لا يمكنكِ أن تكوني معجبة بذلك الشابّ الثريّ المتأنّق الذي يزورك دائمًا هنا. أنتِ بحاجة إلى رجل حقيقي."

تجاهلتُه هذه المرّة. فبعد دقيقة واحدة فقط، سأكون في شقّتي. ما عليّ سوى الوصول إليها.

"ميلي؟"

خمس درجات أخرى، خمس درجات فقط وسأتخلّص من هذا الوغد. أربع، ثلاث، اثنتان...

لكن عندئذٍ، شعرتُ بيد تمسك بذراعي، وأصابعه تضغط على بشرتي.

لن أتمكّن من الوصول.

الفصل الثالث عشر

"مهلًا." أطبقت قبضة زافييه الغليظة بشدّة حول ذراعي. "مهلًا!"

رحتُ أتلوّى محاوِلةً الإفلات، لكنّ قبضته كانت كالمِلقط، وكان أقوى ممّا يبدو عليه. فتحتُ فمي استعدادًا للصراخ، لكنّه ضغط براحة يده على شفتيَّ قبل أن أتمكّن من إصدار أيّ صوت، فارتطم مؤخّر رأسي بالجدار، واصطكّت أسناني بعضها ببعض بعنف.

ابتسم ساخرًا: "إذًا، هل أصبح لديكِ ما تقولينه الآن؟ قبل قليل، كنتِ تظنّين نفسكِ أعلى شأنًا منّي، أليس كذلك؟"

حاولت التملّص منه، لكنّه ثبّتني، مانعًا إيّاي من الحراك. أخيرًا، لعق شفتيه المتشقّقتين قائلًا: "هيّا بنا إلى الداخل لنستمتع قليلًا، ما رأيكِ؟"

غير أنّه كان يمسك بالذراع الخطأ. فما كان منّي إلّا أن سحبت عبوة رذاذ الفلفل، وأغمضتُ عينيّ وأنا أفرغها مباشرة على وجهه. فصرخ متألّمًا، وما إن رفعتُ إصبعي عن فوّهتها، حتّى دفعته بكلّ ما أوتيت من قوّة.

لطالما اشتكيتُ من مدى انحدار الدرج في هذا المبنى، لكنّه كان في صالحي هذه المرّة؛ إذ تدحرج زافييه على الدرجات، حتّى سمعت فجأة صوت طقطقة مروّعة، تلاها ارتطام مكتوم عندما وصل إلى الأسفل. بعد ذلك... خيّم صمت مطبِق.

وقفتُ قليلًا عند أعلى الدرج، أحدّق إلى جسده الممدّد عند المنعطف التالي. هل مات؟ هل تُراني قتلته؟

هرعتُ إلى الأسفل، ثمّ توقّفت فجأة. كانت عبوة رذاذ الفلفل لا تزال في يدي اليمنى وأنا أنحني لإلقاء نظرة عن كثب. يبدو أنّ صدره لا يزال يعلو ويهبط، ثمّ ما لبث أن أطلق أنينًا خافتًا. هذا يعني أنّه لا يزال على قيد الحياة، حتّى إنّني لم أُفقِده وعيه.

يا للأسف! إن كان ثمّة من يستحقّ أن يدقّ عنقه، فهو هذا الوغد.

لكن لا، ربّما من الأفضل ألّا يموت.

من دون تفكير، رفعت قدمي، ثمّ ركلته بأقصى قوّة في أضلاعه، فأطلق أنينًا أعلى هذه المرّة. لا شكّ في أنّه حيّ. ركلته ثانية، ثمّ ثالثة، وكلّما ارتطم حذائي بأضلاعه، ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهي.

حدّقتُ إلى سلسلة الدرجات التالية. لقد نجا من السقوط الأوّل، فهل تُراه ينجو من سقوط ثانٍ؟ أو ربّما ثالث؟ لا يبدو ثقيلًا جدًّا، بل أنا واثقة من أنّني أستطيع دفعه بسهولة...

لا، يا إلهي، ما الذي أفكر فيه؟

لا يمكنني فعل هذا. لقد أمضيت عشر سنوات في السجن، ولن أعود إلى هناك مجدّدًا.

عندئذٍ، أخرجت هاتفي وطلبت النجدة.

سأنال حقّي، لكن ليس بقتل هذا الرجل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الرابع عشر

بعد ساعة، كانت سيّارة الشرطة والإسعاف متوقّفتَين خارج مبنى شقّتي. في الواقع، ليس من المستغرب رؤية سيّارة شرطة في شارعنا، لكن هذه المرّة، كانت أضواؤها تومض.

كنت آمل أن يصطحبوا زافييه إلى السجن مباشرة، لكنّه أصيب بكسر في ذراعه، وبارتجاج في الدماغ، وربّما كانت لديه بعض الأضلاع المكسورة. وبحلول الوقت الذي وصلت فيه الشرطة، كان قد بدأ يستعيد وعيه، حتّى إنّه حاول النهوض. ومن حسن الحظّ أنّ الشرطة وصلت في الوقت المناسب، وإلّا كنت سأضطرّ إلى البحث عن شيء آخر أطرحه به أرضًا.

ما أزعجني أنّ أحدًا من جيراني لم يخرج لمساعدتي. لذا، مهما يكن ما قاله بروك عن حادثة كيتي جينوفيز، يمكنني التأكيد على أنّ رجلًا حاول الاعتداء عليّ في ردهة المبنى الذي أقطن فيه، ولم يخرج أحد لنجدتي. ما خطب الناس حقًّا؟

عندما وصل رجال الشرطة، طرحوا عليّ بعض الأسئلة، ثمّ طلبوا إليّ العودة إلى شقّتي وانتظارهم حتّى انتهاء الإجراءات. وهذا ما فعلته. اتصلتُ ببروك، وأخبرته أنّ أحد الجيران حاول الاعتداء عليّ، لكنّني لم أدخل في تفاصيل كيفيّة فراري منه. إنّه في طريقه إليّ الآن، لكنّني لن أبارح مكاني قبل أن أدلي بشهادتي الرسمية التي ستضمن إرسال زافييه إلى السجن حالما ينتهون من معالجة ذراعه المكسورة. آمل أن يحتاج ذاك اللعين إلى جراحة.

من نافذتي، راقبت سيّارة الإسعاف وهي تبتعد. كنت أتابع كلّ شيء منذ أن طلبوا إليّ العودة إلى الطابق العلوي. تحدّث رجال الشرطة إلى بعض الجيران في الخارج، وتحدّثوا إلى زافييه في الجزء الخلفي من سيّارة الإسعاف مطوّلًا قبل انطلاقها. بعد ذلك، وقف بعض الضبّاط عند المدخل يتناقشون. لا يمكنني حتّى أن أتخّيل ما يتحدّثون عنه؛ فقد هاجمني رجل على بُعد خطوات من باب شقّتي؛ القضيّة واضحة تمامًا.

أخيرًا، أشار أحد الضبّاط إلى نافذتي.

بعد لحظات، دخل أحد رجال الشرطة المبنى، فابتعدتُ عن النافذة، ومسحت كفّيّ المتعرّقتَين بسروالي الجينز. كانت العلامة الحمراء لا تزال ظاهرة على ذراعي في الموضع الذي

أمسكني فيه زافييه، وكان مؤخّر رأسي لا يزال يؤلمني قليلًا من الارتطام بالجدار، لكنّ وضع ذلك المعتدي أسوأ من وضعي بكثير.

لقد نال ما يستحقّه على أيّ حال.

عندما بدأ الطرق العنيف على بابي، فتحت على الفور. كان الرجل الواقف أمامي يبدو في الثّلاثينيّات من عمره، بذقن غير حليقة، وتعبير طغى عليه الملل، وكأنّه سبق له أن قبض على أربعة رجال آخرين هذه الليلة حاولوا الاعتداء على نساء على الأدراج المؤدّية إلى شققهنّ.

قال: "مرحبًا، هل أنتِ ويلهيلمينا كالواي؟"

شعرت بانزعاج طفيف من سماع اسمي الكامل، غير أنّني أجبت: "هذا صحيح."

"أنا الضابط سكاڤو، هل يمكنني الدخول؟"

عندما كنت في السجن، لطالما سمعت النساء يردّدن أنّه إذا طلب شرطي دخول منزلك، فلديكِ الحقّ في الرفض. لا تدعن هؤلاء الأوغاد يدخلون. لكن من ناحية أخرى، هم ليسوا هنا للتحقيق معي. فوجدت حلًّا وسطًا؛ إذ سمحت له بالدخول، لكنّنا لم نجلس.

كان هذا الشرطيّ مختلفًا. فبعد الحادث مباشرة، تحدّثت إليّ شرطيّة، واحتضنتني. غير أنّني لا أظنّ أنّ هذا الرجل سيتعامل معي بالقدر نفسه من الحنان، ولا أريده أن يفعل.

قال سكاڤو: "أودّ مراجعة ما حدث الليلة بينك وبين السيّد مارين."

"حسنًا". عقدت ذراعيّ حول صدري، وقد اجتاحتني برودة مفاجئة؛ مع أنّ التدفئة كانت تعمل أخيرًا كما يجب. "ماذا تريد أن تعرف؟"

تفحّصني سكاڤو بنظراته. "هل هذه هي الملابس الّتي كنتِ ترتدينها وقت الحادث؟"

لم أفهم قصده، إذ بدا وكأنّه يلمح إلى أنّني أرتدي ملابس غير لائقة. فقد كنت أرتدي قميصًا قطنيًّا وسراويل جينز أزرق، وهي الملابس نفسها التي كنت أرتديها قبل قليل. صحيح أنّ القميص كان ضيقًا قليلًا، لكن ليس إلى درجة لفت الأنظار، وكأنّ لذلك أيّ أهمّية أصلًا. أجبت: "نعم، لكنّني كنت أرتدي معطفًا فوقها."

"آه-ها". ارتسمت على وجهه ملامح الشكّ، وكأنّه لا يصدّقني تمامًا؛ وكأنني أغريتُ زافييه بقميصي العادي وسروالي الفضفاض. "إذًا، أخبريني بما حدث بالضبط."

كرّرت القصّة للمرّة الثالثة هذه الليلة. كان الأمر أسهل هذه المرّة؛ لأنّ صوتي لم يرتجف وأنا أصف له كيف أمسك بي. ثمّ رفعت معصمي كدليل، لأريه العلامات الحمراء التي تركها، لكنّ لم يبدُ عليه التأثّر إطلاقًا.

قال: "وهل هذا كل شيء؟ هل أمسك بذراعك فحسب؟"

"كلّا". شددتُ قبضتيَّ بإحباط. "قلت لك، لقد أمسك بي وضغط بجسده عليّ."

"كيف؟"

"دفع جسده بالكامل نحوي!"

عقد حاجبيه. "هل من المحتمل أن تكوني قد أسأتِ فهم المسألة برمّتها؟ ربّما كان يحاول أن يكون ودودًا وحسب؟"

حدّقتُ إليه مذهولة.

"آنسة كالواي، المسألة باختصار هي كالآتي". ونظر إليّ بحدّة متابعًا: "يقول السيّد مارين إنّه كان يُجري معك حديثًا وديًّا، لكنّك فقدتِ أعصابك، ثم رششته برذاذ الفلفل، ودفعته من أعلى الدرج."

"هل تمزح معي أم ماذا؟" في تلك اللحظة، رغبت بشدّة في رشّ الضابط سكاڤو برذاذ الفلفل، ودفعه هو الآخر من أعلى الدرج. "ليس هذا ما حدث على الإطلاق! هل تصدّقه فعلًا؟ في هذه الحال، أنتَ تقف في صفّه!"

"في الواقع، رأتكِ إحدى جاراتكِ وأنتِ واقفة إلى جانبه تركلينه في أضلاعه مرارًا، حتّى إنّها خافت من الخروج."

فتحت فمي لأعترض، لكن لم يصدر عنّي سوى صوت حادّ مكتوم.

تابع الشرطي: "نحن نعتقد أنّ السيّد مارين يعاني من بضعة كسور في الأضلاع. وثمّة شاهدة رأتكِ تركلينه في أضلاعه بينما كان فاقدًا للوعي على الأرض. فكيف تتوقّعين أن أفسّر هذا؟"

ليتني لم أركله في أضلاعه، لكنّ الأمر كان مغريًا جدًّا، لا سيّما وأنّني أعلم جيّدًا كم يمكن لكسور الأضلاع أن تكون مؤلمة. فقلت بصوت خافت: "كنت غاضبة فحسب".

"ولماذا كنتِ غاضبة؟ يعتقد السيّد مارين أنّكِ كنتِ تغازلينه، وعندما لم يبادلكِ الاهتمام هاجمته."

شعرتُ وكأنّ أحدهم سدّد لكمة إلى معدتي، أو أضلاعي. "أنا التي هاجمته؟"

فرفع سكاڤو أحد حاجبيه. "ولديكِ سجلّ إجرامي، أليس كذلك، آنسة كالواي؟ تاريخ من السلوك العنيف".

شهقت بغضب: "هذا هراء، ذلك الرجل هو الذي هاجمني. ولو لم أدافع عن نفسي..."

قال بنبرة هادئة وصارمة في آنٍ واحد: "المسألة الآن أنّها أقوالك ضدّ أقواله، بالإضافة إلى الشاهدة الوحيدة الّتي رأتكِ تركلينه بينما كان فاقد الوعي. وهو مَن انتهى به المطاف بكسور في العظام."

شعرت بأنّ قدميّ لا تستطيعان حملي، وتمنّيت لو أنّنا جلسنا خلال هذه المحادثة. سألته: "هل أنا قيد الاعتقال؟"

"لم يقرّر السيّد مارين بعد ما إذا كان سيقدّم شكوى ضدّك". كان التعبير الذي ارتسم على وجه سكاڤو يشير إلى أنّ على زافييه تقديم شكوى برأيه، وكأنّه يتمنّى لو يستطيع تكبيلي بالأصفاد فورًا. "لذا، إلى أن يحسم قراره، أقترح عليكِ ملازمة المدينة."

أنا أكره هذا الرجل. أين ذهبت الضابطة التي احتضنتني وقالت لي إنّ زافييه لن يتمكّن من إيذائي مجدّدًا؟ أين اختفت؟

بهذه التساؤلات، رافقتُ الضابط سكاڤو إلى الباب. وعندما فتحته، وجدت بروك واقفًا هناك بملابس العمل المؤلّفة من قميص أزرق سماوي وسروال كاكي، وقد رفع يده استعدادًا لطرق الباب. ابتسم سكاڤو ساخرًا حين رآه، لكنّه لم يعلّق. وبدا كأنّ بروك يريد أن يسأل الضابط شيئًا، لكن لحسن الحظّ، كان سكاڤو على عجلة من أمره.

تماسكتُ حتّى أدخلت بروك الشقّة، وأغلقت الباب خلفنا، ثمّ فاضت الدموع من عينيّ. غير أنّها لم تكن دموع حزن، بل دموع غضب. كيف يجرؤ هذا الشرطيّ على الحديث معي بهذه الطريقة؟ لقد تعرّضت للاعتداء في المبنى الذي أعيش فيه، ومع ذلك، أصبح المعتدي هو الضحيّة؟

أحاطني بروك بذراعيه قائلًا: "ميلي، يا إلهي! هل أنتِ بخير؟ أتيت إليكِ بأسرع ما يمكن."

أومأتُ بصمت وأنا أبتعد عنه قليلًا. لو تكلّمت الآن، فلن أستطيع حبس دموعي. ولسبب ما، لم أكن أريد أن أبكي أمام بروك.

قال بغضب: "آمل أن يتعفّن ذلك الوغد في السجن."

كان عليّ إخباره بما حدث، وبما قاله لي ذلك الضابط؛ لكن إن فعلت، فسأضطرّ إلى شرح السبب. سأضطرّ إلى الحديث عن ماضيّ العنيف، وعن سجلّي الإجرامي، وعن كلّ الأسباب التي تدفع الناس إلى عدم تصديقي.

لو كان إنزو هنا، لاختلف الأمر. إذ كنت سأخبره بكلّ شيء، وسيتفهّم ما يجري. وربّما كان سيُقدِم على تمزيق زافييه مارين إربًا بيديه، وما كنت لأمانع على الإطلاق، بل لعبّرت له عن امتناني. عندما نظرت إلى بروك، راودتني فكرة قيامه بشيء مشابه، وكدت أنفجر ضحكًا. مع ذلك، إن قرّر زافييه رفع قضية ضدّي بتهمة الاعتداء، فبإمكان بروك أن يدافع عنّي. نعم، ستكون تلك نقلة نوعيّة في علاقتنا.

قال بروك: "لا يمكنكِ النوم هنا الليلة". وهذه المرّة، وافقته الرّأي تمامًا. تابع قائلًا: "سيّارتي مركونة في الخارج، تعالي إلى منزلي."

أجبته وقد ارتخت كتفاي باستسلام: "حسنًا."

أضاف سريعًا عندما رأى تعبير وجهي: "لستِ مضطرّة إلى الانتقال نهائيًّا، بل احملي معك ملابس تكفيكِ لأسبوع فحسب. وربّما تبدئين بالبحث عن مكان آخر للسكن."

لم يكن بمقدوري خوض جدال معه الآن، لا سيّما وأنّه محقّ. إذ لن أتمكّن من العيش هنا بعد الآن إن عاد زافييه إلى هذا المبنى، بل سيتحتّم عليّ البحث عن مكان آخر على أيّ حال. هذا مع العلم أنّني أتحمّل بالكاد إيجار هذه الشقّة، حتّى مع المال الذي يدفعه لي دوغلاس غاريك. تُرى هل سأضطرّ إلى الانتقال إلى حيّ أسوأ في برونكس؟

على أيّ حال، سأفكّر في ذلك لاحقًا. الآن، عليّ حزم أمتعتي.

الفصل الخامس عشر

تُعَدّ غرفة النوم الرئيسة في منزل آل غاريك كبيرة جدًّا، حتّى إنّني واثقة أنّها تصدر صدًى.

كنت أطوي كومة من الغسيل. في البداية، ظننت أنّ معظم ملابس الزوجَين تُرسَل إلى التنظيف الجافّ. لكن بما أنّ ويندي لا تغادر غرفة نومها بتاتًا، فمن المستبعد أن تحتاج الملابس التي ترتديها إلى تنظيف جافّ. وبالنظر إلى الملابس التي رأيتها في الغسيل، فهي ترتدي بشكل أساسي أثواب نوم. في تلك اللحظة، كنت أطوي ثوب نوم أبيض ناعمًا مطرَّزًا عند الياقة، يبدو أنّه يصل إلى كاحليها، بناءً على طولها الذي لمحته حين تبادلنا حديثنا اليتيم المُقتَضَب.

فجأة، وقع نظري عليها.

كانت ثمّة بقعة على ياقة ثوب النوم؛ بقعة غير منتظمة الشكل، لونها بنّي مشوب بالأحمر، وقد تغلغلت في النسيج. كنت قد رأيت مثل هذه البقع من قبل أثناء غسل الملابس، ومن المستحيل أن أُخطئ فيها.

إنّها دماء.

ليس هذا فحسب، بل هي كمّية لا بأس بها من الدماء عند خطّ العنق، وقد تسرّبت إلى القماش تحته. أغمضتُ عينيّ، غير قادرة على منع نفسي من التفكير في سبب وجود هذه البقعة.

فتحت عينيّ فجأة على صوت رنين هاتفي. وعندما أخرجته من جيب بنطالي، انقبض قلبي. فقد أشارت الشاشة إلى أنّ المكالمة صادرة عن مركز شرطة برونكس؛ هذا لا يبشّر بالخير.

حسنًا، لا يمكنهم اعتقالي عبر الهاتف على أيّ حال.

قلت وأنا أجلس على سرير آل غاريك، الذي يكاد يكون بحجم سفينة: "ألو؟"

"ويلهيلمينا كالواي؟ معك الضابط سكافو".

انقبضت معدتي؛ فمجرد سماع اسمه يسبّب لي القشعريرة. أجبت: "نعم؟"

"أنا أحمل لك خبرًا سارًّا".

ما دام هذا الرجل مسؤولًا عن القضيّة، فمن المستحيل أن تأتيَني أخبار سارّة، لكن لا ضير من التفاؤل. ففي هذه المرحلة، أنا أستحقّ قليلًا من الحظّ. سألته: "ما هو؟"

"لقد قرّر السيّد مارين عدم رفع دعوى ضدك".

أهذا هو الخبر السارّ؟ قبضت على الهاتف بشدّة حتى بدأت أصابعي تخزني، ثمّ قلت: "وماذا عنّي؟ أنا أريد رفع دعوى ضده".

"آنسة كالواي، ثمّة شاهدة رأتك وأنت تهاجمينه". تنحنح قليلًا ثمّ أضاف: "من حسن حظّك أنّ المسألة توقّفت عند هذا الحدّ. ولو كنتِ لا تزالين تحت الإفراج المشروط، لتمّت إعادتك إلى السجن الآن. هذا ناهيك عن أنّه ما زال بإمكانه رفع دعوى مدنية ضدّك".

ابتلعت غصّة وسألته: "وأين هو الآن؟"

"لقد خرج هذا الصباح".

"هل أخرجتموه من السجن هذا الصباح؟"

تنهّد سكاڤو مجيبًا: "كلّا، لم يكن محتجزًا في الأساس، بل خرج من المستشفى هذا الصباح".

إذًا، سيكون في المبنى الليلة، وهذا يعني أنّني لا أستطيع العودة إلى هناك بتاتًا.

قال سكاڤو: "اسمعي أيّتها السيّدة، لقد كنتِ محظوظة هذه المرّة، لكنّك بحاجة إلى مراجعة طبيب نفسي. فمن الضروري أن تسيطري على غضبك، وإلّا فستجدين نفسكِ في السجن مجدّدًا".

قلت وأنا أصرّ على أسناني: "شكرًا على النصيحة".

وبينما كنت أنهي المكالمة، نظرت إلى الأعلى، وأدركت أنّني لست بمفردي في غرفة النوم الرئيسة. ففي الطرف الآخر من الغرفة، وقف دوغلاس غاريك عند الباب. كان يرتدي بدلة أرماني مع ربطة عنق حمراء، وكان شعره البنّي الداكن مسرّحًا إلى الخلف كعادته.

أتساءل عن مقدار ما سمعه من المحادثة. لحسن الحظّ، لم يكن بوسعه أن يسمع ما قاله سكاڤو.

قال بصوت هادئ: "مرحبًا، ميلي".

فنهضتُ واقفة، وأعدت هاتفي بسرعة إلى جيب بنطالي. "مرحبًا. آسفة، كنت... كنت أقوم بطيّ الغسيل فحسب".

لم يعترض على كلامي ويذكّرني أنّني كنت أتحدّث عبر الهاتف. بدلًا من ذلك، دخل الغرفة وهو يرخي ربطة عنقه بإبهامه، ثم خلع سترته وألقاها على خزانة الزينة.

قال: "إذًا؟"

نظرت إليه من دون أن أفهم.

"هل ستتركين سترتي ملقاة هناك على الخزانة؟"

استغرقتُ لحظات لأدرك ما يريده. فخزانة ملابسه لا تبعد سوى مسافة قدمين عنّا، وكان بإمكانه تعليق سترته بنفسه بسهولة، لكنّه تركها لي. لا بأس، فهذا جزء من عملي، لكنّ نبرته حملت إيحاءً جعلني أشعر بعدم الارتياح. وقد بدأت ألاحظ ذلك على نحو متزايد خلال حديثي معه.

تمتمتُ معتذرة: "أنا آسفة، سأعلّقها".

راقبني دوغلاس غاريك وأنا أعلّق سترته، وراح يتأمّلني بعناية. كنت قد أجريت بحثًا عنه على الإنترنت قبل أيّام، لكنّني لم أجد عنه الكثير، ولا حتّى صورة واضحة. يبدو أنّه شخص شديد الخصوصيّة؛ فجُلّ ما تمكّنت من معرفته أنّه الرئيس التنفيذي لشركة ضخمة تدعى كوينستوك، تمامًا كما قال بروك. إنّه عبقري في مجال التكنولوجيا، وقد اخترع برنامجًا تستخدمه كلّ المصارف في البلاد تقريبًا. أخبرني بروك أنّه يبدو رجلًا لطيفًا، لكن من غير الممكن معرفة الإنسان من خلال التعاملات التجارية فحسب. إذ يبدو لي أنّ دوغلاس يعرف تمامًا متى وكيف يُظهِر سحره.

سألني فجأة: "هل أنتِ متزوجة؟"

تجمّدت يداي، والسترة لا تزال في منتصف الطريق إلى علّاقة الملابس. "كلّا..."

فارتفع طرفا شفتيه قليلًا في شبه ابتسامة. "وهل لديكِ صديق؟"

أجبت بجمود: "نعم".

لم يعلّق على جوابي، بل ألقى عليّ نظرة مطوّلة سبّبت لي التوتّر. مهما يكن وسيمًا، إلّا أنّني لا أحبّ أن ينظر إليّ بهذه الطريقة. فعندما التقينا للمرّة الأولى، لم يتفحّصني بنظراته، وقد أعجبني ذلك، لكن يبدو أنّه كان مجرّد تمثيل. وإذا استمرّ في النظر إليّ على هذا النحو... حسنًا، لا يمكنني فعل الكثير حيال هذا الأمر، ليس بعد أن اتّهمني ضابط الشرطة بالاعتداء على رجل.

كنت على وشك أن أغيّر مجرى الحديث عندما استقرّ نظره أخيرًا على ثوب النوم الأبيض الملقى على السرير الكبير، وراح يحدّق إلى بقعة الدم على الياقة.

ربّما كانت مخيلتي، لكنّني متأكّدة أنّني سمعت شهقة حادّة مكتومة.

قلت ببرود، وأنا أحوّل نظري من الثوب إلى دوغلاس: "حسنًا. إذا سمحت لي، سأبحث الآن عن طريقة لإزالة بقع صلصة الطماطم عن القماش".

فحدق إليّ للحظة أخرى، ثمّ أومأ موافقًا. "جيّد".

لكنّني لا أحتاج إلى إجراء أيّ بحث؛ فأنا أعرف تمامًا كيف تُزال بقع الدم عن الملابس.

الفصل السادس عشر

كنت أتناول العشاء مع بروك، لكنّني لم أستطِع التركيز على كلمة واحدة ممّا يقوله.

أصبح الطقس أكثر دفئًا، فجلسنا إلى طاولة في الهواء الطلق في مطعم شرق أوسطي صغير وجميل في إيست فيلدج. بدا بروك وسيمًا للغاية في بدلته الرسمية، بينما ارتديت فستانًا صيفيًّا جديدًا. خلال تناولنا المقبّلات، كان بروك يحدّثني عن أحد موكّليه، وكنت عادةً ما أستمتع بالوقت الذي أمضيه معه. في الحقيقة، ما زلت أتعجّب أحيانًا من اهتمامه بفتاة مثلي. ففي الظروف العادية، أصغي إلى حديثه باهتمام شديد؛ حتّى لو كان يتحدّث عن قانون براءات الاختراع - وهو موضوع مملّ بصراحة - لكنّ ذهني لم يكن حاضرًا اليوم.

في الواقع، كنت أشعر مجدّدًا بذلك الوخز في مؤخّر عنقي؛ وكأنّ أحدهم يراقبني.

كان يجدر بي أن أخبر بروك أنّني أودّ تناول الطعام في الداخل. فمنذ أن أصبح زافييه حرًّا طليقًا، لم أعد أشعر بالأمان. في الحقيقة، لا أعرف لماذا اختارني، لكن مرّ أسبوع منذ أن هاجمني، ولا تزال تلك النظرات تخترقني أينما ذهبت. ومع أنّني أودّ التصديق أنّه مجرّد وهم، لكنّني لست واثقة من ذلك. فمن المحتمل جدًّا أن يكون زافييه ما زال يلاحقني، على الرغم من ذراعه مكسورة، وعلى الرغم من انتقالي إلى منطقة أخرى.

قال بروك: "ألا تظنّين ذلك، ميلي؟"

نظرتُ إليه بذهول. كنت أمسك بالشوكة بيدي اليمنى، وقد غرستها في قطعة من لحم الضأن، لكنّني لم أتناول أيّ لقمة على ما أظنّ منذ عشر دقائق على الأقلّ. تمتمت بضعف: "ماذا؟"

انعقد حاجباه، وتجعّدت المساحة الصغيرة بينهما بطريقة كنت أجدها لطيفة عادةً، لكنّها سبّبت لي الضيق الآن. "هل أنتِ بخير؟"

فكذبت مجيبة: "نعم".

تقبّل إجابتي من دون سؤال. فقد لاحظت أنّ بروك، على الرّغم من كونه محاميًا، إلّا أنّه شديد الثقة بالناس. فأيّ شخص آخر كان سيستجوبني عن ماضيّ على الأرجح، أمّا هو، فلم يفعل. كان ذلك مريحًا من ناحية - إذ لم أضطرّ إلى إخباره بكلّ شيء - لكنّني كنت أتمنّى أحيانًا لو يضغط عليّ أكثر؛ لأنّني سئمت من إخفاء كلّ هذه الأسرار عنه.

في الواقع، التقيت بروك خلال فترة شعرت فيها بالاهتمام بمجال القانون؛ قبل أن أدرك أنّ سجلّي الجنائي سيجعل الأمر صعبًا، إن لم يكن مستحيلًا. وقد أتاحت لي الكلّية المجتمعية فرصة للعمل معه، لكنّه اعترف لي منذ اليوم الأوّل بنبرة محرَجة: "عملي ليس مُشوِّقًا جدًّا". كنت قد تخيّلت أنّني سأدخل قاعات المحاكم، لكنّه كان يمضي معظم وقته في العمل المكتبيّ.

قال لي في نهاية الأسبوع الذي قضيته معه: "أنا آسف، لا شكّ في أنّك كنتِ تتوقّعين شيئًا مختلفًا".

أجبته: "لا بأس، أنا لا أرغب في أن أصبح محامية على أيّ حال".

فابتسم وقال: "اسمحي لي بالتعويض عليك، سأدعوكِ إلى العشاء".

لاحقًا، اعترف بروك أنّه كان يحاول طوال الأسبوع إيجاد طريقة لدعوتي للخروج معه. وفي الحقيقة، كنت على وشك الرفض؛ فقد كنت لا أزال أشفق على نفسي بعد أن أخبرني إنزو أنّه لا ينوي العودة إلى الولايات المتّحدة، ولم أكن مستعدّة لخيبة أمل جديدة. لكن حين تخيّلتُ النساء الإيطاليات الجميلات وهنّ يحاولن لفت انتباه صديقي السابق، قلت في نفسي: لِمَ لا؟ ألا يحقّ لي أن أتابع حياتي أنا أيضًا؟

كان بروك رجلًا طيّبًا. ومع مرور كلّ أسبوع، كنت أبحث عن عيب منفر فيه، لكنّه ظلّ كاملًا على نحو مُحبِط. وعندما اكتشفَ أنّهم لم يوجِّهوا تهمة اعتداء إلى زافييه ثار غضبًا بالتأكيد، وعرض أن يرافقني إلى مركز الشرطة للتحدّث إلى الضابط المسؤول عن القضيّة، لكنّني اضطررت إلى رفض عرضه لأسباب معروفة.

بعد ذلك، نسي المسألة ببساطة. ففي حين أنّني لم أكفّ عن التفكير في تلك الحادثة طوال الأسبوع، تجاوز بروك الأمر؛ مع أنّه أكّد مرارًا أنّه عليّ العثور على مسكن آخر.

قال بروك: "تبدين شاحبة قليلًا".

مرّرت يدي على مؤخّر عنقي، ثمّ استدرت لألقي نظرة خلفي. كنت متأكّدة أنّني سأجد زافييه خلفي تمامًا، لكن لم يكن ثمّة أحد. على الأقلّ، لم أرَه، لكنّني كنت واثقة أنّه في مكان ما هناك.

قلت فجأة: "أنا موافقة على الانتقال إلى شقّتك".

فتوقّف بروك عن الكلام في منتصف الجملة. كانت ثمّة نقطة صغيرة من صلصة الطحينة على زاوية فمه وهو يتساءل: "ماذا؟"

أجبت: "أعتقد أنّنا جاهزان".

كانت تلك كذبة أخرى؛ فأنا لا أشعر أنّني مستعدّة لهذه الخطوة، لكنّني لا أنوي العودة إلى شقّتي في جنوب برونكس ما دام زافييه يسكن هناك، ولم أكن واثقة من أنّني سأشعر بالأمان في

أيّ مكان آخر في تلك المنطقة. في الواقع، لم أكن متأكّدة من شعوري بالأمان هنا أيضًا، لكنّ هذه المنطقة تبقى أفضل من حيّ برونكس بلا شكّ.

على أيّ حال، يبدو أنّني أصبتُ الهدف؛ إذ أضاء وجه بروك بابتسامة واسعة وقال: "حسنًا، يعجبني ذلك". ثمّ مدّ يده، وأمسك بيدي من فوق الطاولة، مضيفًا: "أحبّك، ميلي".

فتحت فمي، مُدرِكَةً أنّني وصلت إلى نقطة حاسمة يتوجّب عليّ فيها أن أردّ بشيء، لكن في تلك اللحظة، أصبح ذلك الإحساس الزاحف في مؤخّر عنقي لا يُحتمل. فالتفتُّ بسرعة مجدّدًا، وأنا على يقين هذه المرّة من أنّني سأرى زافييه واقفًا على بعد بضع أقدام، يحدّق إليّ.

ضاقت عيناي وأنا أمسح بنظري الشارع خلفي. أين هو ذلك الوغد؟

غير أنّني لم أرَه في أيّ مكان. إمّا أنّه اختبأ خلف صندوق بريد، أو لم يكن هناك أصلًا. بيد أنّني رأيت شخصًا آخر لم أكن أتوقّع رؤيته.

دوغلاس غاريك.

الفصل السابع عشر

كان دوغلاس غاريك خلفي.

تحديدًا، كان يعبر الشارع. ومع أنّ الإشارة كانت حمراء، إلّا أنّه اندفع إلى ممرّ المشاة، فيما أطلق سائق سيّارة أجرة صفراء بوقه بقوّة. راقبتُه للحظة، وقلبي يخفق بعنف. كنت قد افترضت أنّ زافييه هو من يلاحقني، لكنّني لم أعد واثقة من ذلك. تُرى، هل كان دوغلاس هو الذي يراقبني طيلة هذا الوقت؟

قلت لبروك: "انتظر قليلًا، سأعود حالًا".

"ماذا..."

لم أمهله الفرصة لإنهاء جملته، بل اندفعت أعبر الشارع خلف دوغلاس، ممّا اضطرّ سيّارة سيدان زرقاء إلى الضغط على المكابح بقوّة. شتمني السائق، لكنّني تجاهلته ومضيت في طريقي.

ماذا يفعل دوغلاس في إيست فيلدج، مع أنّه يعيش في آبر ويست سايد، ويعمل في وول ستريت؟

إن كان يراقبني، فهو لم يعد يفعل الآن. والأمر الآخر المثير للاهتمام أنّه لم يكن بمفرده، بل يسير بجانب امرأة شقراء تتدلّى من كتفها اليمنى حقيبة بنّية بسيطة.

ما الأمر؟ لماذا يراقبني؟ ومن تكون تلك المرأة؟

مع أنّني لم أتمكّن من رؤية ويندي غاريك جيّدًا وجهًا لوجه، إلّا أنّني رأيت صورها، وتلك المرأة ليست السيّدة غاريك.

تبعتهما مسافة مئة متر أخرى. ربّما كنت أضلّل نفسي، لكنّني لا أعتقد أنّه لاحظ وجودي خلفه وهو يسير مع المرأة في الجادة الثانية. كانت تتحدّث بصوت عالٍ، غير أنّني لم أستطِع فهم فحوى الحديث. وإن اقتربتُ أكثر، فقد يلاحظا وجودي.

لا أعرف إلى متى يمكنني الاستمرار في تتبّعه. فبروك لا يزال في المطعم، ويظنّ على الأرجح أنّني فقدت عقلي. أتمنّى ألّا يذكر هذه الحادثة في مكالمته الأسبوعية مع والديه.

لحسن الحظّ، توقّف دوغلاس والمرأة أمام مبنًى سكني صغير من الحجر البنّي. وعلى غرار المبنى الذي أعيش فيه، لم يكن ثمّة حارس عند باب هذا المبنى. بدأت المرأة بالبحث في

حقيبتها عن المفتاح، ثمّ فتحت الباب ودخلت. وقبل أن يختفيا تمامًا، تمكّنتُ من إمعان النظر إليها.

ما يجري واضح تمام؛ لدى دوغلاس عشيقة تعيش في هذا المبنى، ولا يزال الوقت مبكرًا بما فيه الكفاية ليخبر ويندي عندما يعود إلى المنزل أنّه كان يعمل حتّى ساعة متأخّرة من الليل.

لكن، ما سبب الشجار يا تُرى؟

ليس من الصعب تخيّل السبب. إن كانت المرأة صديقتَه، فقد تكون غاضبة لأنّه لم يترك زوجته بعد. فهي في الثّلاثينيّات من عمرها على الأقلّ، ولا تبدو كفتاة مستهترة تبحث عن المتعة وحسب. ربّما كانت تأمل أن يهجر ويندي ويتزوّجها.

كنت لا أزال أحدّق إلى المبنى الحجري البنّي، وأحاول التفكير في خطوتي التالية، عندما بدأ هاتفي يرنّ في جيبي. فشعرت بانقباض في صدري عندما ظهر اسم بروك على الشاشة، وتمنّيت لو أنّني تركت الهاتف في حقيبتي. على أيّ حال، لم يعد بإمكاني تجاهل المكالمة الآن. فقد وافق الشابّ للتوّ على انتقالي للسكن في شقّته، وحين صرّح بحبّه لي، قفزتُ من مقعدي كالمجنونة، وركضتُ في الاتّجاه المعاكس.

"ميلي"، بدا صوته مشوّشًا على الطرف الآخر. "ماذا حدث؟ أين ذهبتِ؟"

أجبته: "أنا... لقد رأيت صديقة قديمة، وأردت التحدّث إليها قليلًا؛ فأنا لم أرَها منذ سنوات".

"حسنًا..." بدا مُتردِّدًا، لكنّه قَبِل تبريري السخيف كما توقّعتُ. "هل ستعودين؟"

ألقيت نظرة أخيرة على المبنى الحجري البنّي، ثمّ أجبت: "نعم، سأعود خلال دقائق".

"خلال دقائق؟"

أيًّا يكن ما يفعله دوغلاس غاريك في ذلك المبنى، فلن أكتشفه بمجرّد الوقوف هنا والاكتفاء بالتحديق. لذا، عدت أدراجي إلى المطعم، وتأهّبت لمواجهة سيل الأسئلة التي سيطرحها بروك. فهو سيرغب في معرفة سبب رحيلي المفاجئ، علمًا أنّني سأبدو مجنونة إن قلت الحقيقة.

قلت له: "أنا في طريقي إليك الآن، أؤكّد لك".

"هل تريدين أن أدفع الفاتورة لننصرف؟ هل أنتِ بخير؟ ما الذي يجري؟"

"لا شيء". حثثتُ خطاي قليلًا وأنا أعبر الشارع عائدة إلى المطعم. "كما قلت، رأيت صديقة قديمة".

"لكنّ مظهرك لم يكن يدلّ على أنّك بخير".

أصررتُ مجيبة: "أنا بخير. أنا..."

في خِضمّ إصراري على أنّني بخير تمامًا، توقّفت عن الكلام فجأة؛ لأنّ نظري وقع على شيءٍ جعلني أشعر وكأنّ قلبي يهوي إلى قاع معدتي.

كانت سيّارة مازدا سوداء، مصباحها الأمامي الأيمن متصدّع، وهي السيّارة نفسها التي رأيتها مركونة قرب المبنى الذي أقطن فيه، وأحيانًا قرب منزل آل غاريك.

خفضت بصري إلى لوحة الأرقام: F32158. فحاولت أن أتذكّر الرقم الذي رأيته في المرّة الأخيرة. لماذا لم أدوّنه في مكان ما؟ كنت واثقة أنّني سأحفظه.

لكنّ ذلك المصباح الأماميّ المتصدّع يبدو مألوفًا جدًّا.

"ميلي"، تناهى إليّ صوت بروك من الهاتف. "ميلي، أما زلتِ معي؟"

اكتفيت بالتحديق إلى السيّارة بصمت. كنت أظنّ طوال الوقت أنّ زافييه هو من يلاحقني، والآن أجد هذه السيّارة مركونة بالقرب من مبنى عشيقة دوغلاس. ومع أنّني لا أستطيع الجزم بأنّها السيّارة نفسها التي كانت تلاحقني، إلّا أنّني شبه متأكّدة من ذلك. صحيح أنّها تبدو متهالكة جدًّا ليقودها مليونير، لكن قد يكون الأمر منطقيًّا إذا كان يحاول التخفّي.

لكن، لماذا قد يلاحقني دوغلاس؟ لا سيّما وأنّ هذا الإحساس كان ينتابني حتّى قبل أن أبدأ بالعمل لدى آل غاريك... فهل كان دوغلاس يراقبني حتّى قبل أن أباشر العمل لديه؟

سرت قشعريرة باردة في عمودي الفقري. تُرى، ماذا يجري هنا؟

الفصل الثامن عشر

اليوم، أنا أحزم أمتعتي للانتقال.

في الحقيقة، ما زلت أشعر بعدم الارتياح حيال السكن مع بروك، لكن ما دام زافييه مارين يقطن في ذلك المبنى، فلن أمكث فيه. ولا يمكنني الإنكار أنّ الإقامة في شقّة بروك المؤلّفة من غرفتَي نوم في آبر ويست سايد مغرية. فمع أنّها ليست بمستوى "بنتهاوس" آل غاريك، غير أنّها جميلة؛ حتّى إنّها تضمّ شرفة لا تُستخدَم كمخرج طوارئ! وبالإضافة إلى كلّ ذلك، الشقّة مُزوَّدة بنظام تكييف لاستخدامه عندما ترتفع درجة الحرارة في الصيف. نظام تكييف! هذه قمّة الرفاهية.

أوصلني بروك بسيّارته الأودي إلى برونكس. صحيح أنّ صندوق السيّارة ليس واسعًا، لكنّني، لحسن الحظّ، لا أملك الكثير من الأمتعة. فمن مزايا هذه الشقّة أنّها كانت مفروشة جزئيًّا، لذا فمعظم أثاثها ليس ملكي. وأيّ شيء لا يتّسع له صندوق السيّارة أو المقعد الخلفي، فسأتركه ورائي.

قال لي بروك ونحن في طريقنا إلى شقّتي للمرّة الأخيرة: "أنا سعيد جدًّا لأنّنا سنقيم في الشقّة نفسها، سيكون هذا رائعًا."

فأجبته بابتسامة بدت مصطنعة: "نعم."

كيف يُعقَل أن أُقدِم على ذلك؟ كيف أنتقل إلى منزل بروك من دون أن أخبره بشيء عن ماضيّ؟ إنّه لا يستحقّ ذلك. كما أنّني لا أستحقّ أن أجد نفسي على الرصيف حين يكتشف الحقيقة.

في الوقت الحالي، ما زلت أعمل لدى آل غاريك. وكلّما فكّرت في الأمر، أصبحتُ أقلّ يقينًا من أنّ دوغلاس كان يراقبني في ذلك اليوم. فقد كان منشغلًا بالحديث مع عشيقته، ولم يبدُ مهتمًّا بي على الإطلاق. لقد تسرّعتُ في استنتاجاتي. ومعرفتي أنّ مديري يخون زوجته ليست سببًا كافيًا للتخلّي عن وظيفة مربحة، لا سيّما وأنّ العثور على عمل جديد ليس سهلًا بالنسبة إليّ. فصحيح أنّني أنتقل للإقامة في شقّة بروك، لكنّ اعتمادي عليه ماديًّا سيكون خطأً فادحًا. لذا، عليّ أن أملك مصدر دخلي الخاصّ؛ في حال وجدت نفسي يومًا على الرصيف المذكور.

عندما توقّفنا عند إشارة مرور حمراء، مدّ بروك يده ووضعها على ركبتي، ثمّ ابتسم لي. بدا وسيمًا للغاية، تمامًا مثل نجم سينمائي، لكن كلّ ما خطر ببالي في تلك اللحظة هو أنّ انتقالي إلى شقّته فكرة سيّئة. إنّه يرتكب خطأً فادحًا ولا يُدرِك ذلك حتّى. وتمنّى جزء منّي أن يرفع يده عن ركبتي.

لم يخبرني مجدّدًا أنّه يحبّني منذ ذلك اليوم في المطعم. من الواضح أنّه يتوق لقولها، لكنّه قالها مرّتين حتّى الآن، من دون أيّ تجاوب من جانبي. وإذا قالها مجدّدًا، فسيكون عليّ إمّا أن أجيبه بالمثل أو... في الواقع، عليّ أن أجيبه بالمثل إذا كنت أريد لهذه العلاقة أن تستمرّ؛ لم يعد ثمّة شكّ في ذلك.

سحب بروك يده عندما انعطفنا إلى الشارع الذي أقطن فيه وهتف قائلًا: "ما هذا؟ ما الذي يحدث هنا؟"

ومضت أمامنا أضواء سيّارة شرطة مركونة أمام المبنى، فأطبقتُ شفتيّ بقوّة لأمنع نفسي من إخبار بروك أنّ رؤية سيّارة شرطة هنا أمر مألوف. غير أنّني خشيت أن يكونوا قد أتوا من أجلي؛ هل غيّر زافييه رأيه بشأن تقديم الشكوى؟

يا إلهي، هل سيأخذونني مكبّلة اليدين؟

قلت على الفور: "بروك، ربّما يجدر بنا الرحيل من هنا، فلنعد في وقت آخر."

أجاب عابسًا: "لن أعود إلى برونكس غدًا. هيّا، سيكون كلّ شيء على ما يرام."

كنت على وشك أن أُصاب بنوبة هلع عندما فُتِح باب المبنى، وخرج منه ضابط يقود رجلًا ويداه مقيّدتان خلف ظهره. في النهاية، يبدو أنّهم لم يأتوا من أجلي؛ ربّما هي عمليّة ضبط مخدرات كالعادة.

فجأة، وقع نظري على النّدبة فوق الحاجب الأيسر للرجل المقيّد. إنّه زافييه!

فتحت نافذتي في اللحظة المناسبة لأسمع زافييه يصرخ في وجه الضابط الذي يقتاده إلى سيّارة الشرطة: "يجب أن تصدّقني! تلك المخدرات... لم أرَها من قبل. ليست لي!"

حتّى من حيث نقف، استطعت رؤية الضابط وهو ينظر إلى الأعلى بسأم مجيبًا: "نعم، هذا ما يقوله الجميع عندما نجد كمّيّات ضخمة من الهيروين في منازلهم."

قبل أن يصلوا إلى السيّارة، بدا الذعر بوضوح في عينَيْ زافييه. ومع أنّه كان يدرك بلا شكّ أنّها ستكون حركة غبيّة، إلّا أنّه دفع الضابط بعيدًا عنه، وانطلق يجري في الشارع. بطبيعة الحال، ما كان ليذهب بعيدًا بيديه المقيّدتين خلف ظهره. هكذا، لحق به الضابط بعد ثوانٍ، وشاهدتُه وهو يطرحه أرضًا.

كان هذا أفضل عرض رأيته منذ أشهر.

شاهد بروك ما يجري بذهول واضح. "يا إلهي! أنتِ محظوظة بانتقالك من هنا."

فهمست قائلة: "هذا هو، إنّه الرجل الذي اعتدى عليّ."

"أكان تحت تأثير المخدّرات أيضًا؟ لا يفاجئني ذلك."

لم أشعر أنّ زافييه كان تحت تأثير المخدّرات خلال لقاءاتنا العابرة، بل كان يبدو متّزنًا تمامًا. لكن إن كانوا قد عثروا عليها في شقّته... وعلى كمّية كبيرة أيضًا، كبيرة بما يكفي للاعتقاد أنّه يتاجر بها، فهو لن يرجع قريبًا.

قلت فجأة: "لم يعد ثمّة داعٍ للانتقال".

فغر بروك فاه دهشة: "ماذا؟"

"بما أنّه لن يعيش في المبنى بعد الآن، فلا داعي لرحيلي."

ألقى عليّ نظرة مربَكة: "لا أفهم، ألم تكوني راغبة في ذلك؟"

هذا السؤال معقّد للغاية. بلى، سيكون من الجميل امتلاك مساحة إضافية، ومكيّف هواء، ووجود حارس يحول دون دخول اللصوص، لكنّ هذه ليست أسبابًا وجيهة لانتقالي إلى شقّة صديقي.

"بلى، أودّ ذلك، يومًا ما، لكن... ليس بعد."

أجاب بنبرة باردة: "فهمت".

"أنا آسفة جدًّا". ومددت يدي لأضغط على يده، لكنّه لم يبادلني تلك الحركة. "أنا فقط من النوع الذي يحتاج إلى مساحته الخاصّة، هذا كلّ ما في الأمر."

التقت نظرات عينيه الزرقاوين بنظراتي وسألني: "أهذا كلّ ما في الأمر حقًّا؟"

أتخيّل أنّ والدَي بروك من النوع الذي يتحقّق من تاريخ أيّ امرأة قد يفكّر ابنهما في الارتباط بها، وربّما فعلا أساسًا، لكنّني واثقة من أنّهما بحثا عن ميلي كالواي، منقذتي الوحيدة حاليًّا. غير أنّها مسألة وقت قبل أن يكتشفا أنّ اسمي الأوّل هو في الحقيقة ويلهيلمينا، ومن بعدها، سيعرف بروك كلّ شيء عنّي.

لذا، عليّ الاعتراف له بنفسي قبل حدوث ذلك.

لكن بدخول هذا الأحمق زافييه السجن، منحتُ نفسي هدنة قصيرة.

الفصل التاسع عشر

بدت شقّة آل غاريك هادئة اليوم.

تناهى إليّ صوت من غرفة الضيوف، لكنّه لم يكن بكاءً أو صراخًا أو أيّ صوت مشبوه آخر، بل بدا أنّ ثمّة أحدًا في الداخل فحسب؛ امرأة لا ينبغي لي إزعاجها.

بعد أن وجدت الدماء على ثوب النوم ذاك، ظننت بصدق أنّ دوغلاس سيجد عذرًا لفصلي، لكنّه لم يفعل بعد. وهذا أمر جيّد؛ لأنّني بحاجة إلى المال. ومع أنّ بروك ما زال يلمِح إلى ضرورة انتقالي إلى شقّته، إلّا أنّني تمكّنت من صدّه حتى الآن.

هكذا، بعد أن أتيحت لي الفرصة للتّفكير في الأمر بضعة أيّام، لم أعد مقتنعة بأنّ اللون القرمزي على ثوب النوم مثير للقلق بقدر ما بدا لي أوّل الأمر. صحيح أنّني ما زلت مقتنعة بأنّ البقعة كانت دمًا، ولكن ثمّة العديد من الأسباب البريئة لوجود بقع دم على الملابس. فقد تعاملتُ مع عدد لا بأس به من الأطفال الذين أصيبوا بنزيف أنفيّ غزير، وبتُّ أعرف أنّه من الخطأ القفز إلى الاستنتاجات. لذلك، تناسيت المسألة.

حسنًا، إلى حدّ ما.

بعد أن نظّفت بعض الغرف، توجّهت إلى الحمّام الرئيس في الطابق العلوي. عمومًا، لا تكون الحمّامات متّسخة جدًّا، وهذا منطقيّ؛ نظرًا إلى أنّ شخصين فقط يعيشان هنا. ومع أنّني لا أجد داعيًا للتنظيف المتكرّر، إلّا أنّني لن أجادل أصحاب المنزل. فأنا أتقاضى أجرًا على عملي، وإذا كان المطلوب تنظيف منزل نظيف إلى حدّ ما، فسأفعل.

لكن عندما دخلت الحمّام، شعرت وكأنّني تلقّيت لكمة على معدتي؛ إذ فوجئت بمشهد لم يسبق لي أن رأيته.

كانت ثمّة بصمة يد دامية على المغسلة.

في الواقع، لأكون منصفة، هي نصف بصمة يد تقريبًا، كما لو أنّ أحدهم كان ممسكًا بالمغسلة بيد مغطّاة بالدماء.

عندئذٍ، نظرتُ إلى الأرض. لم ألاحظ ذلك عندما دخلت، لكنّني رأيت الآن قطرات دم صغيرة على بلاط اللينوليوم، بدت وكأنّها تشكّل مسارًا صغيرًا.

فما كان منّي إلّا أن تتبّعت القطرات القرمزية إلى خارج الحمّام. لم يكن الممرّ مضاءً، لذلك لم ألاحظها في البداية، لكنّني أدركت الآن أنّ نقاط الدم تشكّل مسارًا على السجّاد ينتهي عند باب غرفة الضيوف.

لا ينبغي لي أن أطرق الباب؛ فقد كان دوغلاس واضحًا تمامًا بهذا الشأن عندما بدأت العمل هنا. وفي المرّة الوحيدة التي طرقتُ فيها الباب، لم تكن ويندي غاريك سعيدة برؤيتي.

عندئذٍ، خطرت ببالي كيتي جينوفيز مجدّدًا؛ كيف لي ألّا أتحقّق من سبب وجود مسار من الدم يؤدّي إلى بابها؟

هكذا، رفعت قبضتي وطرقت الباب.

كنت قد سمعتُ بعض الأصوات من قبل، لكن فجأة، خيّم الصمت من الجهة الأخرى من الباب. ولمّا لم يطلب إليّ أحد الدخول أو عدم الدخول، طرقت الباب ثانية، ثمّ ناديتها قائلة: "سيّدة غاريك؟ ويندي؟" لكن لم يأتِني جواب.

فأطبقتُ فكّيّ بإحباط. لا أعلم ما الذي يجري هنا، لكنّني لن أذهب حتّى أتأكّد أنّها لا تنزف حتّى الموت؛ إذ لديّ قاعدة تنصّ على عدم التنظيف حول الجثث.

وعلى الرّغم من أنّني ممنوعة من ذلك، إلّا أنّني وضعت يدي على مقبض الباب، وحاولت أن أديره، لكنّه لم يتحرك. فقد كان مقفلًا.

قلت: "سيّدة غاريك، ثمّة دماء منتشرة في أرجاء حمّامك".

لا جواب.

"اسمعي، إذا لم تفتحي الباب، فسأضطرّ إلى الاتّصال بالشرطة".

هذه المرّة، أتاني جواب. فقد سمعت حركة خلف الباب، تلاها صوت خافت ومخنوق: "أنا هنا، أنا بخير، لا تتّصلي بالشرطة".

"هل أنتِ متأكّدة؟"

"نعم، من فضلك... اذهبي من هنا، فأنا أحاول النوم".

كان من الممكن أن أبتعد، غير أنّني لم أستطِع، ليس بعد أن رأيت كلّ هذه الدماء في الحمّام. لم تكن المشكلة في وجود الدم فحسب، بل في حقيقة أنّ الشخص المسؤول عن ذلك كان مُصابًا لدرجة أنّه لم يستطِع تنظيفه.

قلت: "أريد أن أراكِ، من فضلك افتحي الباب".

"قلت لك إنّني بخير. لقد نزفت بسبب سنّ مكسورة، هذا كلّ ما في الأمر".

"افتحي الباب قليلًا وسأدعكِ وشأنك. لكن أؤكّد لكِ، لن أرحل حتّى تفتحي الباب".

حلّ صمت طويل آخر خلف الباب. وبينما كنت أنتظر، شرد نظري إلى مسار قطرات الدم الآتي من الحمّام. عديدة هي التفسيرات البريئة لذلك؛ ربّما كانت تستخدم الشفرة وجرحت نفسها، وربّما كانت سنًّا مكسورة بالفعل.

ثمّة أيضًا بعض التفسيرات غير البريئة على الإطلاق.

أخيرًا، سمعت نقرة صادرة عن مقبض الباب. لقد أدارت القفل. وببطء شديد، فُتِح الباب قليلًا.

كان عليّ أن أضع يدي على فمي لأمنع نفسي من الصراخ.

الفصل العشرون

شهقتُ: "ويندي، يا إلهي!"

قالت: "أخبرتك أنّني بخير. الأمر ليس سيئًا بقدر ما يبدو."

لقد رأيت الكثير من الأمور السيّئة في حياتي، لكنّ وجه ويندي غاريك واحد من المشاهد التي ستطاردني لسنوات. فقد ضُرِبَت بشدّة، ومن مظهرها، لم يحدث ذلك دفعةً واحدة. فالكدمات التي تغطّي وجهها في مراحل شفاء مختلفة. ثمّة واحدة حديثة على عظمة وجنتها اليسرى، بينما تبدو الكدمات الأخرى صفراء اللون؛ وكأنّها ناتجة عن ضربات سبقت ذلك بوقت طويل.

أخبرتني ويندي أنّ النزيف كان بسبب إحدى أسنانها، وأنا أصدّق تمامًا أنّ ما تسبّب بذلك كان من شأنه اقتلاع سنٍّ من مكانها.

قالت: "أدويتي هي السبب، لقد سقطتُ. كما أنّني أتناول مميّعات دم؛ ممّا يجعلني عرضة لظهور الكدمات بسهولة."

هل نظرت هذه المرأة إلى المرآة؟ هل تحاول إقناعي بأنّ هذا كلّه نتيجة سقطة؟

كانت ترتدي قميص نوم زهريًّا مزركشًا بالورود، وكما هو حال الحمّام، كانت بقع الدم تلطّخ صدره؛ علمًا أنّه ليس أوّل قميص نوم أراه ملطّخًا بالدماء منذ أن بدأت بالعمل هنا.

تمتمتُ: "يجب أن تذهبي إلى المستشفى."

أجفلَت حين نطقتُ بذلك. "المستشفى! وماذا سيفعلون لي بالضبط؟"

"سيتأكّدون أنّك لا تعانين من أيّ كسور."

"أنا بخير، لا كسور لديّ."

أضفت: "كما يمكنُكِ تقديم بلاغ عمّا حدث لكِ."

حدّقت إليّ بعينيْها المحاطتَيْن بالكدمات، وأخذَت نفسًا عميقًا، لكنّها تأوّهت فورًا. فتساءلتُ عمّا إذا كانت تعاني من ضلع مكسور، فهذا ليس مستغربًا.

قالت بصوت منخفض: "اسمعي يا ميلي، أنتِ لا تعلمين مع من تتعاملين هنا. ليس من مصلحتك التورّط في هذا الأمر، لذا اذهبي ودعيني وشأني."

"ويندي..."

"أنا جادّة". اتّسعت عيناها المكدومتان، وللمرّة الأولى، رأيتُ فيهما خوفًا حقيقيًّا. "إن كنتِ تريدين مصلحتك، فلا تتورّطي، بل أغلقي هذا الباب وارحلي من هنا."

"لكن..."

قاطعتني بإلحاح شديد: "عليكِ الرحيل يا ميلي. ليست لديك أيّ فكرة عمّا يجري هنا، ارحلي فحسب".

فتحتُ فمي لأعترض، لكن قبل أن أنطق بكلمة، صفقت الباب في وجهي.

كانت الرسالة واضحة وضوح الشمس. أيًّا يكن ما يجري في هذا المنزل، فإنّ ويندي لا تريد منّي المساعدة، بل طلبت إليّ عدم التدخّل والاهتمام بشؤوني.

غير أنّني، مع الأسف، لم أبرع يومًا في ذلك.

الفصل الحادي والعشرون

في عام 2007م، قام عازف كمان شهير يُدعى جوش بيل - كان قد باع مؤخّرًا جميع تذاكر حفله الموسيقي بمتوسّط سعر بلغ مئة دولار للتذكرة الواحدة - بالتنكّر كعازف شوارع. ثمّ وقف في إحدى محطّات المترو في واشنطن العاصمة مرتديًا الجينز ومعتمرًا قبّعة بيسبول، وعزف الموسيقا نفسها التي قدّمها في حفله، مستخدمًا كمانًا يدويّ الصنع تزيد قيمته على ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار.

شرح د. كيندريد لطلّابه في قاعة المحاضرات المكتظّة قائلًا: "لم يتوقّف أحد تقريبًا للاستماع إليه. في الواقع، عندما كان الأطفال يتوقّفون بين الحين والآخر، كان آباؤهم يمسكون بهم ويجرّونهم بعيدًا. عزف هذا الرجل في بوسطن في حفل موسيقيّ بيعت كلّ تذاكره، لكن في ذلك اليوم، لم يتوقّف أكثر من خمسين شخصًا بما يكفي لوضع دولار في حقيبة كمانه. فكيف تفسّرون ذلك؟"

بعد تردّد، رفعت فتاة جالسة في الصفّ الأماميّ يدها. كانت تلك الفتاة تتحمّس دائمًا للإجابة عن الأسئلة، فقالت: "أعتقد أنّ جزءًا من السبب يرجع إلى صعوبة إدراك الجمال في بيئة متواضعة."

أنا أستقلّ المترو يوميًّا من حيّ برونكس إلى وسط المدينة، وغالبًا ما أرى أشخاصًا يعزفون على آلاتهم الموسيقية بينما أنتظر وصول المترو. كما أنّ المحطّة المجاورة للمبنى الذي أقطن فيه تفوح فيها الروائح القذرة، لأسباب أفضّل عدم ذكرها، لكن عندما يكون ثمّة من يعزف أثناء انتظاري، لا يعود الأمر بهذا السوء.

لو كنتُ هناك، لتوقّفت للاستماع إلى جوش بيل، ولوضعت دولارًا في حقيبته على الأرجح؛ مع أنّني بحاجة إلى كلّ فلس معي.

قال د. كيندريد: "حسنًا، هل من عوامل أخرى قد يكون لها تأثير؟"

تردّدتُ قليلًا قبل أن أرفع يدي؛ إذ نادرًا ما أشارك في النّقاشات لأنّني أكبر بنحو عشر سنوات من أكبر طالب في القاعة (باستثناء الأستاذ بالتأكيد)، لكن لم يبدُ لي أنّ ثمّة من سيعطي إجابة أخرى.

عندئذٍ، قلت: "لم يرغب أحد في مساعدته."

فأومأ الدكتور كيندريد وهو يمرّر يده على ذقنه. "ماذا تعنين بذلك؟"

"حسنًا، لقد وضع حقيبة كمانه أمامه وبداخلها بعض المال، فافترض الناس أنّه يطلب

المساعدة على شكل مال. وبما أنّهم لم يرغبوا في مساعدته، فقد تجاهلوه. لقد شعروا بأنّ التوقف سيضطرّهم إلى تقديم المساعدة."

أومأ برأسه مجدّدًا وقال: "آه، إذًا هذا لا يعكس صورة جيّدة عن الجنس البشري؛ أي ألّا يرغب أحد في الاستمتاع بموسيقا جميلة لأنّ ذلك قد يعني مساعدة محتاج."

واصل الأستاذ التحديق إليّ، فشعرت أنّه عليّ أن أضيف شيئًا. "على الأقلّ، توقّف خمسون شخصًا، وهذا ليس بالقليل."

"صحيح تمامًا، هذا ليس بالقليل".

لكنّني كنتُ سأساعده؛ فأنا أساعد دائمًا. ولا أستطيع أبدًا أن أمضي في طريقي؛ حتّى عندما ينبغي لي ذلك.

بعد انتهاء المحاضرة، وبينما كنتُ أغادر المبنى، لمحْتُ وجهًا مألوفًا يقترب عبر الشارع. فدُهشت قليلًا حين أدركتُ أنّها آمبر ديغرو؛ المرأة التي فصلتني من عملي لأنّ طفلتها لم تكفّ عن مناداتي ماما.

وما فاجأني أكثر أنّها كانت تدفع عربة أطفال تجلس فيها الصغيرة أوليف، التي كانت تلعب "بخشخيشة" دفعتها في فمها بقدر ما تستطيع، فأصبحت أصابعها مبللة باللعاب.

عندما كنت أعمل لدى آمبر، لم تفكّر يومًا في أخذ أوليف في نزهة. لذا، أعتقد أنّها خطوة جيّدة لهما معًا.

فكّرت في الانعطاف عند زاوية الشارع لتجنّب لقاء محرِج، لكنّ آمبر رأتني، ورفعت يدها بتحيّة حماسية. من الواضح أنّها نسيت تمامًا الطريقة التي فصلتني بها.

نادتني باسمي: "ميلي! يا إلهي، كم تسرّني رؤيتك!"

أحقًّا؟ لم يكن هذا ما قالته في لقائنا الأخير.

حاولت خوض حديث مهذّب وقلت: "مرحبًا، آمبر".

توقّفَت فجأة بجانبي، وتركت مقبض عربة الأطفال لتُملّس شعرها الأشقر الفاتح واللامع. اليوم، يبدو أنّ آمبر مهووسة بالجلد؛ إذ كانت ترتدي بنطالًا جلديًّا محشورًا تحت جزمة جلدية تصل إلى الركبة، مع معطف من الجلد البنّي الفاتح.

"كيف حالك؟" أمالت رأسها جانبًا كما لو كنتُ صديقة قديمة مرّت بظروف عصيبة، لا موظّفة أقدمَت على طردها بلا شفقة. "هل كلّ شيء على ما يرام؟"

أجبت وأنا أصرّ على أسناني: "بالتأكيد، كلّ شيء على خير ما يرام."

"وأين تعملين الآن؟"

تردّدت في إخبارها بأيّ شيء عن وظيفتي الحالية. فقد طردتني لأتفه الأسباب، ولا أستبعد عنها شيئًا. "أنا بين وظيفتين حاليًّا."

"لقد رأيتكِ في الشارع قبل أيّام، كنتِ تدخلين ذلك المبنى القديم الذي يقطن فيه دوغلاس غاريك، أليس كذلك؟"

وقفتُ صامتة لبعض الوقت، وقد فوجئت من معرفتها بذلك. غير أنّني تذكّرت أنّ الجميع في أوساط الأثرياء يعرفون بعضهم بعضًا على ما يبدو. "نعم، أنا أعمل لدى آل غاريك الآن."

"أوه، أهذا ما كنتِ تفعلينه هناك؟"

ارتسمت على شفتيها ابتسامة جعلتني أشعر بعدم الارتياح. ما الذي تلمّح إليه بالضبط؟ أجبتها: "نعم..."

فغمزتني قائلة: "أنا متأكّدة أنّكِ تستفيدين من ذلك إلى أقصى حدّ."

لم تعجبني نبرتها، لكنّني ذكّرت نفسي بأنّني لم أعد مضطرّة إلى الوقوف هنا والدردشة مع آمبر؛ وهذه إحدى فوائد عدم عملي لديها بعد الآن. لكن لا بدّ لي من إلقاء التحيّة على الصغيرة أوليف، التي كان ذقنها يلمع بسبب اللعاب. فأنا لم أرَها منذ فترة، والأطفال في هذا العمر يتغيّرون بسرعة. لم تعد تتذكّرني على الأرجح.

قلت بلطف: "مرحبًا، أوليف!"

فسحبت أوليف "الخشخيشة" من فمها، ونظرت إليّ بعينيها الزرقاوين الكبيرتين، ثم صرخت بفرح: "ماما!"

عندئذٍ، شحب وجه آمبر وصاحت قائلة: "لا! هذه ليست أمّكِ! أنا أمّكِ!"

"ماما!" مدّت الصغيرة ذراعيها السمينتَين نحوي وصاحت مجدّدًا: "ماما!"

وعندما لم أحملها، بدأت بالبكاء، فرمقتني آمبر بنظرة غاضبة، وأنّبتني قائلة: "انظري كيف جعلتها تبكي!"

وعند ذلك، استدارت بسرعة واندفعت في الشارع بعيدًا عنّي، بينما واصلت أوليف النحيب: "ماما!"

على الرغم من كلّ شيء، خلّف ذلك اللقاء ابتسامة على وجهي. إذ يبدو أنّ الصغيرة تذكّرتني في النهاية.

وبينما كنت أراقب آمبر وهي تختفي، رنّ هاتفي، وسرعان ما تلاشى مزاجي الجيّد. فالمتصل سيكون واحدًا من شخصين: إمّا دوغلاس؛ ليخبرني أنّني مطرودة بسبب مضايقتي زوجته، أو بروك؛ وهذا أسوأ.

أصبحت العلاقة بيني وبين بروك باردة بشكل ملحوظ منذ أن أخبرته فجأة أنّني لا أرغب في الإقامة لديه. شرحت له مرارًا وتكرارًا أنّني أحتاج إلى مساحتي الخاصّة، وأنّني أشعر بأمان

أكبر الآن بعد أن تمّ سجن زافييه لفترة غير محدّدة، لكنّه ما زال يرفض الفهم. ويبدو لي أنّ علينا اتّخاذ خطوة إلى الأمام في علاقتنا قريبًا جدًّا، وإلّا فسينتهي الأمر بيننا.

لكن عندما نظرتُ إلى هاتفي، أدركت أنّ المتّصل ليس أيًّا منهما.

كان رقمًا لا أعرفه.

"ألو".

"هل أنت ويلهيلمينا كالواي؟"

توقّفت للحظة، متسائلةً عمّا إذا كان صاحب الصوت على الطرف الآخر سيخبرني بأنّ تأمين سيّارتي على وشك الانتهاء، أو سيبدأ بالتحدّث بسلسلة من العبارات بلغة أجنبية. "نعم..."

"مرحبًا، معك ليزا من شركة جوبماتش!"

فاسترخت كتفاي على الفور. إذ كانت جوبماتش الشركة التي استخدمتها لنشر إعلاني عن وظيفة مدبّرة المنزل. "أهلًا، ليزا."

قالت ليزا بنبرة أكثر مرحًا: "آنسة كالواي، لم نتلقَّ أيّ ردّ على رسائلنا الإلكترونية. لذا، فهذه مكالمتنا الثانية بخصوص بطاقتك الائتمانية."

"بطاقتي الائتمانية؟"

"نعم، فقد تمّ رفض بطاقة أمريكان إكسبرس التي تستخدمينها."

هززت رأسي وأنا أفكّر في مدى غبائي. "أنا آسفة جدًّا، لقد ألغيت تلك البطاقة. فقد كنت أنوي استخدام الماستركارد، لكنّني لم أعد بحاجة إلى الإعلان."

قالت ليزا: "حسنًا، كنت أودّ إخبارك فحسب أنّ الإعلان لم يُنشر قطّ لأنّنا لم نستلم الدفعة."

عندئذٍ، توقّفت عن المشي في وسط الجادّة الأولى. "مهلًا، ألم يتمّ نشر إعلاني عن وظيفة مدبّرة المنزل على الإطلاق؟"

"كلّا، للأسف؛ لأنّنا لم نستلم الأجر. فكما قلت، كنّا نحاول التواصل معكِ..."

غير أنّني لم أعد أصغي إليها. فأنا لم أفهم كيف لم يُنشَر إعلاني عن وظيفة مدبّرة المنزل على الإنترنت على الإطلاق. سألتها: "هل أنتِ متأكّدة؟ هل تعنين أنّ إعلاني لم يظهر على الإنترنت إطلاقًا، ولا حتّى ليوم واحد؟"

أجابت مؤكّدة: "ولا حتّى ليوم واحد".

عدت بذاكرتي إلى الفترة التي كنتُ أبحث فيها عن وظائف قبل بضعة أشهر. فقد جرت معظم مقابلات العمل مع أشخاص تواصلتُ معهم من خلال إعلاناتهم هم. في الواقع، شخص واحد فقط تواصل معي من تلقاء نفسه، ألا وهو دوغلاس غاريك.

الفصل الثاني والعشرون

كلّ ما أعرفه هو أنّني سأصل إلى حقيقة هذا الأمر.

دوغلاس غاريك هو الذي اتّصل بي، ما زلت أذكر ذلك بوضوح تامّ. فقد رددت على الهاتف، وأخبرني أنّه يبحث عن مدبّرة منزل تتولّى أعمال التنظيف، وغسيل الملابس، والطهي الخفيف، وبعض المشتريات. لم يذكر شيئًا عن الإعلان، أو على الأقلّ لا أعتقد أنّه فعل، لكنّني افترضت حينذاك أنّه حصل على رقمي بتلك الطريقة؛ إذ ما من طريقة أخرى ليصل إليه.

إذًا، كيف حصل على رقمي إن لم يكن من خلال الإعلان؟

شعرت بانقباض غريب؛ فما زال يراودني ذلك الإحساس بأنّ أحدهم يراقبني، مع أنّه من المفترض أن يكون زافييه في السجن. ماذا أيضًا عن تلك المازدا السوداء التي كانت متوقّفة أمام المبنى الذي دخله دوغلاس مع عشيقته؟ لقد حصل دوغلاس على رقمي بطريقة ما؛ مع أنّ الإعلان لم يُنشر قطّ.

هذا يعني أنّه كان يعرف من أكون.

وقفت هناك في الشارع، أمام محلّ بيتزا. غزت الرائحة الشهيّة لصلصة الطماطم والزيت والجبن الذائب أنفي، لكنّني وجدتها مسبّبة للغثيان فحسب. رحت أنظر إلى الشارع أمامي، بحثًا عن أيّ شيء مريب، غير أنّني لم أرَ دوغلاس أو زافييه.

مع ذلك، كان ثمّة شخص ما هناك، يراقبني؛ أنا متأكّدة تمامًا من ذلك.

أخرجت هاتفي مجدّدًا، فوجدت رسالة من دوغلاس يتأكّد فيها ممّا إذا كنت سأحضر الليلة لتنظيف المنزل، على الرغم من أنّني كنت هناك قبل يومين فقط، وأنا واثقة من أنّ المنزل لا يزال نظيفًا تقريبًا. عادةً، أجيبه برسالة نصّية، لكنّني وقفت الآن أحدّق إلى الشاشة. وقبل أن أتراجع، ضغطت على رقمه للاتّصال به.

بينما كان الاتّصال يتمّ ويبدأ الرنين، رنّ هاتف خلفي مباشرةً، فغاص قلبي رعبًا.

استدرتُ بسرعة، لكن يبدو أنّ الهاتف الذي يرنّ يعود إلى فتاة مراهقة. إذ ردَّت على المكالمة، وسمعتها تصرخ وهي تمرّ بجانبي: "يا إلهي!"

تبًّا، كم أنا متوتّرة!

"ألو، ميلي؟"

تناهى إليّ صوت دوغلاس عبر الخطّ. لم يكن واقفًا خلفي مباشرةً، وأينما يكن، يبدو أنّه في مكان أكثر هدوءًا من الشارع المزدحم الذي أقف فيه. "أوه، مرحبًا."

"هل كلّ شيء على ما يرام؟ هل ستأتين الليلة لتنظيف المنزل؟"

"نعم..." لمت نفسي لأنّني لم أجهّز حجّة قبل الاتّصال؛ إذ كنت أتصرّف بشكل تلقائيّ. تابعت قائلة: "أنا أعدّل سيرتي الذاتية، ولدي سؤال سريع من فضلك."

"أنتِ لا تفكّرين في تركنا، أليس كذلك؟" كانت ثمّة لمحة من الدعابة في صوته، لكنّها تخفي شيئًا آخر؛ أكثر خبثًا.

"لا، حتمًا لا. في الواقع، كنت أبحث عن عمل إضافيّ فحسب، وأردت أن أعرف المصدر الذي سمعت منه عنّي. أعني، كيف حصلت على رقمي عندما اتّصلت بي؟"

صمتَ هنيهة قبل أن يجيب: "في الواقع، ويندي هي من أعطتني رقمك."

"ويندي! أتعني زوجتك؟"

"وهل تعرفين ويندي أخرى؟" ضحك مضيفًا: "قالت لي إنّ إحدى صديقاتها أعطتها رقمك، وأخبرتها أنّكِ ممتازة."

"وهل ذكرت أيّ صديقة؟"

"كلّا". هذه المرّة، اتّخذ صوته نبرة دفاعيّة. "أعتقد أنّنا قدّمنا لكِ معلومات كافية. من فضلك، لا تزعجي ويندي بهذا الأمر."

"لا، لن أفعل، شكرًا جزيلًا على المعلومة. وسأكون عندكما الليلة."

سأكون هناك الليلة. لكن إن كان يظنّ أنّني لن أسأل ويندي عن هذا الأمر، فهو مخطئ تمامًا.

الفصل الثالث والعشرون

وصلتُ هذا المساء إلى الشقّة العلوية وأنا أحمل على ذراعي كومة من الملابس الّتي تمّ إحضارها من المصبغة، وجميعها تعود إلى دوغلاس غاريك. كنتُ أحمل أربع بدلات، تفوق قيمة كلّ منها على الأرجح ما أكسبه في عام كامل. ولو قرّرتُ التصرّف بها وبيعها بنفسي، لجنيت مبلغًا جيّدًا؛ لكنّ الأمر لا يستحقّ المجازفة. فأنا مرعوبة أساسًا من دوغلاس، وآخر ما أريده هو إثارة غضبه.

مع ذلك، ما أنا على وشك فعله اليوم قد يؤدّي إلى النتيجة نفسها.

عندما دخلتُ غرفة المعيشة حاملة كومة الملابس بين ذراعيّ، كانت الشقّة غارقة في الصمت. على الأرجح، هذا يعني أنّ ويندي في الطابق العلوي، ودوغلاس إمّا متأخّر في العمل، أو مع عشيقته. حملتُ الملابس إلى الطابق الثاني، وتردّد وقع حذائي الرياضي في أرجاء المكان مع كلّ خطوة خطوتها. لقد عملتُ في منازل أكبر بكثير من هذه الشقّة، لكن لم يسبق لي أن كنتُ في مكان يتردّد فيه الصدى بهذه القوّة. تُرى، هل للأمر علاقة بعمر المبنى؟

لم أُفاجأ حين رأيت باب غرفة الضيوف مغلقًا. فحملتُ الملابس إلى غرفة النوم الرئيسة، وعلّقتُ بدلات دوغلاس في مكانها، لكنّ عقلي كان منشغلًا بالمرأة المحتجزة في غرفة الضيوف؛ فقد كنتُ مُصمِّمةً على التحدّث إليها اليوم.

وبمجرّد أن أنهيتُ تعليق البدلات، تسلّلتُ عبر الرواق متّجهةً إلى غرفة الضيوف.

لسبب ما، لا تُضاء المصابيح في الممرّ. كنتُ قد سألتُ دوغلاس عن ذلك ذات مرّة، فأجابني بشيء غامض عن مشكلة في الأسلاك الكهربائية. ومع أنّه تمتم قائلًا إنّه سيعمل على إصلاحها، إلّا أنّ المصابيح بقيت معطّلة طوال فترة عملي هنا. لذا، وإلى جانب قِدَم المبنى، أضفى الظلام جوًّا موحشًا على الطابق الثاني.

توقّفتُ أمام باب غرفة الضيوف. كانت السجّادة تحت قدميّ نظيفة تمامًا؛ فقد نظّفتُ كلّ الدماء التي كانت في الحمّام، وأزلتُ البقع عن السجّادة باستخدام بيروكسيد الهيدروجين؛ فلم يبقَ أيّ أثر يشير إلى أنّ دم ويندي سال على الأرض، ودوغلاس لا يعلم أنّني عرفتُ شيئًا عن ذلك.

عندما رفعتُ يدي لأطرق الباب، سرت قشعريرة في جسدي. وتذكّرت رغمًا عنّي تحذير ويندي لي في المرّة الأخيرة التي تحدّثنا فيها:

إن كنتِ تريدين مصلحتك، فلا تتورّطي، بل أغلقي هذا الباب وارحلي من هنا.

تجاهلتُ مخاوفي. لا، أنا لا أتراجع أبدًا. هكذا، وبتصميم متجدّد، طرقتُ الباب بقوّة.

كنتُ على أتمّ الاستعداد لأتوَسّل إليها كي تفتح لي مجدّدًا، لكنْ، هذه المرّة، سمعتُ وقع خطًى خلف الباب، الذي ما لبث أن انفتح قليلًا. ومجدّدًا، وجدتُ نفسي أحدّق إلى وجه ويندي المكسوّ بالكدمات، مع أنّه بدا في حالة أفضل ممّا كان عليه قبل أيّام.

"ماذا تريدين؟" كان صوتها مشوبًا بنبرة استسلام وهي تتابع: "كنتُ أحاول النوم."

نظرت إلى قميص نومها الأصفر الباهت، ولحسن الحظّ، لم يكن ملطّخًا بالدماء اليوم. فقلتُ لها: "يا له من قميص نوم جميل؛ عادة أنام بقميص قطنيّ."

عقدَت ذراعيها أمام صدرها متسائلة: "هل أيقظتِني لتخبريني بذلك؟"

"لا، الأمر ليس كذلك. في الحقيقة، أريد أن أطرح عليك سؤالًا."

تحرّكت ويندي ببطء في مكانها. لم أدرك سابقًا مدى نحافتها؛ إنّها هزيلة للغاية. ربما كان مرضها هو السبب، لكن لم يسبق لي أن رأيت امرأة بهذه النحافة. كانت عظام ترقوتها بارزة على نحو مثير للقلق، وعندما شدّت قميص نومها، استطعتُ رؤية كلّ عظام يدها الشاحبة التي تخطُّها العروق الزرقاء. بدت عيناها كبيرتين بشكل غير طبيعي في وجهها النحيل. "ماذا تريدين؟"

"أريد أن أعرف كيفيّة حصولك على رقم هاتفي."

تلاعبت بخصلات شعرها الكستنائي، فلاحظتُ السوار المعلق حول معصمها، وهو السوار نفسه الذي قدّمه لها دوغلاس هديّة مؤخّرًا.

"ماذا تعنين؟"

"أخبرني دوغلاس أنّكِ أنتِ من أعطيته رقمي ليتّصل بي من أجل وظيفة التنظيف، لكن كيف حصلتِ عليه؟"

"ألم تضعي إعلانًا؟ لا بدّ أنّني وجدته بهذه الطريقة". أطلقَت تنهيدة طويلة، ثمّ أضافت: "والآن، إذا لم تمانعي، سأعاود النوم، فقد كان يومي طويلًا."

"في الواقع، اكتشفتُ أنّ الإعلان لم يُنشر قطّ. لذا، أكرّر سؤالي، كيف حصلتِ على رقمي؟"

رأيتُ التوتّر يظهر على ملامحها، وكأنّ عقلها يحاول بسرعة اختلاق كذبة أخرى، فما كان منّي إلّا أن قاطعتها قائلة: "أخبريني بالحقيقة."

نظرَت إلى الأسفل وقالت بصوت ضعيف: "أرجوكِ... لا أريد فعل ذلك، انسي الأمر."

قلتُ من بين أسناني: "أخبريني".

فرفعَت يديها باستسلام، ثم انفجرت قائلة: "لماذا لا تفعلين أبدًا ما أطلبه إليكِ؟ حسنًا! حصلتُ على رقمكِ من جينجر هاول."

كان وقع الصدمة كبيرًا. فأنا أعرف تمامًا من تكون جينجر هاول، ولكنّني لم أرَها منذ سنوات؛ منذ سنتين تحديدًا. فهي واحدة من آخر النساء اللواتي عملتُ لديهنّ قبل أن يسافر إنزو إلى إيطاليا. وقد وجدنا لها محاميًا وافق على التعاون معها بشكل طارئ لمساعدتها على الطلاق من زوجها المتوحّش؛ فخاض معركة شرسة، وكنّا على وشك الاستحصال لها على جواز سفر وبطاقة هويّة جديدين، لكنّ الزوج وافق أخيرًا على تركها تذهب.

أتمنّى أن تكون بخير الآن. فقد بدت امرأة طيّبة، ولم تكن تستحقّ ما فعله بها زوجها.

لكن، إذا كانت ويندي قد سمعت عنّي من جينجر، فهذا يعني...

سألتُها: "ويندي، لماذا طلبتِ إلى دوغلاس أن يتّصل بي؟" فتحت فمها لتردّ، لكنّني تابعت بسرعة: "أريد السبب الحقيقي."

بقي نظرها مثبّتًا على السجّادة، وكأنّها تخشى النظر إلى عينيّ.

"أعتقد أنّكِ تعرفين السبب."

شعرتُ بطنين خافت في رأسي. فمنذ لحظة دخولي هذا المنزل، ساورني إحساس غريب بشأنه. لكن كلّما حاولتُ التحدّث إلى ويندي، بدت غير راغبة في التواصل معي.

قالت أخيرًا بنبرة مريرة: "لقد كسرتُ معصمي؛ دفعني، فسقطتُ وانكسر. لكن عندما ذهبتُ إلى الطبيب، لم يبارح الغرفة مطلقًا، فاضطررتُ إلى إخبارهم أنّني انزلقتُ على الجليد وسقطتُ. لهذا السبب، سمح لي بإحضار مساعِدة إلى المنزل؛ فهو لا يسمح لأحد بالدخول إلى هنا."

شددتُ قبضتيّ بقوة. "ولماذا لم تقولي شيئًا؟"

"لأنّ إحضارك إلى هنا كان فكرة غبية". وامتلأت عيناها الحمراوان بالدموع وهي تتابع قائلة: "كنتُ يائسة، لكن بمجرّد أن رأيتكِ، تراجعتُ. فأنتِ لا تعرفين دوغلاس، لا تعرفين شيئًا عنه؛ الفرار منه مستحيل."

"أنتِ مخطئة".

أرجعت رأسها إلى الخلف وأطلقت ضحكة مشبعة بالسخرية. "أنتِ لا تعرفين عمّا تتحدثين؛ فدوغلاس في كلّ مكان. إنّه يرى كلّ شيء."

وعلى الفور، تذكّرتُ كلّ المرّات التي كنتُ أمشي فيها في الشارع، وأشعر أنّني مُراقبة.

"وهل يرانا الآن؟ هل يستمع إلى حديثنا؟"

"أنا... لا أدري". جالت عيناها في أرجاء الردهة بقلق. "لم أتمكّن من العثور على أيّ كاميرات في المنزل، لكنّ هذا لا يعني أنّها غير موجودة. فدوغلاس قادر على استخدام التكنولوجيا، ويملك تقنيات لا يمكننا حتّى تخيّلها. إنّه عبقري، كما تعلمين". حملت ضحكتها نبرة حزينة هذه المرّة، ثمّ أضافت: "وكنت أجد هذه الصفة جذّابة ذات يوم."

"لا يزال الأمر يستحقّ المحاولة."

احمرّت وجنتاها المتورّمتان قليلًا وهي تقول: "أنتِ لا تفهمين؛ سيصرف كلّ قرش بحوزته لتعقّب أثري."

كانت على حقّ، ودوغلاس يملك الكثير من تلك القروش. لا شكّ في أنّ الهروب من زوج مثل دوغلاس سيكون صعبًا للغاية. في الحقيقة، ليست لديّ أدنى فكرة عمّا يمكنه فعله، ولا أدري إن كنت أستطيع مساعدتها، لا سيّما وأنّني لا أملك الموارد التي كان إنزو يملكها... فأنا لا أعرف "شخصًا" أستعين به كلّما واجهتني مهمّة صعبة. لهذا السبب، أقسمت على ترك هذا النوع من الحياة، والتّركيز على دراستي الجامعية، حتّى أتمكّن من مساعدة النساء بطريقة لا تتطلّب خرقًا للقانون. لكنّ كلّ ذرّة في جسدي كانت تصرخ مطالِبة إيّاي بتقديم المساعدة لهذه المرأة على الفور.

لم أكن لأتجاهل رجلًا في المترو يحتاج إلى المساعدة، أو امرأة تُطعن حتى الموت تحت نافذتي. ولا يمكنني بالتالي أن أتجاهل معاناة هذه المرأة وهي تحدث أمام ناظرَيّ.

سألتها: "هل لديك أيّ مال؟ أعني أموالًا نقدية."

أومأت بتردّد. "كنت أبيع بعض مجوهراتي تدريجيًّا. لديّ الكثير منها؛ فكلّما ضربني، اشترى لي هديّة جديدة وقيّمة. لديّ بعض المال المخبّأ في مكان لا أعتقد أنّه سيجده. صحيح أنّه لن يدوم طويلًا، ولكنّه قد يكفي لبعض الوقت."

كان عقلي يعمل بسرعة. "هل لديك أيّ أصدقاء يمكنهم مساعدتك؟ أشخاص لا يعرفهم، من أيّام الثانوية أو الجامعة أو...؟"

قالت بصوت مبحوح: "من فضلك، توقّفي. أنتِ لا تفهمين ما أحاول قوله؛ دوغلاس خطر للغاية، ولا يجوز الاستخفاف به. إذا حاولتِ مساعدتي، فلن تنجح المحاولة و... وستندمين، صدّقيني."

"لكن، ويندي..."

"لا أجرؤ على الفرار، هل هذا مفهوم؟"

نظرت إلى السوار الذي يحيط بمعصمها الأيسر، وتذكّرت كم كان دوغلاس فخورًا عندما أراني إيّاه. لمعت نظرة جنونية في عينيها وهي تعبث بالمشبك حتّى انزلق السّوار من معصمها النحيل.

قالت بصوت مفعم بالغضب: "أنا أكره الهدايا التي يقدّمها لي، ولا أطيق حتّى النظر إليها، لكنّه يتوقّع منّي أن أضعها."

قبضت على السوار بيدها، ثم أمسكت بيدي، ووضعته في راحتي. "أبعديه عن نظري، لا أريد رؤيته بعد الآن. وإذا سألني عنه، فسأخبره أنّني أضعته."

فتحتُ يدي لأنظر إلى السوار الصغير، وتساءلت عمّا إذا كان ملوّثًا بدمائها. "لا يمكنني أخذ هذا، ويندي."

ردّت بحدّة: "إذًا، تخلّصي منه. لا أريده في منزلي بعد الآن، وخاصّة مع هذا النقش."

قرّبت السوار من عينيّ لأقرأ الكلمات المنقوشة عليه بخطّ صغير:

إلى و، أنتِ لي إلى الأبد، مع حبّي د.

قالت بمرارة: "له إلى الأبد، ملكه".

لم تكن الرسالة تحتمل التأويل.

قلت: "رجاءً، دعيني أساعدك"، وأمسكتُ بمعصمها من دون أن أنتبه إلى أنّه قد يكون المعصم المكسور. ولكن حين شهقت ألمًا، تركتها فورًا. "سأفعل كلّ ما يلزم، فأنا لستُ خائفة من زوجك. وكوني أكيدة أنّه بمقدورنا إيجاد طريقة لإخراجك من هذا الجحيم."

عندئذٍ رأيت ذاك البريق في عينيها؛ ومضة تردّد، ولمحة أمل. ولم يدُمْ ذلك سوى لثانية خاطفة، لكنّني رأيته، هذه المرأة يائسة.

قالت بحزم: "لا أريد. والآن، اذهبي من فضلك."

وقبل أن أنطق بكلمة أخرى، أغلقَت الباب في وجهي.

من الواضح أنّ ويندي غاريك مرعوبة من زوجها، وأنا أيضًا أخشاه. لكن بعد كلّ هذه السنوات، تعلّمتُ ألّا أسمح للخوف بالسيطرة عليّ. فقد أسقطتُ زافييه، وتصدّيتُ لرجال لا يقلّون عن دوغلاس نفوذًا. لذا، وبغضّ النظر عمّا تقوله ويندي، أعرف أنّني أستطيع أن أتدبّر أمره.

الفصل الرابع والعشرون

لو حصلت على خمسة سنتات كلّما أوشك درّاج أن يدهسني على مسار الدرّاجات وأنا أعبر الشارع، لما اضطررت إلى العمل لدى آل غاريك. فبينما كنت أعبر الشارع متّجهة إلى "البنتهاوس"، كاد أحد راكبي الدّرّاجات - من دون خوذة، وهاتفه المحمول على أذنه - أن يتسبّب بدخولي المستشفى. يبدو الأمر وكأنّها قاعدة ثابتة؛ فراكبو الدرّاجات الذين يستخدمون هواتفهم لا يرتدون الخوذات أيضًا.

قبل أن أصل إلى مدخل المبنى بقليل، رنّ هاتفي في حقيبتي. فتردّدت في الإجابة، وفكّرت في تركه يتحوّل إلى البريد الصوتي، ثمّ تنهّدت، وبحثت في حقيبتي حتّى أخرجته. ظهر اسم بروك على الشاشة، فشعرت بميل أكبر إلى ترك المكالمة تتحوّل إلى البريد الصوتي؛ إذ لم أرغب في خوض محادثة جديدة معه حول سبب عدم قدرتي على الانتقال إلى شقّته، أو كما يحبّ أن يقول، سبب رفضي لذلك.

أخيرًا، ضغطت على الزرّ الأخضر وأجبت: "ألو".

"مرحبًا، ميلي، هل ترغبين في تناول العشاء معي الليلة؟"

"على الأرجح، سأتأخر الليلة عند آل غاريك". ولم أكن أكذب تمامًا.

"آه."

تساءلت عن عدد المرات التي سيتحتّم عليّ فيها رفض دعوات العشاء قبل أن يكفّ عن السؤال؛ علمًا أنّني لا أريد ذلك. فأنا معجبة ببروك كثيرًا، حتّى إن كنت غير مغرمة به بعد، ولا أريد أن أخسره.

"اسمع، سيسافر دوغلاس بضعة أيّام بدءًا من الغد، لذا لن يكونا بحاجة إليّ للطهي. ما رأيك في تناول العشاء غدًا؟"

"أنا موافق". بدا صوته غريبًا بعض الشيء وهو يضيف: "خلال العشاء، أعتقد أنّنا بحاجة إلى إجراء حديث أيضًا."

أطلقت ضحكة متوتّرة. "لا يبدو أنّ الحديث يبشّر بالخير."

"أنا فقط..." تنحنح متابعًا: "أنا معجب بكِ كثيرًا يا ميلي، لكن علينا مناقشة وضعي معكِ."

"وضعك جيّد جدًّا."

"أحقًّا؟"

لم أعرف ماذا أقول. لكنّه محقّ؛ فنحن بحاجة إلى الحديث عاجلًا أم آجلًا. إذ عليّ أن أكون صريحة معه بشأن كلّ ما حدث في الماضي، ليقرّر بعدها ما إذا كان يريد الاستمرار معي أم لا. في الواقع، أتمنّى أن يكون رجلًا طيّبًا بما فيه الكفاية، بحيث لا يفرّ هاربًا حين يكتشف أنّني أمضيت عقدًا من الزمن في السجن؛ لكنّني لا أكفّ عن تخيّل تعابير وجهه عندما أخبره الحقيقة، وهي ليست تعابير سعادة على الإطلاق.

قلت: "حسنًا، سنجري الحديث."

"إذًا، هل نلتقي في شقّتي عند السابعة؟"

"بالتأكيد."

ساد صمت قصير على الخطّ، وخشيت أن يقول لي مجدّدًا إنّه يحبّني، لكنّه قال بدلًا من ذلك: "أراكِ غدًا."

بعد أن أنهيت الاتّصال، حدّقت إلى شاشة هاتفي للحظات. ماذا لو أعاودُ الاتّصال به الآن وأخبره بكلّ شيء؟ ماذا لو أنزع الضمادة دفعة واحدة، وأضع حدًّا لهذا الشعور المزعج الذي يلازمني منذ فترة، بدلًا من أن أحمله معي ليوم آخر؟

لا، لا يمكنني فعل ذلك الآن، بل عليّ تأجيل الأمر إلى الغد.

واصلت طريقي نحو المبنى، وأنا أشعر بثقل غريب. عندما وصلت، هُرِعَ الحارس ليفتح لي الباب، وفي أثناء ذلك، غمزني.

استوقفني الأمر قليلًا؛ فالرّجل يكبرني بثلاثين عامًا على الأقلّ. هل يقصد مغازلتي؟! حاولت أن أتذكّر إن كنت قد رأيته يغمزني من قبل، لكنّني سرعان ما طردت الفكرة من رأسي؛ فأنا لن أشغل بالي الآن بحارس مبنى غريب الأطوار.

عندما توقّفَت محرّكات المصعد عند الطابق العشرين، وفُتِح الباب المؤدّي إلى "البنتهاوس"، كدت أقفز من مكاني مجفَلة. ففي كلّ المرّات التي زرت فيها هذا المكان خلال الأشهر الماضية، لم يسبق لي أن رأيت هذا المشهد من قبل؛ وكان ما رأيته كافيًا لأقف فاغرةً فاهي من شدّة الذهول.

كانت ويندي واقفة أمام باب المصعد، وقد غادرت أخيرًا غرفة النوم. وقفت تحدّق إليّ بعينيها الخضراوين الكبيرتين، ثمّ قالت: "علينا التحدّث."

الفصل الخامس والعشرون

أمسكت ويندي بذراعي وسحبتني نحو الأريكة. فلاحظت أنّها قوية، على الرغم من نحافتها الشديدة. ولسبب ما، لم أستغرب ذلك تمامًا.

جلستُ على الأريكة وجلسَت بجانبي، ثمّ مسّدت ثوب نومها فوق عظام ركبتيها البارزة. كانت الكدمات على وجهها تتلاشى، لكنّ عينيها ما زالتا حمراوين؛ تمامًا كما رأيتهما آخر مرّة.

قالت: "أخبرتني أنّك مستعدّة لمساعدتي، فهل كنتِ جادّة؟"

"بكلّ تأكيد!"

وعلى الفور، لمعت ابتسامة صغيرة على شفتيها، فأدركتُ في تلك اللحظة أنّها جميلة جدًّا. لكن بين نحافتها المفرطة وكدماتها، لم ألاحظ ذلك من قبل. قالت: "لقد أخذتُ بنصيحتكِ."

"نصيحتي!"

"بعد أن غادرتِ، فكّرتُ في وضع حدّ لحياتي."

شهقتُ بذهول: "لم تكن هذه هي النصيحة التي أسديتُكِ إيّاها!"

فسارعَت إلى القول: "أعلم ذلك، ولكنّني شعرت أنّ حالي ميؤوس منها. فعندما أقنعتُ دوغلاس بتوظيفك، كان ذلك أشبه بآخر طوق نجاة لي للخروج من هذا الكابوس. وعندما طلبتُ إليك الرحيل، شعرتُ أنّني أقضي نهائيًّا على فرصتي للفرار منه. لذا، ذهبت إلى الحمّام وفكرت في شقّ معصمَيّ."

"يا إلهي! ويندي..."

"لكنّني لم أفعل"، ثمّ تابعت وهي ترفع ذقنها بتصميم: "لأنّني، ولأوّل مرّة، لم أشعر بأنّني وحيدة تمامًا. كما تذكّرتُ ما قلتِه عن التواصل مع شخص لا يعرفه دوغلاس، شخص من الماضي لم يلتقِه قطّ. فتذكّرتُ صديقتي القديمة فيونا. كانت واحدة من أعزّ صديقاتي في الجامعة، ولم نتحدّث منذ سنوات، كما أنّني لم أتواصل معها إطلاقًا عبر وسائل التواصل الاجتماعي."

رفعتُ حاجبيّ بدهشة: "إذًا، هل ستحاولين البحث عنها؟"

احمرّت وجنتاها الشاحبتان عادة وهي تجيب: "لقد بحثت عنها بالفعل. حصلتُ على رقم هاتفها بعد أن اتّصلتُ بإحدى صديقاتي من أيّام الجامعة، وجعلتها تقسم لي على الحفاظ على السرّية المطلقة. وفي صباح اليوم، تحدّثتُ إلى فيونا لساعات. تبيّن أنّها تملك مزرعة بالقرب من بوتسدام في شمال ولاية نيويورك، وتعيش هناك في شبه عزلة، ولا تملك سوى هاتف أرضي. أخبرتُها بكلّ شيء عن وضعي، فقالت لي إنّه بإمكاني البقاء معها ما رغبت في ذلك."

مع أنّني أثنيتُ على مبادرتها، إلّا أنّ هذا الحلّ لن يُنهي مشكلتها. فحتّى لو لم يجدها هناك، لا يمكنها الاختباء في شمال نيويورك إلى الأبد. إذ لن تتمكّن حتّى من الحصول على عمل من دون بطاقة هويّة أو رقم ضمان اجتماعي، وهذا تحديدًا ما كان إنزو يساعد فيه. فمع الموارد التي يمتلكها دوغلاس، سيعثر عليها بمجرّد استخدامها اسمها الحقيقي. كما أنّني تعلّمتُ من التجربة أنّ اللجوء إلى الشرطة لن يفيد عندما يتعلّق الأمر بهؤلاء الرجال الأثرياء وأصحاب النفوذ؛ فهم يجيدون رشوة الأشخاص المناسبين.

اعترفَت قائلة: "أعلم أنّ هذا الحلّ ليس دائمًا، لكن لا بأس؛ يكفيني البقاء هناك لفترة قصيرة فقط، والتخطيط للخطوة التالية. فربّما أتمكّن من العثور على محامٍ يساعدني في الإجراءات اللازمة وأنا مختبئة عن دوغلاس، وربّما أجد من يعينني لأبدأ من جديد". أخذَت نفَسًا مضطربًا قبل أن تضيف: "المهمّ أنّني لن أكون معه بعد الآن، ولن يتمكّن من الوصول إليّ."

فقلت لها بصدق: "هذا رائع، ويندي". وكنت أعني ذلك؛ مع أنّني على وشك خسارة وظيفة مربحة للغاية. في الواقع، كنت قد احتفظت بذلك السوار الذي أجبرتني على أخذه في ذلك اليوم، وربّما تمكّنتُ من رهنه لتأمين إيجار شهر. إضافةً إلى ذلك، أشعر أنّ حديثي مع بروك غدًا سيؤدّي إلى انتقالي إلى شقّته في نهاية المطاف (إمّا ذاك أو أنّنا سننفصل نهائيًّا).

قالت ويندي: "ولكن إليك المسألة التي أحتاج إلى مساعدتك فيها."

"تفضّلي، أنا جاهزة لأيّ شيء تطلبينه."

"إنّه طلب كبير نوعًا ما، لكنّني سأعوّضك."

"أخبريني ما هو."

"أحتاج إلى أن توصليني إلى وجهتي". كانت يدها ترتجف قليلًا وهي تعبث بياقة ثوبها. "فخُطّتي تقضي بالهرب عندما يسافر دوغلاس غدًا. سيكون في الطرف الآخر من البلاد، لذا، حتّى لو شكّ في اختفائي، فلن يتمكّن من فعل أيّ شيء على الفور."

"حسنًا..."

"قالت فيونا إنّها تستطيع المجيء لاصطحابي إذا تمكّنتُ من الوصول إلى ألباني؛ لأنّها لا تستطيع مغادرة مزرعتها طوال اليوم. لذلك، أنا بحاجة إلى من يوصلني إلى هناك. فكّرتُ في استئجار سيّارة، لكنّني سأضطرّ إلى إبراز هويّتي و..."

قاطعتها فورًا: "سأفعل. سأستأجر السيّارة، وسأوصلك إلى ألباني، لا مشكلة على الإطلاق."

فأمسكَت بيديّ وقالت: "شكرًا لك، ميلي. أعدك أنّني سأعطيك المال نقدًا. أنت لا تعرفين كم يعني لي ذلك."

قلت لها: "لا تقلقي بشأن المال، فأنت بحاجة إليه أكثر منّي". على الرّغم من أنّني في الواقع كنت قلقة جدًّا بشأنه.

ألقت ذراعيها حولي، ولم أدرك مدى هشاشة جسدها إلّا حينذاك؛ فقد شعرت أنّني قد أسحقها لو عانقتها بقوّة.

وعندما ابتعدت عني، همست بعينَين دامعتَين: "عليكِ أن تعرفي أنّك إذا ساعدتِني، فستعرّضين نفسك للخطر."

فنظرتُ إليها بثبات وقلت: "أنا أدرك ذلك."

هزّت رأسها ببطء، ثم مرّرت لسانها على شفتيها المتشقّقتين قليلًا: "لا، أنتِ لا تدركين شيئًا. فدوغلاس رجل في غاية الخطورة، وأقسم لكِ، إنّه سيفعل أيّ شيء ليجدني ويعيدني إليه، أيّ شيء."

غير أنّني قلت لها من دون تردّد: "أنا لستُ خائفة."

لكن في أعماق رأسي، كان ثمّة صوت يخبرني بأنّه يجدر بي أن أخاف، وبأنّ التقليل من شأن دوغلاس غاريك سيكون خطأً فادحًا.

الفصل السادس والعشرون

في صباح اليوم التّالي، استأجرتُ سيّارة.

أعطتني ويندي قيمة الإيجار نقدًا، مع أنّني أخبرتها بأنّها ليست مضطرّة إلى ذلك. في جميع الأحوال سأستخدم بطاقتي الائتمانية لاستئجار السيّارة؛ فأنا لا أريد أن يكون لهذا الإيجار أيّ صلة بها.

بطبيعة الحال، قد يشكّ دوغلاس غاريك بأنّ لي يدًا في اختفاء زوجته. لكنّني لن أشي بها، مهما حدث، حتّى لو قام بتعذيبي؛ وهو أمر لا أستبعده عنه إطلاقًا. فالرجل الذي يمكنه ضرب زوجته بهذا الشكل لا يتورّع عن فعل أيّ شيء.

بادرتني الفتاة الجالسة خلف المكتب بصوت مرح: "أهلًا بك في هابي كار رنتال". بدت الفتاة صغيرة، في سنّ تسمح لها حتّى باستئجار سيّارة بنفسها. "كيف يمكنني مساعدتك؟"

"لقد حجزتُ سيّارة فورد فوكوس رمادية اللون؛ أجريتُ الحجز عبر الإنترنت."

بدأت الفتاة بإدخال بياناتي في الحاسوب، بينما كنت أطرق بأصابعي على سطح المكتب. وخلال وقوفي هناك، تسلّلت إليّ مجدّدًا تلك القشعريرة المألوفة في مؤخّر عنقي، كما لو أنّ أحدهم يراقبني.

حين استدرتُ، وجدت أنّ الواجهة الزجاجية لمكتب التأجير تمتدّ من الأرض إلى السقف، ممّا يسمح لأيّ شخص في الخارج برؤية كلّ ما يجري في الداخل بسهولة. وللحظة، تخيّلت أنّني سأرى وجه رجل ملتصقًا بالزجاج يحدّق إليّ، لكن لم يكن ثمّة أحد.

ارتجفتُ لا إراديًّا. فوفقًا للسيّدة راندال، زافييه مارين في السجن؛ لا يمكنه الخروج بكفالة، على حدّ قولها، وقد طردَته من الشقّة. إذًا، لماذا يلازمني هذا الشعور؟ وهذه ليست المرّة الأولى. فقد راودني الإحساس نفسه مرّات عدّة منذ اعتقال زافييه.

في الحقيقة، أنا لا أعلم من الذي يراقبني كلّ هذا الوقت. ماذا لو كان دوغلاس غاريك هو من يتعقّبني في أنحاء المدينة؟ لا يبدو الأمر منطقيًّا تمامًا؛ لأنّني كنت أشعر بهاتين العينَين خلفي حتّى قبل أن أبدأ بالعمل لديه. ومع ذلك، لا يمكنني استبعاد الأمر كلّيًّا، فهو الشخص الذي رأيته عند ذلك المطعم في الهواء الطلق.

ماذا لو كان دوغلاس يعرف تمامًا ما نخطّط له؟ ماذا لو كان في الخارج، يراقب؟

قالت الفتاة: "سيّارتك جاهزة، إنّها هيونداي حمراء."

فقلتُ بنفاد صبر: "لا، لقد حجزتُ سيّارة فورد فوكوس رمادية". فالحفاظ على السرّية وعدم لفت الانتباه هما سرّ نجاح الخطّة؛ هذا ما تعلمتُه من إنزو.

غير أنّ الفتاة هزّت كتفيها بلا مبالاة وقالت: "أنا آسفة، فالنظام يشير إلى أنّ الحجز تمّ لسيّارة هيونداي حمراء، وليست لدينا أيّ سيّارة فورد فوكوس رمادية مُتاحة حاليًّا."

"هذا غير معقول! هل حجزتُ سيّارة لا وجود لها عندكم؟"

هزّت كتفيها مجدّدًا بلا حول ولا قوّة؛ غير أنّها ليست المرّة الأولى التي يحدث لي فيها شيء كهذا.

قلتُ بضيق: "لا أريد سيّارة حمراء، ماذا عن هيونداي رمادية؟"

هزّت رأسها مجيبة: "سيّارات سيدان قليلة اليوم، لكن بإمكاني تأجيرك هوندا CR-V رمادية."

تردّدتُ قليلًا، متسائلة عمّا إذا كانت سيّارة دفع رباعي ستلفت الانتباه أكثر من السيّارة الحمراء. وفي النهاية، وافقتُ على أخذ الهيونداي الحمراء.

بصراحة، لم أكن أريد سوى الخروج من هنا. فالهدف من هذه الرحلة إخراجُ ويندي من المدينة، ولكن قد لا يضيرني أن أغادر المدينة لبعض الوقت أنا الأخرى.

الفصل السابع والعشرون

ستستغرق الرحلة إلى وجهتنا نحو خمس ساعات؛ مع مراعاة حركة المرور. على الأقلّ، هذا ما يشير إليه نظام تحديد المواقع.

تقضي خطّتنا بالعثور على نزل رخيص بجانب الطريق السريع عندما نقترب من ألباني. سأترك ويندي هناك لقضاء الليلة، ثمّ ستأتي فيونا لأخذها في الصباح التالي. وستحمل معها من الملابس ما يكفي لبضعة أسابيع، ومن المال ما يكفيها لعدّة أشهر.

لن يجدها دوغلاس أبدًا.

أوقفتُ سيارتي الهيونداي بلونها الأحمر الفاقع على بُعد شارعٍ من المبنى، لكيلا يلاحظ البواب - الذي لا يكفّ عن غمزي - أنّ زوجة دوغلاس ركبت سيّارة سيدان حمراء مع خادمته. كان لون السيّارة صارخًا؛ لدرجة جعلتني أشعر وكأنّني أقود سيّارة إطفاء، لكن لم يعد بإمكاني فعل شيء حيال ذلك الآن.

وبينما كنتُ أنتظر في السيّارة ظهور ويندي، وصلتني رسالة نصّية من دوغلاس:

هل ستأتين الليلة؟

كان قد طلب إليّ تنظيف المنزل أثناء غيابه، ووافقتُ على ذلك. لم يُفاجئني أنّه ما زال يراقب، ويؤكّد على جدول التنظيف، حتّى وهو خارج المدينة. وهذا الأمر جعلني أشعر بعدم الارتياح؛ لأنّه سيعود ليكتشف اختفاء زوجته. مع ذلك، وللتّظاهر قدر الإمكان بأنّ الأمور طبيعية، أجبته برسالة مقتضبة:

مكتبة
t.me/soramnqraa

سأكون هناك.

لن أكون هناك بالتأكيد، بل في الطريق، أُقِلُّ زوجته إلى برّ الأمان.

على الرغم من انزعاجي من الخطأ الذي حصل في مكتب تأجير السيّارات، وعلى الرغم من طول الرحلة التي تنتظرني، لم يسعني سوى أن أبتسم لنفسي. أخيرًا، ستترك ويندي

دوغلاس؛ هذه هي النتيجة التي كنت أجدها مجزية. ولهذا السبب، قرّرتُ دراسة العمل الاجتماعي. فأنا أريد أن أقضي حياتي في مساعدة أشخاص مثلها.

في مرآة الرؤية الخلفية، رأيت ويندي قادمة، تحمل حقيبتَي سفر. رفعَت شعرها إلى الخلف في تسريحة ذيل حصان بسيطة، ووضعَت نظّارة شمسية داكنة، وارتدت سترة رياضية مريحة وسروال جينز أزرق.

ترجّلتُ من السيّارة، وساعدتُها في وضع حقائبها في الصندوق، فابتسمت لي بسعادة عارمة وعلّقت قائلة: "لقد نسيتُ كم أنّ الجينز مريح!"

"ألا ترتدين الجينز؟"

فقالت وهي تكشّر بامتعاض: "دوغلاس يكرهه. لهذا السبب، لم أحضر معي سوى سراويل جينز!"

ضحكتُ وأنا ألقي بأمتعتها في الصندوق الخلفي. بعد ذلك ركبنا السيّارة، وشغّلتُ نظام تحديد المواقع، ثمّ انطلقنا. لم أقد سيّارة منذ عامين، وقد فرحت بالإمساك بعجلة القيادة مجدّدًا. صحيح أنّ القيادة في المدينة مرهقة للغاية، لكن بمجرد أن نصل إلى الطريق السريع سيكون الأمر أسهل؛ على الأقلّ حتّى نصل إلى ساعة الذروة.

سألتُ ويندي: "إذًا، ألم يشكّ دوغلاس بشيء؟"

فدفعت نظّارتها الشمسية إلى أعلى أنفها الصغير وقالت: "لا أظنّ ذلك. دخل ليودّعني قبل أن يغادر، وتظاهرتُ بأنّني نائمة في السرير". ثمّ نظرت إلى ساعتها مضيفة: "وفي هذه اللحظة، لا شكّ في أنّه على متن طائرته المتّجهة إلى لوس أنجلوس."

"هذا جيّد."

رفعَت نظّارتها لتنظر إليّ مباشرةً: "أنت لم تخبري أحدًا بأيّ شيء، أليس كذلك؟"

"قطعًا لا، لم أخبر أحدًا."

بدا عليها الارتياح. "لا أطيق الانتظار حتى أغادر هذا المكان، حتّى إنّني تمكّنتُ من النوم بصعوبة الليلة الماضية."

"لا تقلقي، فأنا بارعة في القيادة. سنصل إلى النزل قبل أن تشعري بالوقت."

وما إن قلتُ ذلك، حتّى توقّفتُ فجأة عند إشارة حمراء، وكدتُ أصدم أحد المشاة، الذي عبّر عن استنكاره بوضوح. حسنًا، نحتاج إلى الوصول بسرعة، لكنّ الأهمّ هو أن نصل بسلامة.

وبينما كنتُ أنتظر تغيّر الإشارة، لمحتُ عبر مرآة الرؤية الخلفية سيّارة خلفي. كانت سيّارة سيدان سوداء، وكان مصباحها الأمامي الأيمن متصدّعًا.

أم هو الأيسر؟ مددتُ عنقي لأمعن النظر إلى الخلف؛ إذ إنّني دائمًا ما أخلط بين اليسار واليمين في المرآة. لا، حتمًا المصباح الأيمن هو المتصدّع.

مددتُ عنقي أكثر لأتفحّص الشبكة الأمامية، فلاحظتُ عليها دائرة صغيرة - شعار مازدا. عندئذٍ، شعرتُ بانقباض في صدري. إنّها سيّارة مازدا سوداء بمصباح أمامي متصدّع؛ وهي السيّارة نفسها التي رأيتها عدّة مرّات خلال الأشهر القليلة الماضية.

حاولتُ إلقاء نظرة على لوحة الأرقام، ولكن قبل أن أتمكّن من رؤية أيّ شيء بوضوح، دوّت أصوات أبواق السيّارات خلفي. حسنًا، يجب أن أتحرّك قبل أن يفقد أحدهم أعصابه ويقرّر إطلاق النار عليّ.

سألتني ويندي، وقد تغضّن جبينها فوق نظّارتها الشمسية: "هل أنتِ بخير؟ ما الأمر؟"

تردّدتُ في إخبارها؛ فأنا لا أستطيع بأيّ حال من الأحوال إلقاء نظرة فاحصة على لوحة الأرقام أثناء القيادة. وفي الوقت نفسه، هي متوتّرة أساسًا، ولا أريد أن أثير ذعرها بإخبارها عن شكوكي في أنّ شخصًا ما يتعقّبني، لا سيّما إن كان ذلك الشخص زوجَها.

مع ذلك، ليس بالضّرورة أن يكون دوغلاس. فعلى الرغم ممّا قالته السيّدة راندال، من المحتمل جدًّا أن يكون زافييه مارين قد خرج من السجن، ويطاردني الآن.

غير أنّ هذا الاحتمال لا يبدو منطقيًّا. فسواء أكان زافييه في السجن أم لا، لا شكّ في أنّ لديه ما يكفيه من الهموم الآن، ولن يضيّع وقته في ملاحقتي في أرجاء مانهاتن، وبالتأكيد ليس على طول الطريق إلى ألباني.

لذا، بينما كنت أتوجّه إلى الطريق السريع، حاولتُ أن أقود بحذر ودهاء؛ فأبقيتُ سيّارة المازدا في نطاق رؤيتي أثناء تغيير المسارات، وحاولت أن أعرف ما إذا كانت ستغيّر مسارها معي. ومع أنّها لم تفعل ذلك في كلّ مرة، إلّا أنّني كنت أراها كلّما نظرتُ إلى مرآتي. وفي لحظة معيّنة، تمكّنتُ من رؤية الأرقام الثلاثة الأولى من اللوحة: F58؛ إنّها

الأرقام نفسها التي رأيتها من قبل.

"ميلي!" شهقت ويندي حين كدتُ أصطدم بسيّارة دفع رباعي خضراء. "أرجوكِ، خفّفي السرعة! لا أريد أن أتعرّض لحادث."

فتمتمتُ: "أنا آسفة، لم أجلس خلف المقود منذ مدّة."

أخيرًا، وصلنا إلى طريق إيست ريفر درايف، وأنا لا أزال أراقب المرآة الخلفية. بقيَت المازدا السوداء خلفي طوال الطريق، وسيكون من السهل جدًّا أن تستمرّ في تتبّعي بمجرّد أن نسلك الطريق السريع. فبما أنّنا لم نصل إلى ساعة الذروة بعد، لن يكون الطريق مزدحمًا.

لكنّ هذا يعني أيضًا أنّه سيكون بإمكاني القيادة بسرعة والابتعاد عنها.

هكذا، عندما أصبحت على الطريق السريع، ضغطتُ على دوّاسة الوقود، استعدادًا للانطلاق بأقصى سرعة. لنرَ إن كانت تلك المازدا القديمة المتهالكة قادرة على مجاراتي عند سرعة ثمانين ميلًا في الساعة.

لكن عندما تحقّقت من المرآة الخلفية، لم أجد سيّارة المازدا. هذا يعني أنّها لم تنعطف خلفي إلى الطريق السريع.

عندئذٍ، تنفّست الصعداء، وشعرت بالراحة والارتباك في آنٍ واحد. فقد كنتُ واثقة تمامًا من أنّ تلك السيّارة كانت تلاحقني، ولم يكن لديّ أدنى شكّ في ذلك. ولكن اتّضح أنّها مجرّد مصادفة.

سيكون كلّ شيء على ما يرام.

الفصل الثامن والعشرون

اقترحت ويندي قائلة: "لنتوقّف عند ماكدونالدز."

كانت متحمّسة على نحو مبالَغ فيه لفكرة تناول طعام سريع. بالمقابل، وبما أنّ خمسين بالمئة من نظامي الغذائي يعتمد على الوجبات السريعة، فلم أكن متحمّسة بالقدر نفسه. في الواقع، دوغلاس صارم بشأن ما يمكن وما لا يمكن لويندي أكله، علمًا أنّها نحيلة جدًّا ومحرومة من الدهون، بحيث أخشى أن تقضي عليها قطعة بطاطس مقليّة واحدة.

لحسن الحظّ، ظهرت لافتة على جانب الطريق تحمل شعار ماكدونالدز بوضوح، فانحرفتُ عند المخرج التالي. وعلى أيّ حال، كنتُ بحاجة إلى التزوّد بالوقود.

ركنتُ السيّارة في موقف ماكدونالدز، فتألّقت عينا ويندي فرحًا. وما إن فتحَت بابها، حتّى غزت رائحة الطعام المقليّ أنفي. كنت على وشك النزول خلفها عندما رنّ هاتفي، فحملته، وشعرت بانقباض في معدتي عندما ظهر اسم بروك على الشاشة.

يا إلهي! لقد انشغلت بإنقاذ ويندي تمامًا، حتّى نسيت إلغاء موعد العشاء. كيف أمكنني فعل ذلك به مرّة أخرى؟ أنا معجبة جدًّا ببروك، فلماذا أستمرّ في تدمير علاقتنا؟

أتساءل أحيانًا عمّا إذا كنت أفعل ذلك عمدًا، لكي يتركني الآن، قبل أن أضطرّ إلى إخباره بالحقيقة، فيتخلّى عنّي حينذاك لسبب سيؤلمني أكثر بكثير.

قلت بصوت خشن: "اذهبي أنتِ، سألقاكِ في الداخل."

هذه المكالمة لن تكون سريعة؛ أو ربّما تكون قصيرة جدًّا.

عندما غادرت ويندي السيّارة، أجبت على المكالمة. لم أفاجأ حين بدا بروك على وشك الانفجار غاضبًا: "أين أنتِ؟ ظننت أنّكِ قادمة عند السابعة."

فقلت: "أمم... طرأت عليّ أمور مفاجئة."

"حسنًا، متى ستصلين إذًا؟"

كم تمنّيت إخباره أنّني قريبة، لكنّني على بعد ساعات، ولم تكن ثمّة طريقة سهلة لأزفّ له فيها هذا النبأ. "لا أعتقد أنّني سأتمكّن من الحضور الليلة."

"لماذا؟"

كان إخباره بالحقيقة أكثر ما أتمنّاه؛ لأنّ مشاركة ما يجري مع شخص آخر ستريحني حتمًا، لكنّ ويندي جعلتني أقسم على السرّية، وذلك لسبب وجيه. "لديّ عمل... ودراسة."

سرعان ما تحوّل مزاج بروك من الإحباط إلى الغضب الصريح: "هل تمزحين؟ ميلي، لقد كنّا على موعد الليلة، وأنت لم تتخلّفي عنه من دون إخباري فحسب، بل تتذرّعين الآن بالدراسة بكلّ سخافة؟"

لم أفهم سبب اعتراضه، فربّما كنت مضطرّة إلى الدراسة بالفعل! قلت: "اسمع يا بروك..."

فقاطعني بخشونة: "لا، أنتِ من يجب أن تسمع. لقد كنت صبورًا معك، لكنّ صبري بدأ ينفد. أريد أن أعرف ما تشعرين به تجاهي، وإلى أين تسير هذه العلاقة؛ لأنّني مستعدّ لخطوة جدّية، وأريد أن أتأكّد من أنّني لا أضيع وقتي."

كان بروك مستعدًّا للاستقرار تمامًا. وكنت أعلم أنّ الأمر مرتبط إلى حدّ ما بحالته الصحّية، وربّما أيضًا بتلك الرغبة في المزيد التي تراود كثيرين عند بلوغهم الثّلاثينيّات من العمر. بروك لا يلهو، لذا إمّا أن أكون جادّة أو أتركه يمضي.

فهمست عبر الهاتف: "أنت لا تضيع وقتك، أؤكّد لك. الأمور فوضوية قليلًا الآن بالنسبة إليّ، لكن أقسم لك إنّني أهتمّ لأمرك حقًّا."

"أحقًّا؟ لأنّني لا أشعر بذلك أحيانًا."

كنت أعلم ما الذي يريده، وأدرك أنّني أمام خيارَيْن لا ثالث لهما؛ إما أن أخبره بما يريد سماعه، أو أن أنهي هذه العلاقة.

ولم أكن أريد إنهاءها. فحتّى لو لم يكن ما سأقوله نابعًا من قلبي، إلّا أنّ بروك رجل رائع بحقّ، والحياة التي تخيّلتها معه هي ما أردته دائمًا. وأنا لست مستعدّة لخسارته.

تنفّست بعمق وقلت: "بلى، أنا أهتمّ لأمرك... أنا... أنا أحبّك."

كدت أسمع انطفاء نيران الغضب في صوته وهو يقول: "وأنا أيضًا أحبّكِ يا ميلي، أحبّكِ حقًّا."

قلت: "ونحن بحاجة إلى الحديث". لا بدّ لي من إخباره بكلّ شيء عنّي، قريبًا؛ فأنا لم أعد أحتمل العيش في انتظار انكشاف الحقيقة. عليّ أن أكشف له كلّ شيء بنفسي، وأتأكّد أنّه ما زال يريد أن يكون معي. "بمجرّد أن تهدأ الأمور، هل اتّفقنا؟ الأسبوع القادم."

فأجاب بروك: "حسنًا". كنت واثقة أنّه على استعداد للموافقة على أيّ شيء في تلك اللحظة. ثمّ أضاف: "وإذا أنهيتِ الدراسة، ربّما يمكننا تناول العشاء معًا غدًا، ثمّ تمضين الليلة عندي".

أنا دائمًا أمضي الليل في منزله، ولا أعرف السّبب الّذي جعله يكلّف نفسه عناء ترك ملابس احتياطية وزجاجة من دوائه في شقّتي. لكن عليّ الاعتراف بأنّ منزله جميل ومريح أكثر بكثير من منزلي. لذا أجبت: "بالتأكيد."

"أحبّكِ، ميلي."

أوه. يبدو أنّنا سننهي محادثاتنا على هذا النحو من الآن فصاعدًا. "وأنا أحبّك أيضًا."

أنهيت المكالمة، لكنّ شعورًا بعدم الارتياح ظلّ جاثمًا على صدري. لا يزال بروك صديقي، لكن إلى متى؟ يقول إنّه يحبّني، لكنّني أشعر أحيانًا أنّه لا يعرفني تمامًا.

لكن ربّما سيكون كلّ شيء على ما يرام. فقد يستمرّ في حبّي حتّى بعد معرفته بالحقيقة. وهكذا نبقى معًا، ونشتري ذلك المنزل في الضواحي، ونملؤه بالأطفال، ونعيش حياة طبيعية، حياة مثالية.

غير أنّني أشكّ بشدّة في أنّ ذلك قد يحدث لي ذات يوم، فأنا لم أكن يومًا طبيعية أو مثالية، ولم يفهم ذلك سوى رجل واحد في حياتي.

الفصل التاسع والعشرون

في أفضل الظروف، كانت الرحلة ستستغرق من ثلاث إلى أربع ساعات. لكن مع زحمة السير، استغرقت ما يقارب خمس ساعات، تُضاف إليها ثلاثون دقيقة بسبب توقّفنا عند ماكدونالدز؛ وكانت مشاهدتي ويندي تلتهم شطيرة من الحجم الكبير مع علبة بطاطس مقليّة متوسّطة الحجم تستحقّ ذلك. والآن، ما زال عليّ القيام برحلة العودة؛ لكن بما أنّ الساعة تجاوزت التاسعة مساءً، يفترض أن تكون الطرقات فارغة. أنا متأكّدة أنّني سأتمكّن من قطع المسافة في أقلّ من ثلاث ساعات.

عندما اقتربنا من ألباني، خرجتُ من الطريق السريع عند استراحة تعلن عن وجود نزل. وتبيّن أنّه بالضبط ما كنّا نبحث عنه؛ فهو مكان يدلّ مظهره على أنّه زهيد الكلفة، مع إضاءة خافتة، وإشارة تعلن عن توفّر غرف شاغرة. كانت الغرف مفتوحة مباشرة على الخارج، ممّا يعني أنّ ويندي لن تضطرّ إلى المرور عبر الردهة. ركنتُ السيّارة في موقف شبه فارغ، وقلتُ: "ها قد وصلنا."

"نعم..." لم نكن قد تحدّثنا كثيرًا أنا وويندي في الطريق، بل اكتفينا بالاستماع إلى الموسيقا. والآن، رأيت الفزع يظهر في عينيها. "ميلي، ماذا لو كنّا نرتكب خطأً؟"

"هذا ليس خطأً، بل هو الصواب بعينه."

ضغطت يديها معًا وقالت: "دوغلاس أذكى منّي؛ فهو عبقري ولديه ثروة تحت تصرّفه. سيعثر عليّ حتمًا. سيتفقّد كلّ الفنادق، وسيخبره موظّف الاستقبال بكلّ شيء عنّي."

قلتُ بحزم: "لا، لن يفعل؛ لأنّني أنا من ستحجز الغرفة. تذكّري، لن يراكِ أحد."

ما زالت ويندي تبدو على شفير الإصابة بنوبة ذعر، لكنّها أخذت بضعة أنفاس عميقة قبل أن تهزّ رأسها أخيرًا. "حسنًا، ربّما كنتِ محقّة."

ناولتني بعض النقود من محفظتها، ونزلتُ من السيّارة متّجهة إلى مكتب الاستقبال الرئيس. كان الشابّ الجالس خلف المكتب في أوائل العشرينيّات من عمره، كثيف اللحية، يحمل هاتفًا بيده اليمنى، ولم تبدُ عليه أيّ حماسة للعمل في مناوبة الليل.

قلتُ: "مرحبًا، أريد حجز غرفة، من فضلك."

لم يرفع نظره عن هاتفه. "بطاقة الهوية، من فضلك."

كنت مستعدّة لهذا الطلب، ولهذا لم أسمح لويندي بحجز الغرفة بنفسها. مع ذلك، فضّلت إعطاءه رخصة قيادتي. لن يتمّ إدخال بياناتي في النظام، بل ستُحفَظ على الأرجح على القرص الصلب لهذا الحاسوب الوحيد. لن يبحث عنّي دوغلاس بالضرورة، لكن من يدري؟ إذا كان ذكيًّا بقدر ما تعتقد ويندي، فقد يربط الخيوط بعضَها ببعض. وفي هذه الحال، قد أكون في خطر حقيقي.

لحسن الحظّ، قبِل المال من دون نقاش ولم يطلب بطاقتي الائتمانية. ولو فعل، لاضطررت إلى تقديمها. لكن يبدو أنّنا سنتمكّن من اجتياز هذه المرحلة من دون ترك أثر إلكتروني.

قال وهو يسحب مفتاحًا من فوق الرفّ خلفه: "الغرفة 207." هذا نظام قديم الطراز للغاية. "إنّها في الخلف."

قلتُ: "عظيم."

فغمزني وقال: "كنت أعرف أنّ هذا ما تريدينه."

تنهّدتُ في سرّي. لا شكّ في أنّ هذا الرجل لن ينسى امرأة وحيدة تطلب غرفة في وقت متأخّر من الليل، لكنّني آمل ألّا يعير الأمر اهتمامًا كبيرًا. قد يظنّ أنّني أمارس عملًا مشبوهًا هنا، وهذا هو الهدف.

خرجتُ إلى السيّارة ومعي مفتاح الغرفة، فترجّلت ويندي من المقعد الأمامي، وقد خفضت قبعة البيسبول على جبهتها. أتوقّع أنّها - في وقت قريب - ستقصّ شعرها وتصبغه؛ ربّما باستخدام مقصّ مطبخ وصبغة رخيصة من الصيدليّة. لكن في الوقت الحالي، ستفي القبعة بالغرض.

قالت ويندي بصوت مختنق: "شكرًا جزيلًا لكِ يا ميلي، لقد أنقذتِ حياتي."

"هذا أقلّ ما يمكنني فعله."

فنظرت إليّ نظرة ذات معنى. "كلتانا نعلم أنّ هذا ليس صحيحًا."

ساعدتُها في إخراج حقيبتيها من الصندوق الخلفي، ثمّ وقفنا للحظات في موقف السيّارات المهجور نتبادل النظرات. لم أكن متأكّدة ممّا إذا كنت سأراها مجدّدًا. وآمل ألّا يحدث ذلك؛ لأنّ رؤيتها مرّة أخرى تعني أنّ هذه المهمّة قد فشلت.

قالت مجدّدًا: "شكرًا لكِ". وقبل أن أدرك ما يجري تمامًا، رمت ذراعيها حولي. هذه المرّة أيضًا، دُهشتُ من مدى هشاشة جسدها، وتمنّيت أن تُكثر من أكل الوجبات السريعة في السنوات القادمة.

قلتُ لها: "حظًّا سعيدًا."

فردّت بصوت مبحوح: "كوني حذرة، أرجوكِ. فدوغلاس سيبحث عنّي، ولن يترك أيّ خيط من دون أن يتتبّعه."

قلتُ بثقة: "سأتدبّر أمره، أعدكِ بذلك."

لم تبدُ ويندي مقتنعة تمامًا، لكنّها حملت حقيبتيها وانصرفت. راقبتها وهي تتّجه نحو الغرفة 207، الواقعة في الجهة الخلفية من النزل. وبقيت أراقب حتّى اختفت عن ناظريّ، ثمّ ركبت السيّارة وانطلقت عائدة.

الفصل الثلاثون

بحلول الوقت الذي عدتُ فيه إلى المدينة، كانت الساعة تقارب منتصف الليل.

على النقيض التامّ للزحام الخانق الذي واجهته في رحلة الذهاب، كانت الشوارع مهجورة. وحتّى عندما كنت أتأخّر قليلًا في اجتياز إشارة خضراء، لم يكن أحد يطلق بوق سيّارته خلفي؛ فلا أحد يتجوّل في منتصف ليلة الأربعاء.

يقضي نظام شركة "هابي كار رنتال" بفرض رسوم ليوم إضافي إذا تمّت إعادة السّيّارة بعد منتصف الليل، لذا كان عليّ الوصول إلى موقع شركة التأجير في الوقت المناسب. وعندما دخلتُ موقف السيّارات، كانت قد تبقّت خمس دقائق قبل حلول منتصف الليل. من الأفضل ألّا يسبّبوا لي أيّ إزعاج.

جلس شابّ خلف المكتب، وبدا مفتقرًا إلى الحماسة واليقظة؛ تمامًا مثل عامل الاستقبال الذي رأيته في النزل قبل ثلاث ساعات. وضعت مفتاح سيّارة الهيونداي على الطاولة، ودفعته نحوه قائلة: "لقد أعدتها قبل منتصف الليل، لذا سأدفع عن يوم واحد فقط."

توقّعتُ جدالًا، لكنّ الشابّ اكتفى بهزّ كتفيه، وأخذ المفتاح قائلًا: "حسنًا".

عندئذٍ تثاءبتُ متعبة؛ فقد كنت أقود السيّارة لنحو ثماني ساعات متواصلة، وشعرت فجأة بالإرهاق الشديد. في تلك اللحظة، لم أكن أطيق الانتظار لأرتمي في سريري. ولحسن الحظّ، ليست لديّ محاضرات غدًا، لذا يمكنني النوم حتّى وقت متأخّر، لا سيّما وأنّني أصبحت عاطلة عن العمل.

لكن بمجرّد أن خرجت إلى الشارع، بدأتُ أشكّ في حكمة إعادة السيّارة عند منتصف الليل. فالآن، ستتحتّم عليّ العودة إلى جنوب برونكس من دون سيّارة. وعلى الرغم من ثقتي في قدرتي على حماية نفسي، إلّا أنّني لم أعتقد أنّ ركوب المترو في هذه الساعة فكرة جيّدة. ربّما أمكنني ذلك في عطلة نهاية الأسبوع، أمّا في ليلة أربعاء، فسيكون المترو شبه خالٍ، وسأكون بمفردي مع اللصوص والمعتدين.

غير أنّني لا أستطيع تحمّل كلفة سيّارة أجرة الآن، بعد أن خسرت وظيفتي.

بينما كنتُ واقفة عند زاوية الشارع، غير بعيدٍ عن مكتب تأجير السيّارات، أفكّر في خياراتي، أضاءت المصابيح الأمامية لإحدى السيّارات الشارع. فالتفتُّ على الفور لأرى

السيّارة التي كانت تقترب منّي. كانت سيدان سوداء تحمل شعار مازدا على صندوقها الأمامي.

وكان مصباحها الأمامي الأيمن متصدّعًا.

قبل أن أتمكّن حتّى من رؤية لوحة الأرقام بوضوح، عرفتُ أنّها السيّارة نفسها التي كانت تلاحقني خلال الأشهر القليلة الماضية، والسيّارة نفسها التي كانت خلفي هذا المساء خلال رحلتي مع ويندي. والآن، عثروا عليّ وحدي، في شارع مهجور، في منتصف الليل.

توقّفت المازدا إلى جانب الطريق، واستطعتُ بصعوبة تمييز ظلّ رجل على مقعد السائق. أخيرًا، أطفأ المحرّك، لكنّه أبقى المصابيح الأمامية مضاءة، وكانت ساطعة بما يكفي لألتفت بعيدًا عنها.

أخيرًا، فُتِح باب السيّارة.

الفصل الحادي والثلاثون

لن أستسلم من دون قتال.

بحثتُ بجنون في حقيبتي عن عبوة رذاذ الفلفل التي لم أفرغها تمامًا في وجه زافييه في ذلك اليوم. إن كان دوغلاس، فلن أدعه ينتزع منّي أيّ معلومة؛ وإن كان زافييه، فقد تغلّبت عليه مرّة، وسأفعل ذلك مجدّدًا. أنا لستُ خائفة.

مع ذلك، كان قلبي يخفق بعنف وأنا أشاهد الرجل يترجّل من السيّارة.

لامست أصابعي عبوة الرّذاذ، فسحبتها بسرعة، وضغطتُ إصبعي على الفوّهة، ثمّ قلتُ للظلّ الأسود بصوت كالهسيس: "لا تقترب!"

رفع الظلّ يديه ببطء في الهواء، وانطلق صوت مألوف: "لا تضغطي يا ميلي."

استغرقتُ ثانية واحدة فقط لأتعرّف على الصوت. وعلى الفور، اجتاحني شعور دافئ، وافترّ ثغري عن ابتسامة لا إرادية. فخفضتُ العبوة، وألقيتُ بنفسي نحو الرجل الذي ظلّ واقفًا ويداه مرفوعتان في الهواء.

"إنزو!" صرختُ وأنا أرتمي في أحضانه. "يا إلهي!"

عندما احتضنني، شعرتُ بسعادة خالصة وأنا غارقة في دفء ذراعَيه. لطالما كنتُ أشعر بالأمان حين كان يضمّني بهذه الطريقة، ولم أكن واثقة من أنّني سأكون بين ذراعيه مرّة أخرى. لكنّه هنا الآن، بكتفيه العريضتين، وشعره الأسود الكثيف، وعينيه النفّاذتين، وأجمل ما فيه... ابتسامته التي تجعلني أشعر وكأنّني أروع امرأة قابلها في حياته.

همس قائلًا: "أنا سعيد جدًّا بعودتي، ميلي."

فسألته، وقلبي لا يزال يخفق: "متى عدت؟"

تردّد قليلًا قبل أن يجيب: "منذ أكثر من ثلاثة أشهر."

لو كان ثمّة مقطع موسيقيّ جميل يُعزَف أثناء اجتماع شملنا، لتوقّف بشكل مفاجئ في تلك اللحظة.

ابتعدتُ عنه بذهول قائلة: "ثلاثة أشهر!"

باحت نظرة الذنب التي رأيتها في عينيه بكلّ ما أردتُ معرفته. وللأسف، بدا كلّ شيء منطقيًّا على نحو رهيب. فخلال الأشهر الأخيرة، كنتُ أشعر وكأنّ شخصًا ما يتبعني، لا بل

يراقبني. فألقيتُ اللوم على زافييه أو دوغلاس، لكن لم تكن لأيّ منهما علاقة بالأمر، بل كان إنزو. فإنزو هو صاحب سيّارة المازدا السوداء ذات المصباح الأمامي المتصدّع. وقد فرحتُ برؤيته للغاية، بحيث تجاهلتُ تلك الحقيقة الصارخة.

صحتُ وأنا أصفعه على ذراعه: "كنتَ تلاحقني! لا أصدّق! لماذا فعلت ذلك؟"

تصلّب فكّه. يا إلهي! لقد نسيت كم هو جذّاب. مظهر هذا الرجل يشتّتني، ولا يمكنني أن أسمح بذلك؛ لأنّني غاضبة جدًّا منه.

قال بلهجة حازمة: "لم أكن ألاحقك، بل كنتُ أؤدّي دور حارس شخصي."

فرفعتُ حاجبيّ، وكتفت ذراعيّ قائلة: "حارس شخصي! هذه حجّة أقبح من ذنب. لماذا لم تأتِ إليّ وتكلّمني بدلًا من مراقبتي لثلاثة أشهر؟"

نظر إلى الأسفل، وقال بصوت خافت: "في الحقيقة... ظننتُ أنّكِ غاضبة منّي لأنّني لم أعد حين أردتِ ذلك."

"صحيح، كنتُ غاضبة. فقد سألتُك متى ستعود، ولم تُعطِني أيّ إجابة."

"لم أستطع يا ميلي. فأمي... كانت مريضة جدًّا ولم يكن لديها أحد غيري. لم يكن بإمكاني تركها".

"وها قد تركتها الآن".

"نعم". قطّب جبينه متابعًا: "لأنّها ماتت."

فأنّبني ضميري على الفور. "أنا آسفة جدًّا، إنزو."

قال بعد شيء من الصمت: "نعم."

ابتلعتُ الغصّة التي تجمّعت في حلقي. "لو أنّك أخبرتني، لأتيت من أجلك. لكنّك... تجاهلتني، وأنت تعرف ذلك."

صرّ على أسنانه. "لم أستطِع العودة، هذا كلّ ما قلتهُ لكِ. لم أقل إنّني لم أعد أحبّكِ". ورمقني بنظرة حادّة قبل أن يضيف: "أنتِ من أردتِ إنهاء ما بيننا، أنتِ التي بدأتِ بمواعدة بروكولي ذاك."

فنظرتُ إلى الأعلى باستنكار: "اسمه بروك."

"أنا أقصد، أنتِ التي أردتِ المُضي قدمًا، وليس أنا. أنا ما زلت... لم أكفّ يومًا عن حبّك."

ضحكتُ ساخرة. "نعم، صحيح. تريدني أن أصدّق أنّك لم تكن مع أيّ امرأة أخرى من بعدي؟"

فهزّ رأسه نافيًا. "لا، لم أكن مع أيّ امرأة أخرى."

التقت نظراتنا، وبدا صادقًا. إن كان ثمّة أمر أنا متأكّدة منه، فهو أنّ إنزو لا يكذب، ليس عليّ على الأقلّ. لكنّني قد أكون مخطئة؛ فأنا لم أكن أظنّه مُطارِدًا.

نظرتُ إليه بصرامة: "لم يكن يجدر بك أن تلاحقني بتلك الطريقة، فقد كان الأمر مريبًا. كان عليك إخباري بعودتك."

رفع حاجبيه الأسودين متسائلًا: "لِتطلبي إليّ أن أبتعد؟ على أيّ حال، كما قلتُ لكِ، أنا حارس شخصي، وأنتِ بحاجة إلى حارس."

"أنا لست بحاجة إلى أحد؛ يمكنني الاعتناء بنفسي."

فضحك إنزو ساخرًا بدوره: "أحقًّا؟ تعيشين في ذلك الحيّ البائس في جنوب برونكس، وتظنّين أنّكِ لا تحتاجين إلى مراقبة، أليس كذلك؟ دعيني أخبركِ أمرًا، ثمّة يوم واحد على الأقلّ ما كنتِ لتصلي فيه من محطّة المترو إلى شقّتك سالمةً لو لم أكن خلفك، أؤدّي دوري كحارس شخصي."

أحسست بقشعريرة تسري في ظهري. هل تُراه يقول الحقيقة؟ هل كان ثمّة خطر يتربّص بي، لكنّه أزاله قبل أن أدرك وجوده؟

قلتُ بصوت خافت: "كما قلتُ، لديّ صديق الآن. وإذا ما احتجتُ إلى الحماية يومًا، فسوف يحميني، شكرًا جزيلًا."

"صحيح، مثلما حماكِ من زافييه مارين".

كان سماع اسم ذلك الرجل من شفتيه أشبه بلكمة في وجهي. "ماذا تعني؟"

حتّى في الظلام، استطعتُ رؤية قبضتيه تتكوّران. "ذلك الرجل... هاجمكِ. لم أستطع فعل أيّ شيء لإيقافه لأنّ الأمر وقع داخل المبنى. بعد ذلك، تركوه يرحل ببساطة. وبروكولي الذي تتباهين به..."

فاحمرّ وجهي غضبًا. "بروك."

"حسنًا، بروك". نطق الاسم بنبرة مشبعة بالغضب، ثمّ تابع قائلًا: "لم يفعل شيئًا، لا شيء على الإطلاق. لم يهمّه أنّ الرجل الذي هاجم صديقته ظلّ طليقًا، بلا عقاب، ونجا بفعلته! أمّا أنا... أنا اهتممت". وضرب على صدره بقبضته. "وتأكّدتُ أنّه نال جزاءه، وأنّه لن يُضايقكِ مجدّدًا."

دار رأسي فجأة، وتذكّرتُ زافييه وهو يُقتاد إلى خارج المبنى مُكبَّلًا بالأصفاد، ويصيح بأنّ المخدرات التي وُجِدت معه ليست له. قالت السيّدة راندال إنّ الجميع صُدموا عندما اكتشفوا أنّه كان يتاجر بالمخدّرات.

نظرتُ إلى إنزو بذهول. "أأنتَ من...؟"

فهزّ كتفيه بلا مبالاة، مجيبًا: "لديّ صديق."

إذًا، إنزو هو المسؤول عن دخول زافييه السجن. ولولاه، لظلّ ذلك الرجل حرًّا طليقًا. إنّه محقّ، فبروك لم يحرّك ساكنًا.

فجأة، لم أعد واثقة من أيّ شيء.

أشار بيده نحو سيارته المازدا، وقال: "تعالي، لأوصلكِ إلى المنزل. وفي هذه الأثناء، فكّري جيدًا في ما إذا كنتِ تكرهينني أم لا."

حسنًا.

ركبتُ السيّارة، وجلستُ بجوار إنزو الذي احتلّ مقعد السائق. كانت السيّارة عابقة برائحته، رائحة الغابة التي تميّزه دائمًا. فأغمضتُ عينَيّ، وغرقت في الماضي. لماذا رحل؟ فقد باتت الأمور معقّدة الآن، ولم يعد بإمكاني مسامحته بسهولة على ما ارتكبه من أخطاء.

هل يُعقل أن أفعل؟

بينما كانت السيّارة تتّجه شمالًا، قال: "إذًا، إلى أين كنتِ تقودين بسرعة جنونية اليوم؟"

عبثتُ بخيطٍ مرتخٍ في بنطالي الجينز مجيبة: "وكأنّك لا تعرف."

"أنا لا أعرف كلّ شيء، ميلي". ألقى عليّ نظرة خاطفة، وكان نصف وجهه غارقًا في الظِّلال. "أخبريني."

فأخبرته القصّة.

الفصل الثاني والثلاثون

أخبرته بكلّ شيء، بكلّ شاردة وواردة عن إساءة معاملة دوغلاس لويندي وفرارها منه.

كنتُ قد وعدتُ ويندي بألّا أخبر أحدًا، لكنّ إنزو ليس غريبًا؛ هو يفهم. فقد عملنا معًا جنبًا إلى جنب لمساعدة نساء مثل ويندي. وإن كان ثمّة شخص واحد في هذا العالم يمكنني الوثوق به وإخباره بكلّ شيء، فهو إنزو.

كدنا نصل إلى باب المبنى قبل أن أبلغ نهاية القصّة. لم يتحدّث إنزو كثيرًا، لكنّه كذلك دائمًا. في الواقع، لم أقابل في حياتي شخصًا يجيد الاستماع بتركيز مثله. وغالبًا ما كنتُ أقدّر هذه الميزة لديه، لكن في الوقت نفسه، كان يصيبني بالجنون حين أعجز عن معرفة ما يدور في رأسه.

أخيرًا، وبعد أن أنهيتُ حديثي عن كيفية إيصال ويندي إلى النزل وعودتي إلى المدينة، قلتُ: "وهذا كلّ شيء؛ إنّها بأمان الآن."

لزم إنزو الصمت، إلى أن قال أخيرًا: "ربّما."

"ليس ربّما، بل هي بأمان فعلًا."

قال ببطء: "ذاك الرجل، دوغلاس غاريك، رجل قويّ وخطير، ولا أظنّ أنّ الأمر سيكون بهذه السهولة."

شبكتُ ذراعيّ أمام صدري. "أنت تقول ذلك لأنّني تصرّفت من دونك، ولا تصدّق أنّني أستطيع فعل أمر كهذا بمفردي."

أوقف السيّارة في الشارع أمام مبنى شقّتي. كان الشارع هادئًا تمامًا ومظلمًا، باستثناء رجل يقف عند الزاوية، يدخّن شيئًا لا يبدو أنّه سيجارة. حين أنظر إلى هذا الشارع، أفهم سبب شعور إنزو بأنّه مضطرّ إلى حمايتي، حتّى لو كنتُ لا أزال مقتنعة بأنّني لست بحاجة إلى ذلك.

استدار ليواجهني بنظراته، وقال بهدوء: "أنا أصدّق أنّك قادرة على فعل أيّ شيء، لكن، ما أعنيه يا ميلي... كوني حذرة."

"ويندي حذرة جدًّا."

غاصت نظرات عينيه السوداوين في عينيّ وهو يقول: "لا، أنتِ كوني حذرة. هي رحلت، أمّا أنت، فما زلتِ هنا."

فهمتُ ما يعنيه. إن شكّ دوغلاس في أنّني متورّطة في اختفاء زوجته، فقد يصعّب عليّ حياتي كثيرًا. لكنّني مستعدة لمواجهته، فقد تعاملتُ مع رجال أسوأ منه وخرجتُ منتصرة.

قلتُ له: "سأكون حذرة. لم تعد حمايتي من مسؤوليتك، لذا لا تقلق بشأني."

"من سيفعل إذًا؟ بروكولي؟"

احمرّ وجهي غضبًا. "في الواقع، أنا لا أحتاج إلى أيّ منكما لحمايتي. فحين هاجمني ذلك الوغد في المبنى، دافعتُ عن نفسي جيّدًا. لذا، كن مطمئنًّا. إن كان ثمّة من ينبغي أن تقلق على سلامته، فهو دوغلاس غاريك..."

"حسنًا، هذا صحيح أيضًا."

تبادلنا النّظرات للحظات. ليته لم يتركني ويرجع إلى إيطاليا، فلو لم يفعل، لساعدني في إنقاذ ويندي. لو أخبرني بمخاوفه مسبقًا، لوجدنا لها حلًّا، ولساعدها في الحصول على هويّة جديدة تمنحها خيارات أكثر.

ولذهبت إلى المنزل معه هو الليلة، بدلًا من بروكولي... أقصد، بروك.

قلتُ: "من الأفضل أن أذهب."

أومأ برأسه ببطء، وقال: "حسنًا."

فككتُ حزام الأمان، مع أنّني كنت متردّدة في مغادرة السيّارة. "عليك أن تكفّ عن ملاحقتي."

قال بهدوء: "حسنًا."

"أنا جادّة". ورمقته بحدّة وأضفت: "أنا أواعد شخصًا آخر الآن، وأنت تطاردني. وبرأيي، هذا تصرّف مريب وغير ضروري. عليك أن تتوقّف، وإلّا... فسأضطرّ إلى إبلاغ الشرطة."

وضع يده على صدره وقال: "قلتُ حسنًا". كان يرتدي قميصًا قطنيًّا تحت سترته الخفيفة. ومع الأسف، كانت عضلاته ظاهرة بوضوح تحته. "أنا أتعهّد بذلك، لن أراقبكِ بعد الآن."

"جيّد."

لن أشعر بعد الآن بذلك الإحساس المريب بأنّني مراقَبة. لقد حللتُ رسميًّا لغز سيّارة المازدا السوداء ذات المصباح الأمامي المتصدّع، وهذه السيّارة لن تزعجني بعد اليوم. كان يفترض بي أن أشعر بالراحة، لكن على العكس من ذلك، تعاظم خوفي. فقد كان لديّ حارس، ولم أكن حتّى على علم بذلك.

فتحتُ باب الراكب قائلة: "على أيّ حال... الوداع."

بدأتُ أترجّل من السيّارة، لكنّ يد إنزو أحاطت بذراعي، فالتفتُّ أنظر إليه، ورأيت حاجبيه الداكنين معقودين. قال لي: "لا يزال رقمي هو نفسه. اتّصلي بي إن احتجتِ إليّ، وسأحضر في الحال."

حاولتُ أن أبتسم، لكنّ الابتسامة لم تظهر بالكامل. "لن أحتاج إليك. عليكَ أن... تجد صديقة أخرى. وأنا أعني ما أقوله".

أرخى قبضته عن ذراعي، لكنّ التجهّم ظلّ باديًا على وجهه. أخيرًا، قال بصوت خافت: "اتّصلي بي، سأنتظر."

كان يقينه بأنّني سأتّصل به مثيرًا للجنون. إن كان ثمّة أمر واحد ينبغي له أن يعرفه عنّي، فهو أنّني قادرة تمامًا على العناية بنفسي، وربّما أكثر ممّا ينبغي أحيانًا.

لكن بينما كنتُ أصعد الدرج إلى الطابق الثالث في المبنى، تسلّل إلى أحشائي إحساس مخيف. ماذا لو كان إنزو على حقّ؟ ماذا لو كنتُ قد استهنتُ بدوغلاس غاريك؟ فالرجل مرعب حقًّا في النهاية؛ وفقًا لما رأيته بأمّ عيني، هذا ناهيك عن أنّه فاحش الثراء.

هل يمكن أن تتخلّص منه ويندي بهذه السهولة؟ فحين كنّا أنا وإنزو نساعد النساء على الفرار من أزواجهنّ المسيئين، كنّا نخطّط لكلّ خطوة بعناية فائقة، ومع ذلك، كان أمرنا يُكتَشَف أحيانًا. وأعتقد أنّ دوغلاس أكثر ذكاءً من كثير من الرجال الذين تعاملنا معهم. فحتّى إن لم يكن هو الذي كان يلاحقني بالسيّارة، فقد تكون لديه طرق أخرى لمراقبة زوجته.

ماذا لو كان يعلم تمامًا ما خطّطنا له الليلة؟

ضربتني هذه الفكرة كالصاعقة عند وصولي إلى الطابق الثالث. وكما هو الحال في الشارع، كان الصمت يخيّم على الطابق الثالث من المبنى. وإن كان إنزو لا يزال في الخارج - مع أنّني انتزعت منه وعدًا بالكفّ عن ملاحقتي - فهو لا يستطيع مساعدتي هنا.

حدّقتُ إلى باب شقّتي المغلق. ثمّة مزلاج داخلي، لكنّه لا يُستخدم إلّا من الداخل، ولا أستطيع قفله عند مغادرتي في الصباح. ومن السهل للغاية كسر قفل الباب؛ فحتّى أنا يمكنني فعل ذلك على الأرجح. لكن لم يسبق لي أن شعرت بالقلق بشأنه؛ إذ ليس لديّ ما يستحق السرقة.

باختصار، بإمكان أيّ شخص دخول شقّتي بسهولة، إذا ما أراد ذلك.

كانت المفاتيح في يدي اليمنى، لكنّني تردّدتُ قبل إدخالها في القفل. ماذا لو كان دوغلاس فعلًا متقدّمًا عليّ بخطوة؟ ماذا لو كان ينتظرني في شقّتي، وهو على كامل الاستعداد لاستخدام كلّ الوسائل لإجباري على الإفصاح عن مكان ويندي؟

أينما كان إنزو، فهو لم يبتعد كثيرًا، ولا يزال رقمه محفوظًا في هاتفي؛ فأنا لم أحذفه قطّ. بإمكاني أن أتّصل به الآن، وأطلب إليه أن يدخل الشقّة معي، للتأكّد أنّها آمنة.

لا شك في أنّ أمرًا كهذا يتطلّب منّي الدوس على كبريائي، بعد الخُطبة الرنّانة التي ألقيتها عليه عن عدم حاجتي إلى مساعدته. غير أنّني مررتُ بكثير من المواقف المشابهة في حياتي، ولن يصعب عليّ أن أتنازل عن عزّة نفسي مرّة إضافية.

قبضتُ على المفاتيح بشدّة؛ فقد كنتُ بحاجة إلى اتّخاذ قرار.

أخيرًا، تجاهلتُ شكوكي وأدخلتُ المفتاح في القفل. ومع دوران المفتاح، راح قلبي ينبض بقوّة، لكنّني دفعتُ الباب.

في البداية، توقّعت أن يقفز شيء أمامي، وعاتبت نفسي لأنّني لم أكن مُتأَهِّبة لاستعمال رذاذ الفلفل. لكن عندما دخلتُ، كان الهدوء مخيّمًا على المكان. لا أحد ينتظرني، ولم يهاجمني أحد؛ فما من أحد هنا على الإطلاق.

ناديتُ بصوت عالٍ: "مرحبًا؟" كما لو أنّ المُتسلِّل جالس هنا، ينتظر ترحيبًا مناسبًا.

لم يأتِني أيّ جواب؛ كنتُ وحدي في هذه الشقّة. ربّما سيفهم دوغلاس كلّ شيء، لكنّ ذلك لم يحدث بعد.

وهكذا، أغلقْتُ الباب خلفي، وأدرتُ المفتاح في القفل.

الفصل الثالث والثلاثون

قال لي بروك وهو يدفع شوكة مليئة بنودلز الباد تاي في فمه: "أتعلمين؟ ثمّة وظيفة شاغرة بدوام جزئي كموظّفة استقبال في مكتب المحاماة الذي أعمل فيه، فهل أنتِ مهتمة؟"

كنّا نتناول العشاء في شقّته، في غرفة الطعام الصغيرة. لدى آل غاريك غرفة طعام تستحقّ اسمها، لكنّ معظم شقق نيويورك لا تحتوي سوى على مساحة صغيرة متّصلة بغرفة المعيشة، مع طاولة قابلة للتمديد لتتّسع لأكثر من أربعة أشخاص. وشقّة بروك تُعَدّ كبيرة بمعايير مانهاتن. ففي الشقق الصغيرة فعلًا، لا تتوفّر مساحة لتناول الطعام على الإطلاق، بل تُستخدم المساحة المتاحة كمطبخ وغرفة معيشة وغرفة نوم وحمّام؛ تمامًا كما هو الحال في شقّتي.

مع ذلك، كان بإمكانه أن يعيش في مكان أفضل لو أراد؛ فأبواه ثريّان. صحيح أنّهما ليسا فاحشَي الثراء مثل دوغلاس غاريك، لكنّهما من الطبقة العليا بلا شكّ. إلّا أنّ بروك يرفض أخذ المال منهما، على الرغم من محاولاتهما المستمرّة لمساعدته. إذ يحبّ أن يردّد دائمًا: "لقد علّماني كيف أصطاد". فبرأيه، يكفي أنّهما أنفقا على دراسته في إحدى جامعات النخبة إلى أن نال شهادة في الحقوق. والآن، عليه أن يصطاد بنفسه، أي أن يكسب رزقه بعرق جبينه.

أنا أحترم هذه الصفة فيه، وأجده شخصًا رائعًا بحقّ. كما أقدّر عدم محاولته الضغط عليّ لتحديد موعد آخر لإجراء حديثنا، مع أنّني أشعر أنّه بإمكاني الآن إرجاؤه إلى أجل غير مسمّى، حتّى إن كنت أعلم أنّه لا ينبغي لي ذلك.

أضفتُ مزيدًا من الكاري الأحمر إلى طبق الأرزّ الأبيض. أنا أحبّ هذا المطعم لأنّ أطباق الكاري التي يعدّها حارّة فعلًا. قلت: "وظيفة سكرتارية، إذًا؟"

فهزّ بروك رأسه موافقًا: "ألا تبحثين عن عمل؟"

مرّت ثلاثة أيام منذ أن أوصلت ويندي إلى ألباني. أخبرتُ بروك بشكل غامض أنّ خدماتي لم تعد مطلوبة، ولم يكن لديه سبب ليشكّ في وجود أيّ شيء آخر وراء ذلك. من المفترض أن يعود دوغلاس غاريك من رحلته غدًا، وكلّما فكّرت في الأمر، شعرت بالغثيان؛ لكنّني ما زلت أعتقد أنّ الأمور ستسير على ما يرام.

على أيّ حال، سأضطرّ إلى إيجاد طريقة لترك تلك الوظيفة. ربّما سأرسل رسالة نصّية إلى دوغلاس خلال الأسبوع القادم لأخبره بأنّ جدولي أصبح ممتلئًا ولم أعد أستطيع العمل لديه. سيكون ذلك كابوسًا على الصعيد المالي، لكنّ فكرة وظيفة بدوام ثابت، وبمزايا وظيفية، تبدو عظيمة.

قلت: "يبدو هذا رائعًا. لكن هل ستناسب وظيفتي الجديدة جدولي الدراسي؟"

قال: "كما أخبرتك، إنّها وظيفة بدوام جزئي. في الواقع، هم يبحثون عن شخص للعمل في عُطل نهاية الأسبوع، لذا أعتقد أنّها ستناسبك تمامًا."

ستكون مناسبة بلا شكّ، لا بل مثاليّة. وقد سبق أن أخبرني بروك أنّ رواتب الموظّفين في شركته جيّدة. وهكذا، لن أضطرّ إلى التعامل مع كلّ أولئك الأزواج المتوتّرين في مانهاتن.

لكن ما أخشاه أن تتحقّق الشركة من تاريخي قبل التوظيف. وعندما يُكتَشف ماضيّ، سيعرف بروك بذلك أيضًا. ويمكنني تخيّل أحد زملائه يمازحه في المكتب قائلًا: بروك، سمعت أنّ لصديقتك سجلًّا جنائيًّا!

كما يمكنني أن أتخيّل ردّ فعله، وابتسامتَه المعتادة وهي تتلاشى عن وجهه. ماذا؟ ماذا تعني؟ ومن ثمّ الحديث الذي سيجري بيننا عندما يعود من العمل... يا إلهي!

لقد أصبح الأمر جنونيًّا. فقد أخفيت عنه هذه الحقيقة لفترة طويلة بما فيه الكفاية. وإذا كنت قد أخبرت إنزو أنّ هذا هو الرجل الذي أحلم به، فهذا يعني أنّني جادّة بشأنه، وعليّ أن أكون صادقة تمامًا معه.

قال بروك، وهو يبتسم لي ابتسامة جانبية: "أيضًا، والداي قادمان إلى المدينة الشهر المقبل لحضور حفل زفاف. وأريد... أن نتناول العشاء جميعنا معًا".

بلعت ريقي بصعوبة: "والداك؟"

"أريدهما أن يتعرّفا إليك". مدّ يده فوق الطاولة الصغيرة وأمسك بيدي متابعًا: "أريدهما أن يلتقيا بالمرأة التي أحبّها."

لو كانت ثمّة منافسة في قول "أحبّك"، لفاز عليّ بروك بنسبة عشرة إلى واحد.

من الواضح أنّ الأمر يخرج عن السيطرة، ولم يعد بإمكاني تأجيل حديثنا أكثر من ذلك. عليّ إخباره بكلّ شيء حالًا.

وضعت شوكتي جانبًا وقلت: "بروك، ثمّة أمر عليّ إخبارك به".

فرفع أحد حاجبيه باستغراب: "أوه؟"

"نعم..."

"لا يبدو هذا جيّدًا."

"لا، إنّه..." حاولت أن أبلع ريقي، لكنّ حلقي جفّ فجأة. فمددت يدي نحو كأسي، لكنّني كنت قد شربت كلّ الماء أثناء تناولي الكاري الحارّ، فقلت: "سأذهب لأجلب مزيدًا من الماء".

راقبني بروك وأنا أمسك بالكوب وأتوجّه مسرعة إلى المطبخ. وضعت الكوب تحت الفلتر، متمنّية لو أنّ الماء ينزل أبطأ قليلًا. في أثناء ذلك، شعرت بهاتفي يهتزّ في جيب سترتي؛ كان أحدهم يتّصل بي.

نظرت إلى الشاشة، فرأيت اسم ويندي. كنت قد حفظت رقمها تحسّبًا لحدوث أيّ طارئ في خطّة الهروب، لكنّها تركت هاتفها في "البنتهاوس"، فلماذا تتّصل الآن؟

أجبت بسرعة، وخفضت صوتي لكيلا يسمعني بروك. فقد كنت متأكّدة أنّه لن يوافق على أيٍّ ممّا فعلت، وكان من الضروري ألّا أخبره بشيء؛ لا سيّما وأنّه يعرف دوغلاس غاريك ويعتقد أنّه شخص طيّب. همست: "ويندي، ما الأمر؟"

ساد الصمت على الطرف الآخر، ثمّ سمعتُ صوت بكاء خافتًا. أخيرًا، قالت بصوت مرتجف: "لقد عدت، لقد أعادني إليه."

"يا إلهي..."

أضافت بصوت متهدّج: "ميلي، هل يمكنك الحضور إلى هنا، من فضلك؟"

كانت شقّة بروك تبعد عن "البنتهاوس" نحو خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام، وكان بإمكاني الوصول في غضون عشرين دقيقة. لكن كيف أفعل ذلك الآن؟ لقد بدأتُ للتوّ حديثًا جادًّا مع بروك، ومن المحتمل أن يستغرق بقيّة الليلة.

لكنّ بروك لا يحتاج إليّ بقدر ويندي.

قلت لها بحزم: "سأكون عندك بعد قليل."

تركت كأس الماء في المطبخ، وعُدت إلى غرفة الطعام. بدا كأنّ بروك لم يلمس طعامه منذ أن نهضتُ؛ إذ نظر إليّ قائلًا: "إذًا؟"

"اسمع، لقد طرأ أمر مفاجئ وعليّ الذهاب حالًا."

"الآن؟"

"أنا آسفة جدًّا، سنتحدّث مساء غد، أعدك."

برَزَت شفته السفلى قليلًا: "ميلي..."

قلت بإصرار: "أعدك". ثمّ أضفت وأنا أتوسّل إليه بعينيّ: "وبالمناسبة... أودّ مقابلة والديك، أعتقد أنّها فكرة رائعة."

بدا أنّ هذه العبارة أرضته قليلًا، فقال: "أعلم أنّكِ متوتّرة بشأن لقائهما، لكنّكِ ستحبّين أمّي؛ فهي من بروكلين أيضًا. درست في كلّية بروكلين، ولكنتها مميّزة مثلك."

"لكنّني لا أملك لكنة مختلفة!"

ضحك مجيبًا: "بلى، لكنّها خفيفة. وهي جميلة."

"أوه، كفى..."

نهض من مكانه ومدّ يديه نحوي. ومع أنّني كنت أتحرّق للإسراع إلى ويندي، إلّا أنّني تركته يحتضنني. قال بصوت دافئ: "أريدكِ أن تعرفي أنّه مهما كان ما تودّين إخباري به عن نفسك رهيبًا، فسيكون كلّ شيء على ما يرام. أنا أحبّكِ مهما يكن."

نظرتُ إلى عينيه الزرقاوين، وشعرت أنّه يعني ما يقوله، فوعدته قائلة: "سنتحدّث عن هذا قريبًا. و... أنا أحبّك أيضًا."

كلّما ردّدت الكلمة، أصبح الأمر أسهل.

عانقني، وللحظة، تمنيتُ بصدق لو أنّني لم أكن مضطرّة إلى المغادرة، لكن لم يكن بيدي حيلة.

الفصل الرابع والثلاثون

أنّت تروس المصعد أكثر من المعتاد، فتساءلت عن عمره. إذ سبق لي أن قرأتُ في مكان ما أنّ استخدام المصاعد في المنازل بدأ في أواخر عشرينيّات القرن الماضي. لذا، حتّى لو كان هذا المصعد من أوائل المصاعد في التاريخ، إلّا أنّ عمره لا يزال أقلّ من قرن. وهذا مطمئن على ما أعتقد...

مع ذلك، أنا واثقة من أنّ هذه التروس القديمة ستتآكل يومًا ما من شدّة الصدأ، وسيتعطّل المصعد أثناء عمله، لأبقى عالقة هنا إلى الأبد.

ألقيت نظرة على ساعتي. كانت قد مضت أقلّ من عشرين دقيقة منذ أن اتّصلت بي ويندي. ومع أنّني حاولتُ معاودة الاتصال بها لأخبرها أنّني في طريقي إليها، إلّا أنّها لم تُجِب. لهذا السبب، أشعر بالرعب ممّا سأجده عند وصولي إلى الطابق العشرين.

يا إلهي! يكاد هذا المصعد يثير جنوني بسبب شدّة بطئه.

أخيرًا، توقّف مُصدِرًا صريرًا مزعجًا، وفُتِح الباب. كانت الشمس قد بدأت تغرب، والشقّة غارقة في الظلام. لماذا كلّ المصابيح مطفأة؟ ماذا يجري هنا؟

ناديت: "مرحبًا".

فجأة، خطرت ببالي فكرة مروّعة.

ماذا لو كان دوغلاس هنا؟ ماذا لو أجبر ويندي على الاتّصال بي واستدراجي إلى الشقّة لينتقم منّي على مساعدتي إيّاها؟ يبدو هذا تمامًا من نوع الأمور التي قد يقوم بها.

مددت يدي إلى حقيبتي، وبحثت عن عبوة رذاذ الدفاع عن النفس. وجدتها بجانب مرآتي الصغيرة، فقبضتُ عليها بقوّة بيدي اليمنى.

قلت بصوت ضعيف: "ويندي؟"

مددت يدي اليسرى إلى جيب بنطالي، وكنت قد دسست هاتفي فيه قبل قليل. لا أريد الاتّصال بالشرطة، لكن لديّ شعور رهيب حيال ما سأجده في هذه الشقّة.

دخلتُ غرفة المعيشة. كان وقع خطواتي على الأرضيّة يشبه طلقات الرصاص في هذا الهدوء. وكاد قلبي يتوقّف عندما رأيت البقعة الحمراء على السجادة، ومن ثمّ الجسد الممدّد على الأريكة.

صرخت بفزع: "ويندي!"

هذا أسوأ بكثير ممّا تخيّلت. فدوغلاس لم يكن يبحث عن زوجته أو يخطّط لمعاقبتي، بل وجدها بالفعل، وها هي الآن ممدّدة بلا حراك على الأريكة.

اندفعت نحوها، متوقّعة أن أرى جرحًا مفتوحًا في صدرها، ودماءً تلطّخ فستانها الكحليّ، لكنّني لم أرَ شيئًا من ذلك.

فجأة، فتحت عينيها.

"ويندي!" كدت أسقط أرضًا من هول الصدمة، وتمنّيت لو كنت أملك بعض أدوية بروك الآن؛ لأنّ قلبي راح يخفق بإيقاع غير منتظم وجنوني. "يا إلهي! ظننتُكِ..."

"ميتة؟" جلست على الأريكة، وعندها فقط أدركت أنّ البقعة الحمراء على الأرض ليست دماء، بل شرابًا أحمر مسكوبًا من كأس مقلوبة على الطاولة. سيجنّ دوغلاس إن لم أنظّفها. ضحكَت بمرارة: "آه، ليتني كنت كذلك."

كنت منشغلة جدًّا في البحث عن جروح أو دماء على جسدها، بحيث لم ألاحظ الكدمة الجديدة التي بدأت تظهر على خدّها الأيسر، فوق الكدمة السابقة التي كانت تتلاشى. أجفلتُ عندما رأيتها؛ إذ لا يسعني إلّا أن أتخيّل ما سبّب ذلك.

همستُ بصوتٍ خافت: "وجهك!"

"هذا ليس أسوأ ما في الأمر". ثمّ اتّكأت على الأريكة، وسرعان ما تأوّهت ووضعت يديها على قفصها الصدري. "لقد كسر أضلعي بالتأكيد."

"يجب أن تذهبي إلى المستشفى!"

رمقتني بنظرة حادّة. "مستحيل، لكن قد يُفيدني كيس ثلج."

ركضتُ إلى المطبخ، ووجدت كيسًا من الثلج في الثلّاجة، فلففته بمنشفة مطبخ، ثمّ عدتُ به إليها. أخذَته بامتنان، واحتارت في البداية أين تضعه، ثمّ وضعته أخيرًا على صدرها.

همست بصوت مسموع بالكاد: "كان بانتظاري. فعندما وصلنا إلى مزرعة فيونا في بوتسدام، كان قد سبقنا إلى هناك. كان يعلم."

هززت رأسي غير مصدّقة؛ فأنا لم أفهم كيف حدث هذا. توقّعتُ أنّه قد يعثر عليها في النهاية، ولكن ليس على الفور.

"لا أعرف كيف وجدني بهذه السرعة". أغمضت عينيها وكأنّها تحاول صدّ صداع داهمها فجأة. "عرفتُ أنّه من المحتمل أن يجدني في النهاية، لكنّني ظننتُ أنّني أملك وقتًا أطول..."

"أعلم..."

"ميلي". تحرّكَت قليلًا، فانزلق كيس الثلج من مكانه. "هل أخبرتِ أحدًا عن المكان الذي ذهبنا إليه؟"

"بالتأكيد لا!"

في الواقع، هذا ليس صحيحًا تمامًا. فقد أخبرتُ شخصًا واحدًا؛ أخبرتُ إنزو.

لكنّ إخبار إنزو لا يعني أنّني أخبرت أحدًا؛ فإنزو لن يفشي سرًّا كهذا، بل على العكس، كان سيسعى إلى حمايتها.

"كنتُ حمقاء حين ظننت أنّني أستطيع الهرب منه". عدّلَت وضعيّة كيس الثلج، مضيفة: "هذه حياتي، ومن الأسهل أن... أتقبّلها كما هي."

"لا يجب أن تتقبّليها". أمسكتُ بيدها وضغطتُ عليها. "ويندي، سأساعدكِ. لستِ مضطرة إلى قضاء بقية حياتكِ في هذا الظلم."

"أعلم أنكِ تريدين مصلحتي..."

غير أنّني قاطعتها بفكّ مشدود: "لا، اسمعيني، سأساعدكِ. أعدكِ بذلك."

لم تقل ويندي شيئًا، فهي لم تعد تصدقّني، لكنّني سأقوم بذلك كما ينبغي بطريقة ما. ولن أسمح لدوغلاس غاريك بالإفلات بفعلته بعد أن آذاها بهذا الشكل.

الفصل الخامس والثلاثون

ما زلت أعمل لدى آل غاريك.

لم أستطِع إخبار بروك بالسبب الحقيقي وراء قراري البقاء معهما، ورفضي إجراء المقابلة في شركته، بل اكتفيتُ بالقول إنّهما قرّرا إبقائي في وظيفتي في النهاية. ولم يطرح أيّ أسئلة أخرى؛ ربّما لأنّني كنتُ أتجنّبه معظم الوقت.

عندما أراه في المرّة القادمة، عليّ أن أعترف له بماضيّ، فقد آن الأوان لذلك. وهذا لا يعني أنّني لا أخشى تلك اللحظة، بل لهذا السبب كنتُ أكرّر له في اليومين الماضيين أنّني "مشغولة". ومع أنّني وعدته بأن أشرح له كلّ شيء "قريبًا"، غير أنّني لم أجد حقًّا الوقت لذلك، وربّما لن أجد وقتًا لذلك على الإطلاق.

لكن عليه أن يعرف كلّ شيء. فهذا شرّ لا بدّ منه قبل أن يعرّفني إلى عائلته.

الليلة، كنت أحضّر العشاء لآل غاريك. وضعتُ صدور الدجاج في الفرن لتتحمّر، وسلقت البطاطس على الغاز. سأقوم بطحنها بعد ذلك في مطحنة الطعام للحصول على هريس ناعم؛ تمامًا كما يحبّه دوغلاس. وددتُ لو أبصق فيه، غير أنّ ويندي ستأكل منه أيضًا.

وبينما كنتُ أتحقّق من الفرن، أطلّت ويندي برأسها إلى المطبخ. كانت كدمات وجهها تبدو أفضل بكثير، ولم تعد تتألّم عند المشي، لذا افترضتُ أنّها بدأت تتعافى.

قلت لها: "سيكون العشاء جاهزًا قريبًا".

تردّدت قليلًا عند عتبة المطبخ، ثم قالت أخيرًا: "أحتاج إلى التحدّث إليك، ميلي. هل يمكنكِ المجيء إلى غرفة المعيشة؟"

سيكون الطعام على ما يرام إن تركته بضع دقائق، لذا تبعتها فورًا إلى غرفة المعيشة. هناك، توجّهَت نحو مكتب في زاوية الغرفة، وتملّكني القلق عندما لاحظت التعبير الغريب الذي يعلو وجهها. فقبل يومين، وعدتُها بأنّني سأجد لها مخرجًا من مأزقها، ولم أنفّذ وعدي بعد، لكنّني سأفعل حتمًا.

في الواقع، كنت أحاول إيجاد طريقة من دون إشراك إنزو.

قالت لي: "اكتشفتُ شيئًا في مكتبة دوغلاس قبل يومين، وأريدك أن تريه."

تبعتُها وأنا أشعر بالفضول والتوجّس في آن بينما كانت تجرّ خطواتها على الدرج متّجهة إلى المكتبة في الممرّ. سحبَت عن الرفّ ما بدا وكأنّه قاموس، ووضعته على رفّ فارغ. أخيرًا فتحَته، وعندها أدركتُ أنّه مجوّف تمامًا.

بداخله، كان ثمّة مسدّس.

وضعتُ يدي على فمي، مصدومة وهتفت: "يا إلهي! أهذا يخصّ دوغلاس؟"

أومأت برأسها مجيبة: "كنتُ أعلم أنّه يملك مسدّسًا في المنزل، لكنّني لم أعرف قطّ أين يخبّئه."

"حتى إنّه لا يضعه في خزنة!"

"يبدو أنّه يريد الوصول إليه بسرعة إذا ما احتاج إليه."

أخرجت ويندي المسدّس من القاموس المجوّف، وأمسكَت به كمن لم يحمل سلاحًا من قبل. "هذا يُعَدّ مخرجًا."

"لا، لا". اجتاحتني موجة من الذعر، غير أنّني دفعتها بعيدًا عنّي، وقلت: "صدّقيني، مهما كنتِ يائسة، أنت لا تريدين فعل ذلك."

صحيح أنّني لست خبيرة جدًّا في الأسلحة، ولكنّني أملك الكثير من الخبرة في القيام بتصرّفات عدائية بدافع اليأس، ولن أسلك هذا الطريق مجدّدًا، مهما حدث؛ كما أنّني لن أسمح لها بذلك.

غير أنّ ويندي لم تكن تصغي إليّ، بل كانت تمسك بالمسدس بكلتا يديها، وتصوّبه عبر الغرفة. ومع أنّ إصبعها لم تكن على الزناد، إلّا أنّ نيّتها كانت واضحة.

توسّلتُ إليها قائلة: "أرجوكِ لا تفعلي".

قالت: "إنّه محشوّ أيضًا، فقد تحقّقتُ من ذلك، ووجدت فيه خمس رصاصات."

لم أكفّ عن هزّ رأسي. "ويندي، أنتِ لا تريدين فعل ذلك، أؤكّد لكِ."

فالتفتت إليّ، وعظم وجنتها اليسرى ما زال أرجواني اللون من اللكمة التي تعرّضت لها، وإن بدأ يصفرّ ويبهت. "ما الخيار الآخر المتاح لي؟"

"هل تريدين قضاء بقيّة حياتكِ في السجن؟"

"أنا سجينة أساسًا."

"اسمعيني". مددتُ يدي، وانتزعتُ المسدّس منها برفق قدر الإمكان، ثمّ وضعتُه مجدّدًا على المكتب. "أنتِ لا تريدين فعل ذلك، ثمّة طريقة أخرى."

"لم أعد أصدّقكِ بعد الآن."

تخيّلتُ ويندي وهي تصوّب المسدّس على وجه دوغلاس. فبالطريقة التي كانت تمسكه بها قبل قليل، ومع ارتجافها الواضح، كانت ستخطئ الهدف حتّى لو كان قريبًا جدًّا.

"هل لديكِ أيّ فكرة أساسًا عن كيفيّة استخدام هذا الشيء؟"

فهزّت كتفيها بلا مبالاة وأجابت: "توجّهينه نحو الشخص الذي تريدين قتله، ثمّ تضغطين على الزناد، فالأمر ليس فيزياء نووية."

"الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك."

عندئذٍ، اتّسعت عيناها دهشة: "ميلي، هل سبق لكِ إطلاق النار؟"

تردّدتُ أكثر ممّا ينبغي. نعم، لديّ بعض الخبرة البسيطة في إطلاق النار. فقد كان إنزو على قناعة بأنّه من المفيد أن أتعلّم؛ لذا ذهبنا إلى ميدان الرماية عدّة مرّات، وخضعنا لدورة في أمان الأسلحة، وحصلنا على شهادة. لكنّني لم أستخدم المسدّس إلّا هناك، ولذلك، لا يمكنني القول إنّني خبيرة تمامًا. لذا أجبت: "نوعًا ما."

رمقتني بنظرة ذات معنى. "ميلي..."

"لا". حملتُ المسدّس، وأعدته إلى القاموس المزيّف، ثم أغلقتُه بحدّة. "هذا لن يحدث."

"لكن..."

وقبل أن تكمل ويندي كلامها، قاطعها صرير باب المصعد المعدني وهو يُفتَح. فأخذتُ القاموس بسرعة، وأعدتُه إلى مكانه على الرفّ، بينما هرعت ويندي إلى غرفة الضيوف بسرعة مفاجئة. أمّا أنا، فنزلتُ الدرج على الفور لكيلا يدرك دوغلاس ما كنت أفعله.

دخل دوغلاس غرفة المعيشة، وبدا مُتفاجِئًا قليلًا برؤيتي أنزل الدرج، ثمّ ارتفع حاجباه الكثيفان فوق جبينه وقال: "ظننت أنكِ تعدّين العشاء".

أجبته بسرعة: "بالفعل، إنّه في الفرن الآن."

"فهمت..." أمعن النظر إليّ بعينيه الغائرتين، حتّى شعرت بالتوتّر، ثمّ سألني: "ماذا أعددتِ للعشاء؟"

أجبته: "أعددتُ صدور دجاج مشويّة، وبطاطس مهروسة، وجزرًا مكرملًا"، علمًا أنّه اختار بعناية قائمة الطعام بنفسه.

فكّر قليلًا، ثمّ قال: "لا تضعي بطاطس في طبق زوجتي، فهي تزعج معدتها."

"حسنًا..."

"وضَعي لها نصف حصّة من الدجاج فقط؛ إذ لم تكن بحالة جيّدة، ولا أعتقد أنّها ستأكل كثيرًا."

بينما كنت أصفّي البطاطس التي لن تتمكّن ويندي من أكلها، أدركتُ أخيرًا السبب وراء نحافتها المفرطة. فدوغلاس هو من يقدّم لها الطعام كلّ ليلة، ويتحكّم في كلّ لقمة تدخل فمها.

علاوة على كلّ ذلك، إنّه يتعمّد تجويعها. فهذه طريقة أخرى للسيطرة عليها، وإضعافها، وسحق روحها.

ويندي محقّة؛ لا يمكن لهذا الوضع أن يدوم.

أمّا بالنسبة إلى الجانب المشرق في الأمر، فقد بات بإمكاني أن أبصق في البطاطس المهروسة بأمان.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السادس والثلاثون

كان ذهني لا يزال مشغولًا بذلك المسدّس المخبّأ في القاموس وأنا أستلقي على فراشي. فالنظرة التي ارتسمت في عينَي ويندي وهي تريني إيّاه كانت واضحة تمامًا. إنّها جادّة، فقد وصلت إلى مرحلة من اليأس جعلتها تفكّر: إمّا أنا أو هو، وهذا تفكير خطِر للغاية. فعندما يبلغ الإنسان هذه النقطة، يبدأ بارتكاب الأخطاء الفادحة.

عليّ الاستعانة بإنزو عاجلًا أم آجلًا؛ فهو قادر على مساعدتها أكثر منّي. لكنّني لن أتّصل به الآن؛ فالساعة تقارب منتصف الليل، وإذا اتّصلت في هذا الوقت، فسيفترض حتمًا أنّها مكالمة عاطفية. وأنا لا أريده أن يُسيء الفهم.

مع ذلك، ثمّة جزء صغير منّي لم يكفّ عن التفكير فيه منذ تلك الليلة التي ذهبت فيها إلى ألباني.

صحيح أنّني ما زلت غاضبة منه بسبب اختفائه المفاجئ، لكن لا يمكنني إنكار السعادة الخالصة التي غمرتني حين رأيته يترجّل من تلك السيّارة. أنا أدرك الآن أنّني لم أعرف هذا الشعور مع بروك، ولست متأكّدة ممّا إذا كنت سأشعر به يومًا.

غير أنّ هذا ليس عادلًا في حقّ بروك. فصديقي يملك الكثير من الصفات الجيدة، وأهمّها أنّه رجل يمكن الاعتماد عليه، ومن المستحيل أن يخذلني في وقت الحاجة. أنا واثقة من ذلك.

مع ذلك، لم أستطِع إخباره بأيّ شيء ممّا يحدث مع ويندي. فلو علم، لسارع إلى الاتّصال بالشرطة، ولرفض التورّط في الأمر. فهذا تفكير قانوني نموذجي.

وكأنّه شعر أنّني أفكّر فيه، وصلتني رسالة منه على هاتفي:

أحبّك.

صررت أسناني وأنا أتساءل، كم مرّة يحتاج هذا الرجل إلى إخباري أنّه يحبّني؟ لا بدّ أنّه يتوقّع منّي أن أجيبه بالمثل، لكنّني لا أستطيع ذلك الآن، فقد بتّ أشعر وكأنّ هذه الكلمة أصبحت قيدًا يكبّلني. لذا، بدلًا من الردّ بالكلمات، التقطتُ صورة لنفسي وأنا أرسل له قبلة وبعثت بها إليه. هذا يشبه قول "أحبّك"، أليس كذلك؟

ردّ بسرعة البرق:

كم تبدين جميلة! ليتك كنتِ هنا.

يا إلهي! هل ينبغي لكلّ جملة ينطق بها أن تكون تلميحًا إلى أنّني لم أوافق على الانتقال إلى شقّته؟

رميت هاتفي جانبًا منزعجة، ثمّ هممت بالنهوض لأغسل أسناني، لكنّ الهاتف بدأ بالرنين فجأة. إنّه بروك على الأرجح؛ بما أنّني تجاهلت رسالته. ربّما سيسألني إن كان بإمكانه المجيء، وسأضطرّ بلطف إلى رفض طلبه.

لكن عندما نظرت إلى شاشة الهاتف، وجدت اسمًا آخر. إنّه دوغلاس.

لماذا يتّصل بي دوغلاس في منتصف الليل؟

حدّقت إلى الهاتف، وقلبي ينبض بقوّة. ما من سبب وجيه يجعل مديري يتّصل بي في هذا الوقت. فكّرت في ترك الاتّصال يتحوّل إلى البريد الصوتي، ولكن في النهاية، أجبت على الاتّصال.

"ميلي". بدا صوته حادًّا بعض الشيء. "لم أوقظك، أليس كذلك؟"

"كلّا..."

"جيّد. أعتذر عن الاتّصال بك في وقت متأخّر، ولكنّني ارتأيت إخبارك بذلك الآن. من هذا الأسبوع فصاعدًا، لن نكون بحاجة إلى خدماتك."

"هل... هل تطردني؟"

"حسنًا، ليس طردًا بالضبط، بل أتركك تذهبين في سبيلك. فويندي تشعر بتحسّن، وتودّ أن تستعيد خصوصيّتها في منزلنا مجدّدًا."

"آه..."

"ليس الأمر أنّنا لسنا راضيَيْن عن عملك"، شكرًا على المجاملة، "لكنّ الحياة الزوجية تتطلّب بعض الخصوصية. هل تفهمين ما أقصده؟"

وصلتني الرسالة بوضوح تامّ. لا يريدني أن أقترب من ويندي أو أن أحاول مساعدتها.

أصرّ قائلًا: "أنت تفهمين، أليس كذلك، ميلي؟"

أجبت وأنا أصرّ على أسناني: "بلى، أفهم."

تابع وقد خفّت حدّة صوته: "عظيم. وبما أنّنا ممتنّان لك على كلّ ما فعلتِه من أجلنا، فأنا أودّ أن أقدّم لك تذكرتَيْن لحضور مباراة لفريق ميتس. تعجبك الفكرة، أليس كذلك؟"

قلت ببطء: "بلى... أنا أحبّ ميتس..."

"رائع! اتفقنا إذًا".

"همم."

"تصبحين على خير، ميلي. ليلة سعيدة."

عندما أغلقتُ الهاتف، راودني إحساس غريب. ثمّة شيء في تلك المكالمة أزعجني، غير أنّني لم أتمكّن من وضع إصبعي عليه تمامًا. فارتميت على سريري، وعندها، وقعت عيناي على القميص الواسع الذي أرتديه للنوم.

كان قميصًا يحمل شعار ميتس.

نظرت إلى النافذة المقابلة لي، غير أنّ الستائر كانت مغلقة كعادتها. فهرعت إلى النافذة، وأدخلت أصابعي بين شقوق الستائر لألقي نظرة على الشارع. كان الظلام مخيّمًا، ولم أجد أيّ رجل مريب يقف في الخارج. لا أحد يحدّق إلى نافذتي بمنظار.

ربّما كانت مجرّد مصادفة. فأنا من نيويورك، ومن لا يحبّ فريق ميتس هنا؟

لكن، لا أعتقد أنّها مصادفة. فقد كان ثمّة شيء في نبرة صوته وهو يخبرني عن تذكرتَي المباراة. أودّ أن أقدّم لك تذكرتيْنِ لحضور مباراة لفريق ميتس. تعجبك الفكرة، أليس كذلك؟

يا إلهي! ماذا لو كان يستطيع رؤيتي هنا؟

لكن ليس الأمر وكأنّ ارتدائي قميص ميتس أثناء النوم سرّ كبير. إذ ربّما فتحت الباب وأنا أرتديه في وقت ما. كما أنّ جميع من واعدتهم يعرفون ذلك؛ مع أنّ القائمة لا تضمّ سوى بروك وإنزو.

مع ذلك، لديّ قمصان أخرى أنام بها أيضًا، لكنّ دوغلاس كان يعلم بالضبط ما أرتديه هذه الليلة.

لقد أقسمتُ لويندي إنّني لن أتخلّى عنها، لكن لا يمكنني أن أنكر أنّني كنت مرعوبة. فالستائر مغلقة، وأنا لا أفتحها إطلاقًا في المساء، خصوصًا وأنا أبدّل ملابسي.

كانت يداي ترتجفان وأنا ألتقط الهاتف وأرسل رسالة إلى بروك:

ما رأيك في المجيء إلى شقّتي؟

كالعادة، ردّ فورًا:

سأكون عندك بأسرع ما يمكن.

الفصل السابع والثلاثون

ما إن أنتهي من طيّ هذه الملابس، سأذهب للقاء بروك على العشاء.

كان دوغلاس قد أرسل لي رسالة نصّية وحدّد لي فيها موعدًا لجلسة التنظيف الأخيرة. بعد ذلك، سأضطرّ إلى البحث عن عمل جديد؛ لذا آمل أن يمنحني بقشيشًا سخيًّا، مع أنّني لا أعوّل على ذلك كثيرًا.

أنا سعيدة لأنّ هذا هو يومي الأخير في العمل لدى آل غاريك. لم أتخلَّ عن ويندي، لكنّني لم أعد أريد البقاء في هذا المنزل. فدوغلاس غاريك يخيفني، وكلّما ابتعدت عنه، كان أفضل. وسأبذل ما في وسعي لمساعدة ويندي من الخارج.

ثمّة أمر آخر يشغل بالي هذه الليلة؛ فبعدما أنهي عملي هنا، سأجلس مع بروك لإجراء الحديث الموعود. كنّا قد تجنّبنا عمدًا أيّ مناقشات جدّية في لقاءاتنا الأخيرة، لكن لم يعد من الممكن أن يستمرّ الأمر على هذا المنوال. سألقاه في شقّته، وأخبره بكل شيء. الدليل الكامل إلى ميلي. قد تكون تلك نهاية علاقتنا، وقد يتقبّل كلّ شيء، لكن ثمّة طريقة واحدة لمعرفة ذلك.

كانت معظم ملابس آل غاريك تُرسَل إلى المصبغة، لذا لم تتبقَّ سوى كمّية قليلة من الملابس الداخلية والجوارب، والتي لم تبدُ متّسخة تمامًا عندما وضعتها في الغسّالة. بينما كنت أفرزها وأرتّبها في الأدراج المناسبة، لم أكفّ عن التفكير في المسدّس المخفيّ في المكتبة.

جعلتُ ويندي تقسم ألّا تقدم على عمل متهوّر. ومع أنّها وعدتني بذلك، إلّا أنّني لا أثق بوعدها تمامًا. فقد وصلت إلى حافّة الانهيار، وقد رأيت اليأس على ملامح وجهها المتورّم وهي تمسك بذلك السلاح. في المرّة القادمة التي يضربها فيها دوغلاس، قد تقتله بالفعل.

في الواقع، لا مشكلة لديّ في أن يختفي ذلك الحقير من الوجود. لكن إن فعلَت ذلك، فسينتهي بها الحال في السجن. فهي لم تزُر أيّ طبيب أو مستشفى لتوثيق ما فعله بها، ومع أنّني سأشهد لصالحها في المحكمة، إلّا أنّ ذلك قد لا يكون كافيًا.

كنت قد قرّرت رسميًّا الاتّصال بإنزو غدًا. فقد يكون من الأفضل أن أنسحب تمامًا من هذه المسألة، لا سيّما وأنّني لن أعمل هنا بعد الآن. ففي النهاية، هو الذي يعرف "الأشخاص

المناسبين". كان من المنطقي أن نعمل كفريق حين كنّا معًا، أمّا الآن، فأصبح العيش بالقرب منه صعبًا عليّ.

لن يتردّد إنزو في مساعدة ويندي، أنا واثقة من ذلك.

كنتُ على وشك الانتهاء من ترتيب الملابس عندما دوى صوت ارتطام آتٍ من آخر الممرّ. كان قد سبق لي أن سمعت مثل هذا الصوت هنا، لكنّ الفرق هذه المرّة هو أنّني أعلم جيّدًا ما يعنيه: ويندي تتعرّض للضرب.

خرجتُ من غرفة النوم الرئيسة لمعرفة ما يجري. كالعادة، كان باب غرفة الضيوف مغلقًا بإحكام، لكنّني سمعت صوت دوغلاس يصرخ في الداخل.

هدر صوته في الممرّ: "لقد رأيتُ للتوّ هذه الرسوم على بطاقة الائتمان. ما هذا؟ ثمانون دولارًا ثمن غداء في لا تشيبولا؟"

لم أسمعه يتحدّث إليها بهذه النبرة من قبل؛ لا بدّ أنّه يعتقد أنّني غادرت المنزل بالفعل. فقد طلب إليّ الرحيل باكرًا، وظنّ أنّ بإمكانه قول ما يحلو له من دون أن يسمعه أحد.

"أنا... أنا آسفة." بدا من صوت ويندي أنّها مذعورة. "التقيت بصديقتي جيزيل على الغداء، وهي عاطلة عن العمل حاليًّا، فقرّرت أن أدفع الحساب عنها."

"ومن سمح لكِ بمغادرة المنزل؟"

"ماذا؟"

"من سمح لكِ بمغادرة المنزل يا ويندي؟"

"أنا... أنا... آسفة. كلّ ما في الأمر أنّ البقاء في المنزل طوال الوقت صعب للغاية، و..."

صاح بغضب: "كان من الممكن أن يراكِ أحد! كان من الممكن أن يروا وجهك، وحينئذٍ، ماذا سيظنّون بي؟"

"أنا... أنا آسفة، أنا..."

"أنتِ آسفة بالتأكيد. فأنتِ لا تفكّرين في أيّ شيء، أليس كذلك؟ تريدينني أن أبدو وحشًا في أنظار العالم!"

"لا، هذا ليس صحيحًا، أقسم لك."

ساد صمت طويل في الغرفة. هل انتهى الشجار، أم عليّ اقتحام الغرفة، أو ربّما الاتّصال بالشرطة؟ لكن لا، لا يمكنني الاتّصال بالشرطة، فقد أخبرتني ويندي أنّ هذا الخيار ليس مطروحًا.

ليتني أعرف أحدًا في شرطة نيويورك...

تسلّلتُ إلى أقرب ما يمكنني من الغرفة، محاولةً الإصغاء أكثر. وكنت على وشك أن أطرق الباب، عندما علا صوت دوغلاس من جديد، وبدا هذه المرّة أكثر غضبًا.

"أليس ذلك المطعم رومنسيًّا جدًّا لمجرّد لقاء بين صديقتين؟"

"ماذا؟ كلّا! ليس... رومنسيًّا..."

"أنا أعرف دائمًا متى تكذبين يا ويندي. من كان معكِ في ذلك الغداء الفاخر؟"

"لقد أخبرتك! كانت جيزيل."

"هذا مؤكّد. والآن، قولي الحقيقة، هل كان الرجل نفسه الذي أوصلكِ إلى شمال الولاية؟"

اقتربتُ أكثر من الباب، وأدركت أنّ ويندي تنتحب.

همست باكية: "كانت جيزيل".

قال بصوت كالهسيس: "هراء، لن أسمح لزوجتي الخائنة بالتجوّل في المدينة مع رجل آخر! هذا إذلال لي."

عندها، دوّى صوت ارتطام مروّع في الغرفة، تبعه صراخ ويندي.

لن أسمح له بإيذائها، عليّ أن أفعل شيئًا. فجأة، خيّم الصمت التامّ.

ثمّ ما لبثت أن سمعت صوت غرغرة، كأنّ أحدهم يختنق.

بل كأنّ امرأة تختنق!

لم يعد ثمّة مجال للانتظار. مهما يكن ما يجري في تلك الغرفة، فلا بدّ من إيقافه.

عندئذٍ، تذكّرتُ المسدّس.

الفصل الثامن والثلاثون

ما زلت أذكر تمامًا مكان المسدّس.

اندفعتُ نحو المكتبة وأخرجت القاموس. كان المسدّس لا يزال مكانه في التجويف، كما رأيته قبل يومين مع ويندي - تمامًا كما توقّعت - فالتقطتُه بيدين مرتعشتَين قليلًا.

حدّقت إلى السلاح في يدي، وتساءلت عمّا إذا كنتُ أرتكب خطأً فادحًا. فمع أنّ أمرًا مروّعًا يحدث في تلك الغرفة، إلّا أنّني لا أعلم ما إذا كان إقحام سلاح ناري في المشهد سيحسّن الوضع. فعندما يكون ثمّة احتمال لتعرّض شخص ما لإطلاق نار، قد تتفاقم الأمور بسرعة.

غير أنّني لن أطلق النار على دوغلاس، فهذا الخيار ليس مطروحًا؛ نيّتي الوحيدة إخافته. ففي النهاية، ما من شيء مرعب أكثر من المسدس، وأنا أعوّل على عنصر المفاجأة لوضع حدّ لما يجري.

حملت السلاح بيدي، وعدت مسرعة عبر الممرّ المظلم نحو غرفة الضيوف. كان الشجار قد توقّف، والصمت يخيّم على المكان، وكان هذا مخيفًا أكثر في الواقع.

فكّرت في طرق الباب، لكنّني قرّرت تجربة المقبض أوّلًا، فانفتح الباب بسهولة. وبينما كنت أدفعه ببطء، حدّثتُ نفسي بإلحاح:

ضعي المسدّس من يدك يا ميلي، عالجي الأمر بدونه؛ أنتِ ترتكبين خطأً فادحًا.

لكنّ الأوان كان قد فات.

فعندما فتحتُ الباب على مصراعيه، حبستُ أنفاسي من هول المشهد. كان دوغلاس مُطبِقًا بيديه على عنق ويندي، وقد دفعها بقوّة إلى الحائط، بحيث بدأ وجهها يزرقّ. كانت تحاول الصراخ، لكنّ صوتها لم يغادر حنجرتها.

يا إلهي! إنّه يحاول قتلها.

لا أدري إن كان سيخنقها حتّى الموت أم سيدقّ عنقها، لكنّني لا أستطيع الوقوف هنا مكتوفة اليدين، عليّ التدخّل حالًا. مع ذلك، تعلّمتُ من أخطاء الماضي. بحوزتي مسدّس، لكنّني لا أنوي استخدامه، بل ينبغي أن يكون التهديد كافيًا. بعد ذلك، سأخبر الشرطة بما رأيت.

يمكنكِ فعل ذلك يا ميلي. لا تؤذيهِ، بل أجبريه على إفلاتها فحسب.

صرختُ قائلة: "دوغلاس، اتركها!"

توقّعت أن يبتعد عنها، وأن يعتذر بعبارات ومبرّرات زائفة، لكنّ أصابعه بقيت مطبقة على عنقها. صدرت عن ويندي غرغرة أخرى، فرفعت المسدّس وصوّبته إلى صدره.

"أنا جادّة". كان صوتي يرتجف. "اتركها، وإلّا فسأطلق النار."

لكن لا يبدو أنّ دوغلاس قد سمعني. إذ كانت عيناه تشتعلان غضبًا، وكأنّه عازم على إنهاء الأمر حالًا. أمّا ويندي، فتوقّفت عن المقاومة، وارتخى جسدها بين يديه. لقد انتهى وقت التفاوض؛ إن لم أفعل شيئًا في الثواني القادمة، فستُسلِم الروح.

وسأكون قد سمحتُ بذلك.

قلت بصوت مبحوح: "أقسم إنّني سأطلق النار إن لم تُفلِتها!"

لكنّه لم يستسلم، بل واصل الضغط بقوّة.

لم يعد لديّ خيار. كان ثمّة أمر واحد يمكنني فعله في تلك اللحظة.

وهكذا، ضغطتُ على الزناد.

الفصل التاسع والثلاثون

ارتخى دوغلاس بعد لحظات من انطلاق الرصاصة التي دوّى صوتها في أرجاء الشقّة. كان الصوت أعلى ممّا توقّعتُ؛ قويًّا لدرجة أنّ الجيران قد سمعوه بلا شكّ. وربّما لا؛ فالجدران والأسقف في مكان كهذا غالبًا ما تكون عازلة للصوت، وثمّة طابق كامل تحتنا كعازل إضافي.

لكن من النّاحية الإيجابيّة، انزلقت أصابع دوغلاس عن عنق ويندي.

فسقطت ويندي على ركبتيها وهي تكحّ وتبكي، واضعة يديها على حنجرتها، بينما كان زوجها ممدّدًا بجانبها على الأرض، بلا حراك. بعد لحظات، بدأ سيل من الدم القرمزي ينساب تحته، ملوِّثًا السجّادة الوثيرة.

آه، لا، ليس مجدّدًا.

سقط المسدّس من يدي وارتطم بالأرض، مُصدِرًا صوتًا مكتومًا، بينما تجمّدتُ في مكاني. لم يعد دوغلاس غاريك يتحرّك على الإطلاق، فيما أخذت البقعة الحمراء تحته تزداد اتّساعًا. كنت أنوي إصابته في كتفه، لإجباره على إرخاء قبضته عن ويندي، لا قتلَه.

لكن يبدو أنّني أخطأت الهدف.

مسحت ويندي دموعها، والغريب أنّها كانت لا تزال واعية. ركعَت بجانب زوجها، ووضعت يدها على عنقه، فوق شريانه السباتي. تحسّسَت نبضَه للحظات، ثمّ نظرت إليّ قائلة: "لا يوجد نبض."

يا إلهي!

همسَت بصوت أجشّ: "لقد مات، مات حقًّا."

تمتمتُ قائلة: "لم أقصد قتله. كنت... كنت أحاول إجباره على إفلاتك فحسب. لم أكن أنوي..."

قاطعتني ويندي قائلة: "شكرًا لك، شكرًا لأنّك أنقذت حياتي. كنت أعرف أنّك ستفعلين."

تبادلنا النظرات لبرهة. لقد أنقذتها بالفعل، عليّ أن أتذكّر هذا الأمر عندما أشرح كلّ شيء لرجال الشرطة فور وصولهم.

قالت وهي تنهض، مع أنّ ساقيها كانتا ترتجفان: "عليكِ أن ترحلي. يمكننا مسح البصمات عن المسدّس، فهذا سيفي بالغرض، أليس كذلك؟ نعم، نعم، أنا متأكّدة أنّه سيفي بالغرض. لن أتّصل بالشرطة قبل مرور بضع ساعات، ثمّ سأخبرهم... أوه! يمكنني القول إنّني ظننت أنّ دوغلاس كان متسلّلًا وأطلقت النار عليه عن طريق الخطأ. كان مجرّد حادث، أليس كذلك؟ سيصدّقون، أنا واثقة من أنّهم سيصدقون."

كانت تتحدّث بسرعة، وهي في حالة هلع واضحة. وعلى الرغم من أنّ فكرة إبعاد الشبهة عنّي كانت مغرية، إلّا أنّ خطّتها تشكو من ثغرة كبيرة.

"لكنّ البوّاب رأى دوغلاس عندما دخل المبنى."

هزّت رأسها نافية. "لا، لم يرَه. فلدى بعض السكان إمكانية الوصول إلى المدخل الخلفي، وهو يستخدمه دائمًا."

"أما من كاميرات هناك؟"

"كلّا، لا كاميرات هناك."

"وماذا عن كاميرات المصاعد؟"

ضحكت ساخرة وقالت: "تلك؟ إنّها مجرد ديكور. فقد تعطّلت إحداها منذ خمس سنوات، والأخرى خارج الخدمة منذ عامين على الأقلّ."

هل يمكن أن ينطلي هذا الكلام على الشرطة حقًّا؟ لقد أطلقتُ النار على دوغلاس غاريك بدم بارد، فهل سأفلت من العقاب؟ على أيّ حال، لن تكون هذه المرّةَ الأولى.

"ارحلي حالًا". خطت ويندي من فوق جثّة دوغلاس، مُتجنِّبة بعناية بركة الدم التي تكوّنت تحته. "سأتحمّل مسؤولية ما جرى؛ فهو خطئي. أنا من أدخلتك في هذه المسألة، ولن أسمح بتوريطك معي. لذا، ارحلي من هنا بينما لا يزال هذا ممكنًا".

"ويندي..."

"ارحلي!" كانت عيناها تشتعلان بنظرة الجنون نفسها التي رأيتها في عينَي دوغلاس عندما كانت يداه مطبقتَين على عنقها. "أرجوكِ، ميلي، هذه هي الطريقة الوحيدة."

قلت بصوت خافت: "حسنًا، لكن... إن احتجتِ إليّ..."

مدّت يدها، وضغطت على ذراعي برفق. "صدّقيني، لقد فعلتِ ما فيه الكفاية"، ثمّ أضافت بعد شيء من التردّد: "يجب أن تمسحي كلّ رسائلنا النصّية، بما فيها رسائلي ورسائل دوغلاس، تحسّبًا."

كانت فكرة ممتازة. فقد تحدّثنا أنا وويندي عن أمور لا أريد أن تعرف بها الشرطة إذا بدأت بالتحقيق في جريمة القتل هذه. وربّما من الأفضل ألّا يروا الرسائل المتبادلة بيني ودوغلاس،

خاصّة تلك التي تشير إلى أنّ اليوم كان من المفترض أن يكون آخر يوم عمل لي هنا. التقطتُ حقيبتي، ومع أنّ يديّ كانتا ترتجفان بشدّة، إلّا أنّني تمكّنت في النهاية من حذف المحادثات مع الزوجين غاريك من هاتفي.

قالت: "لا تحاولي الاتّصال بي. سأهتمّ بهذا الأمر بنفسي يا ميلي، لا تقلقي."

هممتُ بالاعتراض، لكن سرعان ما أمسكتُ لساني؛ إذ أدركتُ أنّه لا جدوى من ذلك. فقد قرّرَت ويندي بالفعل أن تتحمّل العواقب، ومن مصلحتي أن أتركها تفعل. هكذا، ودّعتُ "البنتهاوس"، وأنا على يقين أنّني لن أطأه مجدّدًا. وقبل أن أغادر غرفة النوم، نظرتُ إلى ويندي؛ كانت واقفة أمام جثّة دوغلاس، تبتسم.

الفصل الأربعون

لم أكفّ عن الارتجاف طوال رحلة العودة بالمترو إلى المنزل.

ظنّ الركّاب أنّني مجنونة بلا شكّ؛ لأنّ المقاعد إلى جانبي بقيت فارغة على الرغم من الزحام، حتّى وصلتُ إلى حيّ برونكس. أمضيت الرحلة بأكملها وأنا أحتضن نفسي، وأتأرجح إلى الأمام والخلف، وكأنّني أحاول أن أهدّئ من روعي.

لا أصدّق أنّني قتلته، فأنا لم أقصد ذلك.

لا، هذا غير صحيح، فقد أطلقت النار على صدره. أكذِب لو قلتُ إنّني لم أكن أريده أن يموت، لكن لم تكن هذه نيّتي عندما رأيت ذلك المسدّس في القاموس.

مع ذلك، سيكون كلّ شيء على ما يرام، فقد سبق لي أن مررت بظروف مشابهة من قبل. ستلتزم ويندي بروايتها، ولن يكون لدى الشرطة أيّ دليل يربطني بالجريمة.

الآن، ما عليّ سوى أن أتعامل مع حقيقة أنّني قتلت رجلًا، وللمرّة الثانية.

ما إن خرجت من محطّة المترو، حتّى اهتزّ هاتفي بمكالمة فائتة. فأخرجته من حقيبتي، متوقّعة أن تكون ويندي، لكنّ الشاشة كانت ممتلئة بسيل من المكالمات والرسائل الصوتية من بروك.

يا إلهي!

كان من المفترض أن نتناول العشاء الليلة، وكنّا سنجري تلك المحادثة المهمّة أخيرًا. حسنًا، لن يحدث ذلك بعد الآن.

حدّقت إلى اسمه على الشاشة، وأنا أعلم أنّه عليّ الاتّصال به، لكنّني لم أرغب في ذلك. في النهاية، ضغطت على اسمه، ولم يكد يرن حتّى أجاب فورًا.

"ميلي؟" كان صوته ينمّ عن مزيج من الغضب والقلق. "أين أنتِ؟"

"أنا..." تمنّيت لو أنّني فكرت في عذر مقنع قبل أن أتّصل. "أنا لا أشعر أنّني بخير."

"أحقًّا؟" بدا متشكّكًا وهو يسألني: "ممّ تعانين بالضبط؟"

"أشعر بتوعّك في المعدة". ولمّا لم يُعلّق، قرّرت أن أضيف بعض التفاصيل: "بدأ الأمر فجأة، وأشعر أنّني مريضة جدًّا. فأنا لا أكفّ عن التقيّؤ، كما أنّني... حسنًا، أمضي معظم الوقت في الحمّام. لا أعتقد أنّني أستطيع الخروج الليلة."

حبستُ أنفاسي، متوقّعة أن يكتشف زيف قصّتي، لكن بدلًا من ذلك، لانَ صوته وهو يقول: "لا يبدو من صوتك أنّك بخير."

"نعم..."

قال بلطف: "إن أردتِ، يمكنني المجيء وإحضار حساء الدجاج، أو تدليك ظهركِ".

بروك أروع رجل على الإطلاق؛ فهو شخص طيّب جدًّا. بمجرّد أن تنتهي هذه المسألة، سأعوّضه عن كلّ شيء، فأنا أحبّه فعلًا على ما أعتقد.

همست عبر الهاتف: "لا، شكرًا لك، لا أحتاج سوى بعض الوقت بمفردي حتّى أتعافى. هل يمكننا تأجيل العشاء؟"

"بلا شكّ، اعتني بنفسكِ فحسب."

عندما أنهيت الاتّصال، اجتاحتني موجة أخرى من الذنب؛ ليس بسبب ما فعلته فحسب، بل أيضًا بسبب الطريقة التي أتعامل بها مع بروك. لكنّه لا يستحقّ أن يُجَرَّ إلى هذه الفوضى؛ فإنزو هو الشخص الوحيد الذي يمكنني التحدّث إليه بشأن ما جرى، وهذه فكرة سيّئة لأسباب عديدة. ما أحتاج إليه الآن هو العودة إلى المنزل، وعدم التفكير في أيّ شيء. فقريبًا، سيصبح كلّ هذا خلفي.

الفصل الحادي والأربعون

استيقظتُ وأنا أشعر وكأنّ شاحنة دهستني، وكان صدغي الأيمن ينبض بألم شديد.

في الواقع، لم أستطِع النوم الليلة الماضية. إذ كنت أتقلب في الفراش، وكلّما غفوت، رأيت جثّة دوغلاس ملقاةً على الأرض. في النهاية، ذهبت متعثّرة إلى الحمّام، وتناولت أحد الأقراص المنوّمة التي خزّنتُها هناك، فغرقت في نوم مثقل بالأحلام، تُطاردني فيه عينا مستخدِمي الميت وهما تحدّقان إليّ.

تقلّبت في السرير، وأنا أتحسّس شعري الأشعث. كان النبض المؤلم في صدغيَّ يزداد حدّة، واستغرقتُ بعض الوقت حتّى أدركت أنّ أحدهم يطرق أيضًا باب الشقّة بقوّة.

ثمّة شخص عند الباب.

بذلت جهدًا للنهوض من السرير، ولففتُ جسدي بمعطف منزليّ. صحت بصوت أجشّ، على أمل أن يتوقّف الطارق عن قرع الباب: "أنا قادمة!" غير أنّه لم يكن مُستعِدًّا للتراجع.

تقدّمت ببطء، ونظرتُ عبر العين السحرية.

وقف رجل في الخارج، يرتدي قميصًا ناصع البياض وربطة عنق سوداء تحت معطف واقٍ من المطر، فسألت: "من الطارق؟"

جاءني صوت مكتوم من وراء الباب: "المحقّق راميريز، من شرطة نيويورك".

يا إلهي!

لكن لا بأس، لا داعي للذعر. لقد قُتل مديري السابق، ومن الطبيعي أن يرغبوا في طرح بعض الأسئلة. ما من شيء يدعو للقلق.

فتحت القفل، ثمّ فتحت الباب قليلًا. لا يمكنه الدخول من دون إذني، ولا أنوي منحه إيّاه. ليس لأنّني أخفي شيئًا، لكنّ الحذر واجب.

سأل بصوت عميق على نحو مفاجئ: "آنسة كالواي؟" بدا لي في أوائل الخمسينيّات من عمره، بناءً على الهالتين الذّاكتتين المحيطتين بعينيه ونسبة الشيب في شعره القصير.

قلت بتردّد: "أهلًا..."

"كنتُ أتساءل عمّا إذا كان بإمكاني طرح بعض الأسئلة عليكِ."

حاولت أن أحافظ على تعابير جامدة وأنا أسأله: "بشأن ماذا؟"

تردّد هنيهة وهو يدرس ملامحي، ثمّ سألني: "هل تعرفين رجلًا يدعى دوغلاس غاريك؟"

"نعم..." لا ضير في الاعتراف بذلك؛ فمن السهل الإثبات أنّني عملت لدى آل غاريك.

"لقد قُتِل الليلة الماضية."

"أوه!" وضعت يدي على فمي، مُتظاهِرَة بالصدمة. "هذا مروّع!"

"تُرى، هل يمكنك المجيء إلى المركز للإجابة عن بعض الأسئلة؟"

ظلّ وجه المحقّق راميريز خاليًا من أيّ تعبير، وتحوّلت شفتاه إلى خطّ مستقيم، لا تنمّان عن شيء. لكن، إن كان يطلب إليّ الذهاب إلى المركز، فهذا يعني أنّ الأمر جدّي. مع ذلك، لم يُخرِج الأصفاد ليقيّدني وهو يتلو عليّ حقوقي. ربّما كانوا يأخذون القضيّة على محمل الجدّ لمجرّد أنّ دوغلاس كان رجلًا ثريًّا ونافذًا.

"متى تريد منّي المجيء؟"

أجاب من دون تردّد: "الآن. يمكنني إيصالك بنفسي."

"هل... هل هذا إلزامي؟"

أنا لستُ مُلزَمة بالذهاب معه ما دمتُ لستُ قيد الاعتقال، فأنا أعرف حقوقي جيّدًا، لكنّني رغبت في معرفة ما سيقوله.

أجاب أخيرًا: "لستِ مُلزَمة، لكنّني أوصيك بذلك بشدّة. فعاجلًا أم آجلًا، سنتحدّث."

أحسستُ بغثيان مفاجئ. فهذا لا يبدو مجرّد استجواب عابر حول مديري السابق. لذا قلت: "أرغب في الاتّصال بمحاميّ".

لم يُبعِد راميريز نظره عنّي. "لا أعتقد أنّ ذلك ضروري، لكنّه من حقّكِ."

لا أعرف طبيعة الأسئلة التي سيطرحونها عليّ، لكنّ فكرة الذهاب إلى مركز الشرطة من دون محامٍ لا تعجبني إطلاقًا، مهما يكن رأيه. مع الأسف، ثمّة محامٍ واحد أعرفه بما فيه الكفاية للاتّصال به في هذا الوقت، والحديث معه لن يكون سهلًا.

انتظر راميريز بينما أخذت هاتفي وبحثتُ عن رقم بروك. لا بدّ أنّه في مكتبه الآن، لكنّه أجاب بعد رنّتين فقط. إذ يُمضي بروك معظم يومه خلف مكتبه، ونادرًا ما يكون في قاعة المحكمة.

"مرحبًا، ميلي، هل أنتِ بخير؟"

"همم، ليس تمامًا..."

"هل ازداد التوعّك سوءًا؟"

"ماذا؟"

ساد الصمت قليلًا، ثم قال بروك ببطء: "أخبرتِني الليلة الماضية أنّكِ تعانين من توعّك في المعدة."

آه، صحيح. فقد كدت أنسى الكذبة التي لفّقتها له عندما تخلّفت عن موعدنا الليلة الماضية. "نعم، أنا أفضل الآن، لكنّني بحاجة إلى مساعدتك في أمر آخر... أمر مهمّ."

"أنا جاهز، إلامَ تحتاجين؟"

خفضت صوتي لكيلا يسمعني راميريز: "حسنًا... أنت تعرف مديري السابق، دوغلاس غاريك. في الواقع... لقد قُتِل الليلة الماضية."

شهق بروك: "يا إلهي! ميلي، هذا فظيع. هل عرفوا هويّة القاتل؟"

"لا، لكن..." نظرتُ إلى راميريز الذي كان يراقبني، وتابعت قائلة: "يريدون استجوابي في مركز الشرطة."

"أوه، يا إلهي! هل يظنّون أنكِ تعرفين شيئًا مهمًّا؟"

"يبدو ذلك، مع أنّني لا أعرف شيئًا حقًّا. على أيّ حال... سأشعر براحة أكبر إذا كنتُ برفقة محامٍ". وتنحنحت مضيفة: "وكما تعرف، ليس لديّ أحد سواك."

"بالتأكيد". تمنّيتُ لو كان بإمكاني معانقته عبر الهاتف. "يمكنني مقابلتكِ هناك بمجرّد أن أنهي بعض الأمور. أنا واثق من أنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام، لكن تسرّني مساعدتك."

بينما كنت أدوّن عنوان مركز الشرطة الذي سيستجوبني فيه المحقّق راميريز، لم أكفّ عن التفكير في أنّني وبروك سنخوض أخيرًا الحديث الذي كنت أعتزم إجراءه معه الليلة الماضية.

الفصل الثاني والأربعون

بحلول الوقت الذي وصلتُ فيه إلى مركز الشرطة في مانهاتن، كنتُ في قمّة التوتر. حاول المحقّق راميريز التحدّث إليّ خلال الرحلة، لكنّه لم يحظَ سوى بإجابات مقتضبة وحشرجات. وحتّى عندما تكلّم عن الطقس، شعرتُ أنّه يحاول استدراجي للحصول على معلومات، ولم أرغب في منحه أيّ شيء.

لكن بمجرد وصولي إلى المركز، وجدتُ بروك بانتظاري هناك. كان يرتدي بذلته الرمادية، ويضع ربطة عنقه الزرقاء التي تجعل عينيه تبدوان أكثر زرقة. ابتسم عندما رآني أدخل برفقة المحقّق، ولم يبدُ عليه القلق على الإطلاق. على الأرجح، سيتغيّر مزاجه قريبًا جدًّا.

قلتُ لراميريز: "هذا محاميّ، أرغب في التحدّث إليه على انفراد قبل الاستجواب."

فأومأ برأسه بصرامة. "سنخصّص لكما غرفة لتتحدّثا، وعندما تصبحين جاهزة، سأطرح عليك أسئلتي."

قادني إلى غرفة صغيرة مربّعة، تحتوي على طاولة بلاستيكية وبضعة كراسٍ بلاستيكية حولها. لم أدخل غرفة استجواب منذ سنوات، ورؤيتها الآن جعلت صدري ينقبض، خصوصًا عندما أجلسني على أحد الكراسي وتركَني بمفردي هناك ثمّ أغلق الباب خلفه.

اعتقدتُ أنّ بروك سيدخل معي فورًا، ولكنّه بدا مشغولًا في الخارج.

تُرى، ماذا يقولون له؟

انتظرتُ وحدي في الغرفة لنحو أربعين دقيقة، والذعر يتعاظم داخلي. وحين ظهر بروك أخيرًا عند الباب، كنتُ على وشك الانفجار باكية.

صرخت: "لماذا تأخرتَ؟"

بدا عليه الاضطراب وهو يجلس قبالتي بتصلّب، فيما طغى العبوس على وجهه.

قال: "ميلي، كنت أتحدّث إلى المحقّق في الخارج. لا يرغبون في إخباري بالكثير، لكنّ هذا ليس استجوابًا روتينيًّا، فهم يشتبهون بك جدّيًّا."

حدّقتُ إليه بذهول. كيف ذلك؟ لقد اعترفَت ويندي للشرطة بأنّها هي من أطلق النار على دوغلاس، ويفترض أن تكون القضيّة محسومة.

إلّا إذا...

"لديهم مذكّرة لتفتيش شقّتكِ". مذكّرة؟! "وثمّة فريق هناك الآن."

أيفتّشون شقّتي؟ عمّ يبحثون؟ فما من شيء مشبوه هناك. لحسن الحظّ، لم تتلطّخ ملابسي بالدماء الليلة الماضية، فقد تأكّدتُ من ذلك.

"لماذا يعتقدون أنّكِ قتلته؟" هزّ بروك رأسه مضيفًا: "لا أجد هذا منطقيًّا."

إنّه الوقت المناسب، يجب أن أخبره عن ماضيّ. فمن الضروري أن يعرف كلّ شيء عنّي إن كان سيمثّلني أمام المحكمة، وإلّا، فسيبدو كالأبله. قلتُ له: "اسمع، ثمّة أمر يجب أن تعرفه عنّي."

رفع حاجبيه، منتظرًا.

كان الأمر صعبًا للغاية. رحت ألوم نفسي لأنّني لم أخبره بذلك من قبل، ولكن الآن، وأنا على وشك الاعتراف، تذكّرتُ سبب تأجيلي هذه اللحظة طويلًا. "لديّ... سجلّ جنائي."

"لديكِ ماذا؟" وبدا فكّه على وشك السقوط. "سجلّ جنائي؟! أي إنّكِ كنتِ في السجن؟"

"نعم، هذا ما يعنيه السجلّ الجنائي تقريبًا."

"بأيّ تهمة؟"

والآن يأتي الجزء الأصعب.

"جريمة قتل."

بدا بروك وكأنّه على وشك الانهيار؛ آمل أن يكون قلبه على ما يرام. "قتل؟"

"كانت دفاعًا عن النفس". مع أنّ ذلك ليس صحيحًا تمامًا. "كان ذاك الرجل يعتدي على صديقتي، فأوقفته. كنتُ مراهقة آنذاك."

ألقى عليّ نظرة متشكّكة. "لا أحد يذهب إلى السجن بسبب الدفاع عن النفس."

"بعض الناس يفعلون."

لم يبدُ مقتنعًا بكلامي، لكنّني لم أرغب في الخوض في التفاصيل حول الفتى الذي كان يحاول اغتصاب صديقتي، وكيف فعلتُ ما في وسعي لإيقافه؛ حتّى لو جعلني الادّعاء أبدو وكأنّني تجاوزتُ الحدّ.

تمتم مُحدِّثًا نفسه: "إذًا، لا عجب في أنّك لم تحصلي على شهادتك الجامعية. لطالما ظننت أنّ نضوجك تأخّر فحسب."

"أنا آسفة". نظرت إلى الأسفل مُضيفة: "كان عليّ أن أخبرك."

"أحقًّا تظنين ذلك؟"

قلتُ مجدّدًا: "أنا آسفة، لكنّني خشيت أن تنظر إليّ... كما تفعل الآن."

مرّر بروك يده في شعره. "يا إلهي، ميلي. كنتُ أعلم أنّ ثمّة ما تخفينه عنّي، لكنّني لم أتخيل قطّ..."

فقلت مُتَنَهِّدة: "نعم".

"حسنًا". فكّ ربطة عنقه قليلًا وتابع: "إذًا، لديكِ سجلّ جنائي. لنضع هذا جانبًا، لماذا يعتقدون أنّكِ قتلتِ دوغلاس غاريك؟"

لم أستطِع الإجابة لأنّني لا أعرف ما الذي قالته ويندي للشرطة. فحتّى لو كان كلّ ما أقوله لبروك يبقى سرّيًّا بحكم مهنته، إلّا أنّني لم أتمكّن من الاعتراف له بما حدث في الليلة الماضية.

"ليست لديّ أدنى فكرة."

أمال رأسه مُفكِّرًا. "أخبرتِني الليلة الماضية أنّكِ كنتِ مُتوعِّكة. هل غادرتِ شقّتهما باكرًا؟"

قلتُ بحذر، مدركة أنّه بإمكان البوّاب تأكيد موعد مغادرتي: "في الواقع، أنهيتُ عملي، لكن بما أنّني لم أكن بخير، عدتُ مباشرة إلى المنزل. كنتُ قد وصلتُ تقريبًا عندما تحدّثنا عبر الهاتف. وبالنسبة إلى دوغلاس... لم يكن هناك أصلًا عندما غادرتُ الشقّة."

"حسنًا". مرّر بروك يده على ذقنه. "إنّهم يصعّبون الأمر عليكِ بسبب سجلّكِ، لكنّنا سنحلّ هذه المسألة."

غير أنّني تمنّيتُ في تلك اللحظة لو كنتُ أملك ثقته.

الفصل الثالث والأربعون

اتّضح أنّ راميريز غير قادر على استجوابي على الفور، وقد اشتبهت في أنّه مجرّد تكتيك لإضعافي نفسيًّا. اضطرّ بروك إلى الردّ على مكالمة من عمله، فتركني بمفردي في غرفة الاستجواب، لأمضي الساعة التالية في ذعر صامت.

كانت قد مرّت أكثر من ساعتين منذ وصولي إلى مركز الشرطة عندما دخل راميريز أخيرًا، يتبعه بروك. جلس بروك إلى جانبي، وضغط على يدي بسرعة تحت الطاولة. فكان من المطمئن أن أعرف أنّه لم يكرهني تمامًا بعد أن اكتشف سجلّي الجنائي؛ علمًا أنّ النهار ما زال في بدايته.

قال المحقّق بنبرة محايدة تمامًا: "شكرًا على صبرك، آنسة كالواي. أودّ أن أطرح عليك بعض الأسئلة عن السيد غاريك."

فأجبت بنبرة هادئة ومتّزنة، لعلمي أنّ الاستجواب مُسجَّل: "حسنًا."

"أين كنتِ الليلة الماضية؟"

"ذهبت إلى شقة آل غاريك لإنجاز بعض أعمال التنظيف والغسيل الخفيفة، ثمّ عدت إلى منزلي."

"متى غادرتِ الشقة؟"

"نحو الساعة السادسة والنصف."

"وهل تحدّثتِ إلى السيّد غاريك أثناء وجوده هناك؟"

فهززت رأسي نافية، وقد تذكّرت ما قالته لي ويندي. ما علينا سوى الالتزام بالقصّة نفسها، وسنكون بخير. "كلّا."

بدا على راميريز أنّه فوجئ بإجابتي. "إذًا، ألم يطلب إليكِ السيّد غاريك مقابلته في الشقّة الليلة الماضية؟"

رفعت جفنيّ بحيرة. "كلّا..."

بدا وكأنّ عينَي المحقّق تزدادان سوادًا وهو يسألني: "آنسة كالواي، ما هي طبيعة علاقتكِ بالسيّد غاريك؟"

"علاقتي؟" نظرت إلى بروك، الذي علا العبوس وجهه. "إنّه مستخدمي. أعني، هو وزوجته ويندي."

"هل أقمت علاقة معه؟"

كدت أختنق. "كلّا!"

"ولا حتّى مرّة واحدة؟"

عندها، أحسست برغبة في مدّ يديّ وهزّه بعنف. لكن لحسن الحظّ، تدخّل بروك بنبرة حازمة: "لقد أجابت الآنسة كالواي عن سؤالك. لا تربطُها بالسيّد غاريك سوى علاقة عمل بحتة."

التقط المحقّق راميريز الملفّ الذي وضعه على الطاولة، وسحب مجموعة أوراق مشبوكة معًا، ثمّ دفع بها نحوي. "لقد وجدنا هاتفًا غير مسجّل في درج ملابس السيّد غاريك. وهذه هي الرسائل النصّية المتبادلة بين ذلك الهاتف وهاتفك."

التقطتُ الأوراق وبدأت أتصفّحها، بينما كان بروك ينظر من فوق كتفي. عرفت فورًا تلك الرسائل، فهي نفسها التي كان دوغلاس يرسلها إليّ خلال الأشهر القليلة الماضية لتأكيد مواعيد عملي؛ ولكن خارج سياقها، بدا معناها مختلفًا تمامًا.

هل أنت قادمة الليلة؟

سأراكِ لاحقًا هذا المساء.

تعالي الليلة.

بالإضافة إلى ذلك، اختفت جميع رسائلي المتعلّقة بالبقالة والغسيل. فبدت كلّ الرسائل كما لو أنّها ترتيبات للقاءات بيننا. كان بروك يحدّق إلى الأوراق بعينين جاحظتين وهو يقرأ الرسائل النصّية.

قلت: "نعم، هذه رسائلنا، لكنّها كلّها تتعلّق بالعمل."

"أكان السيّد غاريك يراسلكِ بشأن العمل من هاتف غير مسجّل؟"

صررت أسناني. "لم أكن أعلم أنّه هاتف غير مسجّل، ظننت أنّه هاتفه العادي."

"فهمت."

أضفت: "ثمّ إنّ ثمّة رسائل أخرى، معظمها عن المشتريات والغسيل، لكنّها غير موجودة هنا... يبدو أنّها حُذفت."

"أما زالت لديك هذه الرسائل على هاتفك؟"

"لا..." لأنّ ويندي طلبت إليّ حذفها. "تخلّصت من جميع الرسائل."

"لماذا؟"

"ولِمَ لا؟" صدرت عنّي ضحكة لم تبدُ طبيعية إطلاقًا. "أعني، هل تحتفظ بكلّ رسائلك النصية؟"

أظنّ أنّه يفعل ذلك على الأرجح، حتّى إنّه يحتفظ ربّما برسائل تعود لعشر سنوات خلت. في الواقع، لو لم تطلب إليّ ويندي حذف تلك الرسائل، لما فعلت قطّ.

قال راميريز: "أيضًا، ثمّة مكالمات متأخّرة جرت على رقمك في منتصف الليل. هل تقولين إنّ مستخدمك كان يتّصل بك في منتصف الليل؟"

تمتمتُ بصوت ضعيف: "حدث ذلك مرّة واحدة فقط."

أدركت كم تبدو حجّتي واهية. فالأمر لا يبدو منطقيًّا؛ لماذا كان دوغلاس يراسلني من هاتف غير مسجّل؟ لا يُعقل أنّه يحاول توريطي في جريمة مقتله. التفتُّ إلى بروك، لكنّه ظل صامتًا في أحرج الأوقات.

قال راميريز وهو يفتح ملفّه مجدّدًا: "أيضًا..."

يا إلهي! هل ثمّة المزيد؟ يستحيل ذلك. "هل تعرفين هذه؟"

أخرج صورة مطبوعة باهتة لسوار، فتعرّفت عليه فورًا؛ إنّه السوار نفسه الذي أهداه دوغلاس لويندي بعد أن تسبّب بتورّم عينها.

قلت: "نعم، هذا سوار ويندي."

رفع راميريز حاجبيه بدهشة. "إذًا، لماذا وجدناه في صندوق مجوهراتك في شقّتك؟"

تلعثمتُ: "هي... من أعطتني إيّاه."

اقترب حاجباه أكثر من خطّ شعره. "هل أعطتك ويندي غاريك سوار ألماس بقيمة عشرة آلاف دولار؟"

عشرة آلاف دولار! أهذا هو سعر ذلك السوار؟ هل كنت أحتفظ بشيء يساوي عشرة آلاف دولار في صندوق مجوهراتي البائس؟

قلت: "قالت لي إنّه هديّة من زوجها."

"وماذا عن النقش؟" سحب صورة أخرى من الملفّ ومرّرها إليّ قائلًا: "هل يبدو هذا مألوفًا؟"

ظهر النقش الذي قرأته على سوار ويندي مكبَّرًا، بحيث أمكننا أنا وبروك قراءته بوضوح:

إلى و، أنتِ لي إلى الأبد، مع حبّي د.

قلتُ: "صحيح، إلى و، أي إلى ويندي."

طرق راميريز بإصبعه على الصورة. "ألا يبدأ اسمكِ بحرف و؟ ويلهيلمينا؟"

جفّ حلقي فجأة. انتظرتُ أن يتدخّل بروك للاعتراض على مجرى الاستجواب، لكنّه لزم الصمت، بانتظار سماع جوابي. "أنا معروفة باسم ميلي."

"لكنّ اسمكِ الحقيقي ويلهيلمينا."

"نعم..."

"أيضًا..." آه، لا، هل ثمّة المزيد؟ كيف يُعقَل ذلك؟ لكنّه مدّ يده مجدّدًا إلى ذلك الملفّ اللعين، وأخرج صورة أخرى مطبوعة. "هل كان هذا هدية من السيّد غاريك؟"

تناولتُ الصورة من يده. إنّه الفستان نفسه الذي طلب إليّ دوغلاس إعادته، لكنّه لم يعطني أيّ إيصال، ولم يخبرني حتّى من أين اشتراه. ومع كلّ ما حدث، نسيت أمره تمامًا. وهكذا ظلّ ملقًى في كيس هدايا في خزانتي.

قلتُ بصوتٍ ضعيف: "لا"، مع أنني أدركتُ مُسبقًا المنحى الذي يتّخذه هذا الاستجواب. "لقد طلب إليّ السيد غاريك إعادة الفستان".

تابع المحقّق: "إذًا، لماذا بقي في غرفة نومكِ لأكثر من شهر؟"

"لأنّه... لم يعطِني الإيصال."

لم أستطِع حتّى النظر إلى بروك، والله يعلم ما يدور في رأسه. أردت أن أطمئنه بأنّ الأمر برمّته مجرّد سوء فهم فادح، لكن لا يمكنني التحدّث إليه بوجود المحقّق في الغرفة.

قلتُ: "اسمع، كنت سأعيده. عندما سألته عن الإيصال، قال إنّه سيحضره لي، لكنّنا نسينا الأمر".

قال راميريز: "آنسة كالواي، هل تعلمين أنّ هذا الفستان تمّ شراؤه من أوسكار دي لا رينتا بستّة آلاف دولار؟ هل تعتقدين حقًّا أنّه قد ينسى إعادته؟"

يا إلهي!

جازفت بإلقاء نظرة نحو بروك، فرمقني بنظرة فارغة وهو يهزّ رأسه بخفّة. لقد أحضرته ليكون محاميّ، لكنّه لم يكن يقدّم أيّ مساعدة تُذكَر.

أضاف راميريز: "أيضًا..." آه، لا، لا يمكن أن يكون ثمّة المزيد. فأنا لم أقبل أيّ مساعدات أخرى من آل غاريك. ما من شيء آخر يُمكنه سحبه من ذلك الملفّ. "هل أمضيت ليلة في نزل مع دوغلاس غاريك الأسبوع الماضي؟"

صرختُ: "كلّا!"

فتنحنح قائلًا: "إذًا، ألم تحجزي غرفة في نزل في ألباني الأربعاء الماضي بينما كان السيّد غاريك في اجتماع عمل هناك، وتدفعي ثمن الليلة نقدًا؟"

فتحتُ فمي، لكن لم يخرج منّي أيّ صوت.

عندئذٍ، انفجر بروك قائلًا: "الأربعاء الماضي! كان من المفترض أن نلتقي على العشاء في ذلك اليوم، لكنّك أخلفت الموعد! هل كنتِ هناك؟"

لا أستطيع الكذب، فقد أعطيتُ موظّف الفندق رخصة قيادتي. "أجل، استأجرتُ غرفةً في نزل في ألباني، لكنّ الأمر ليس كما تظنّ".

شبك راميريز ذراعيه على صدره. "أنا أسمعك".

لم أعرف ما ينبغي لي قوله؛ فأنا لا أريد أن أفشي سرّ ويندي، لأنّهم إذا اكتشفوا الخلافات التي كان الزوجان يواجهانها، فقد تُلصَق جريمة القتل بها. ومع أنّني لا أريد أن أتحمّل مسؤولية على ما جرى، إلّا أنّني لا أريدها أن تُعاقب هي الأخرى.

قلت بضعف: "كنتُ بحاجةٍ إلى ليلةٍ بعيدًا عن المنزل فحسب".

"فذهبتِ إلى نزل عشوائيٍّ في ألباني لقضاء الليلة؟"

"لم أكن أواعد دوغلاس غاريك". نظرتُ إلى كلّ من بروك وراميريز، وبدا كلاهما متشكّكين للغاية. "أقسم بذلك. وحتى لو كنتُ أقيم علاقة معه - وهذا غير صحيح - فهو لا يعني أنّني قتلته!"

"لقد قطع علاقته بكِ الليلة الماضية". ركّز راميريز نظره عليّ وهو يُلقي بهذا التصريح. "كنتِ غاضبة منه، فأطلقتِ عليه النار بغضب من مسدّسه".

"كلّا..." شعرتُ بجفافٍ شديد في فمي. "هذا ليس صحيحًا على الإطلاق. ليست لديك أدنى فكرة".

فأومأ راميريز برأسه نحو الصور على المكتب وقال: "يمكنكِ أن تري لماذا يبدو الأمر مريبًا".

صرختُ قائلة: "لكنّها ليست الحقيقة! لم أكن على علاقةٍ مع دوغلاس غاريك قطّ، هذا جنونٌ مُطلق".

لم ينطق المحقّق بكلمة هذه المرّة، بل اكتفى بالتحديق إليّ.

"أنا لم أقتله، أقسم لك! اسأل ويندي غاريك، وستؤكّد لك كلّ أقوالي، اسألها!"

عندئذٍ، قال المحقّق راميريز: "آنسة كالواي، ويندي غاريك هي من أخبرتنا عن علاقتكِ بزوجها".

ماذا؟! "المعذرة؟"

"قالت إنّ السيد غاريك اعترف لها بالأمس، ودعاكِ إلى شقّته بنيّة إنهاء علاقتكما. لكن عندما عادت إلى المنزل، وجدَته ملقًى على الأرض، ومُصابًا بطلق ناري".

لا... هذا مستحيل... بعد كلّ ما فعلته من أجلها...

قال: "وبصماتك موجودة على المسدّس".

الفصل الرابع والأربعون

منذ تلك اللحظة فصاعدًا، بدأت الأمور بالانحدار.

حاولت أن أُرتِّقَ روايةً تشبه الحقيقة، ولا تنتهي بي وأنا أطلق النار على دوغلاس غاريك في منزله. فشرحت كيف كان دوغلاس يعنّف ويندي، وكيف حاولتُ مساعدتها. وقلت له إنّ ويندي أرتني السلاح، وأخبرتني أنّها تحتفظ به للدفاع عن نفسها، ولهذا ربّما علِقت بصماتي عليه، لكنّني وجدت صعوبة في تفسير عدم وجود بصمات ويندي عليه أيضًا. ومن نظرات المحقّق راميريز، علمت أنّه لم يصدّق كلمة ممّا قلت.

وعند نهاية قصّتي المفكّكة، كنت على يقين أنّ راميريز سيقرأ عليّ حقوقي ويزجّني في إحدى زنزانات السجن. غير أنّه اكتفى بهزّ رأسه، وقال:

"سأعود حالًا، لا تذهبي إلى أيّ مكان."

ثمّ نهض وغادر غرفة الاستجواب، صافقًا الباب خلفه بقوّة، فتردّد الصدى بين جدران الغرفة، وتركني بمفردي مع بروك.

كان بروك يحدّق إلى الطاولة البلاستيكية بنظرات جامدة. لقد جاء إلى هنا بصفته محاميّ، لكنّه لم ينطق بكلمة واحدة منذ عشرين دقيقة. ولو عرفت أنّ الأمور ستسير على هذا النحو، لما طلبت إليه المجيء.

"بروك؟"

نظر إليّ بصمت، فسألته بصوت خافت: "هل أنت بخير؟"

رمقني بنظرة غاضبة مُجيبًا: "لا، بالله عليك يا ميلي، ما هذا؟ أحقًّا؟"

فتمتمت بصوت ضعيف: "بروك، لا يمكن أن تصدّق..."

قاطعني بحدّة: "أصدّق ماذا؟ قبل بضع ساعات فحسب، لم أكن أعرف شيئًا عن دخولك السجن بتهمة قتل، والآن أكتشف أنّك كنتِ تخونينني مع ذلك الوغد الثريّ الذي كنت تعملين لديه..."

صرخت: "أنا لم أخنك! ولن أخونك أبدًا!"

"إذًا، ماذا كنتِ تفعلين ليلة الأربعاء الماضي؟ وماذا كنتِ تفعلين ليلة أمس؟ وماذا عن كلّ

الليالي التي كان من المفترض أن نتناول فيها العشاء معًا لكنّك تجاهلتني؟ ألا ترين كم يبدو هذا مريبًا؟ خصوصًا، كما تعلمين، أنّك قتلت رجلًا من قبل."

حسنًا، ليس رجلًا واحدًا. لكن، أعتقد أنّ إضافة هذه المعلومة الآن لن تخدم قضيّتي.

"قلتُ لك، كنت أساعد ويندي."

"كنتِ تساعدين المرأة التي تتّهمك الآن بأنّك كنت على علاقة مع زوجها، وأنّك قتلته؟"

حسنًا، حين يقول ذلك بهذه الطريقة..."لا أعلم سبب قولها ذلك للمحقّق، ربّما شعرت بالذعر. لكن صدّقني، كان يسيء إليها. لقد رأيت ذلك بأمّ عيني."

"ميلي". نظر إليّ بروك، وبدا الألم على ملامحه الوسيمة. "اتّصلتُ بك الليلة الماضية، وكنتِ تبدين منزعجة للغاية من أمر ما. من الواضح أنّك لم تكوني تعانين من أيّ توعّك بالمعدة، فتلك كانت كذبة."

اعترفتُ قائلة: "نعم، كانت كذبة."

"ميلي"، تهدّج صوته وهو ينطق باسمي، "هل قتلتِ دوغلاس غاريك؟"

كلّ ما اتّهمني به المحقّق راميريز كان خاطئًا. كلّ شيء... باستثناء أمر واحد. لقد أطلقت النار على دوغلاس غاريك، وقتلته. وحتّى لو أنكرت كلّ التهم الأخرى، فإنّ هذه الحقيقة تبقى قائمة.

تمتم بروك: "يا إلهي! لا أصدّق أنّك فعلتِ ذلك..."

"لكنّ الأمر ليس كما تتخيّل".

صدر صوت احتكاك عنيف عندما سحب بروك كرسيّه البلاستيكي لينهض. "لا يمكنني تمثيلك، ميلي. هذا غير مناسب... لا أستطيع."

مع أنّ بروك لم يكن مُجدِيًا على الإطلاق أثناء الاستجواب، إلّا أنّ فكرة تخلّيه عنّي في هذه اللحظة أخافتني أكثر. "أنت تعرف أنّني لا أملك المال لتوكيل محامٍ..."

"إذًا، استخدمي محاميًا عامًّا، أو استديني المال، لا أدري... لكن لا يمكنني تمثيلك، أنا آسف."

ارتجف ذقني وأنا أنظر إليه: "أهكذا إذًا؟ هل تنفصل عنّي؟"

فهزّ رأسه مُجيبًا: "على ما يبدو... فأنا لم أعد أعرف من تكونين. لا أصدّق ما يحدث، لا أصدق حقًّا. كنت أريدك أن تقابلي والديّ، فقد ظننت أنّنا..."

لم يكن ثمّة داعٍ لكي يكمل. فقد تخيّل مستقبلًا لنا نتزوّج فيه، وننجب أطفالًا، ونشيخ معًا. ولم يتخيّل أن ينتهي بنا المطاف في مركز الشرطة، وأنا مُتَّهَمة بجريمة قتل.

لذا، لا يمكنني أن ألومه على رحيله. ورغم ذلك، انفجرت بالبكاء ما إن أُغلِق الباب خلفه.

الفصل الخامس والأربعون

بعد كلّ ما حدث، لم يُلقِ المحقّق راميريز القبض عليّ، وكانت تلك أعجوبة حقًّا. فعندما أخبرني بأنّني حرّة ويمكنني المغادرة، سألته: "هل أنت متأكّد؟" إذ كنت واثقة من أنّهم سيحتجزونني، لكنّه أطلق سراحي مع تحذيري بعدم مغادرة المدينة. وبما أنّني لم أكن أملك لا مالًا ولا سيّارة، كان من الصعب أن أذهب إلى أيّ مكان في القريب العاجل.

ما إن خرجتُ من مركز الشرطة، حتّى مددت يدي إلى هاتفي تلقائيًّا. عندئذٍ، تذكّرت أنّه لم يعد لديّ من أتّصل به. ففي الأحوال العادية، كنت سأتّصل ببروك لأخبره بإطلاق سراحي، لكن من الواضح أنّه لم يعد يكترث.

كان ثمّة شخص واحد فقط أعلم أنه سيهتمّ لأمري.

إنزو.

لا بدّ أنّ إنزو سيساعدني. ولو اتّصلت به، لصدّق كلّ كلمة أقولها من دون أن تساوره أيّ شكوك في صدقي. لكنّني لم أكن متأكّدة من رغبتي في سلوك هذا الطريق مجدّدًا. فبعد أن ألقيت عليه تلك المرافعة المطوّلة عن عدم حاجتي إلى مساعدته، لن أزحف إليه بعد أسبوع متوسّلة إليه كي ينقذني.

أنا قادرة على إنقاذ نفسي، حتّى إنّني لست قيد الاعتقال. وربّما تُحلّ كلّ هذه المسألة من دون عواقب تُذكَر.

بعد أن فكّرت قليلًا في الخيارات المتاحة لي، اخترت رقم ويندي من قائمة جهات الاتّصال لديّ. لا أعلم إن كان من المناسب أن أتّصل بها الآن، لكنّني كنت بحاجة إلى إجابات. فقد عقدنا اتّفاقًا الليلة الماضية، وما قاله المحقّق يتعارض تمامًا مع ما اتّفقنا عليه. لكن، ماذا لو كان يكذب ليخيفني ويدفعني إلى الاعتراف أو لتوريط ويندي؟ فأنا لم أعد أستبعد شيئًا عن ذلك الرجل.

بطبيعة الحال، تحوّلت المكالمة مباشرة إلى البريد الصوتي.

لم يكن أمامي سوى العودة إلى البيت. فمن يدري؟ قد يعتقلونني غدًا ولا أتمكّن من العودة إلى هناك مجدّدًا. فأنا غير قادرة على دفع كفالة.

ركبت المترو عائدة إلى شقّتي في برونكس. فبعد كلّ ما حدث اليوم، لم أعد أملك الطاقة للعودة سيرًا على الأقدام. فتّشت في حقيبتي خمس دقائق كاملة بحثًا عن مفاتيحي، إلى أن اقتنعت بأنّني أضعتها. وحين أوشكت على الاستسلام، وجدتها عالقة في قاع الحقيبة.

"ميلي!"

ما إن دخلت المبنى حتّى اندفعت المالكة – السيدة راندال – من شقّتها في الطابق الأوّل، مرتدية أحد فساتينها الفضفاضة غير المشدودة عند الخصر. كان وجهها المليء بالتجاعيد مُتجَهِّمًا، وشفتها السفلى بارزة.

صاحت قائلة: "كان رجال الشرطة هنا! أجبروني على فتح شقّتك وفتّشوا المكان، فقد كان بحوزتهم أمر بالسماح لهم بالدخول!"

تمتمتُ مُجيبَة: "أعرف، أنا آسفة على ذلك."

ضاقت عينا السيّدة راندال وهي تنظر إليّ مُتسائِلة: "هل تُخبّئين مخدّرات هنا؟"

"لا! بالتأكيد لا!" كلّ ما في الأمر أنّني قتلت رجلًا، تبًّا!

قالت بحدّة: "لا أريد مزيدًا من الحوادث في مبناي، وأنت لا تجلبين سوى المتاعب. فقد زارت الشرطة المبنى مرّتين بسببك! لذا أريد منك أن ترحلي من هنا. سأمهلك أسبوعًا واحدًا لا أكثر."

فصرختُ بذهول: "أسبوع واحد! لكن، سيّدة راندال..."

همسَت بغضب: "أمامك أسبوع واحد، ثم سأغيّر الأقفال. لا أريد رؤيتك هنا، ولا أريد معرفة ما تفعلينه في تلك الشقّة".

غاص قلبي في تلك اللحظة. فكيف لي – وسط كلّ ما أمرّ به – أن أعثر على شقّة جديدة؟ ربما كان من الأفضل لو اعتقلوني؛ فعلى الأقلّ، كنت سأحظى بسقف وبطعام مجّاني.

صعدتُ الدرجات المتبقّية المؤدّية إلى شقّتي. كنت أتوقّع أن أجد المكان مقلوبًا رأسًا على عقب، ولم يخِب ظنّي. فالضبّاط الذين فتّشوا الشقّة لم يكلّفوا أنفسهم عناء إعادة أيّ شيء إلى مكانه. وسيستغرق الأمر منّي بقية الليلة لترتيب هذه الفوضى.

ارتميتُ على الأريكة مُنهَكة. في الواقع، لم أكن أملك الطاقة للتعامل مع هذه الفوضى الليلة. ربّما غدًا... أو قد لا أفعل أبدًا. فما الجدوى من ذلك إن كنت ذاهبة إلى السجن على أيّ حال؟

بدلًا من ذلك، تناولتُ جهاز التحكّم عن بعد، وشغّلتُ تلفازي القديم. فعلى ما يبدو، هكذا سأقضي آخر ليلة لي من الحريّة.

لسوء الحظّ، كان التلفاز مضبوطًا على قناة إخبارية. وكانت جريمة قتل دوغلاس غاريك

تتصدّر نشرات الأخبار. قالت المذيعة ذات الشعر الأشقر اللامع إنّ الشرطة تتحدّث إلى "مشتبه به".

آه، لقد ظهرتُ في الأخبار، فأنا "مشتبه به".

خلال البرنامج، تمّ بثّ فيديو لويندي. كانت تتحدّث إلى أحد المراسلين، وبدت عيناها محمرّتين ومتورّمتين. أمّا كدمات وجهها، فقد اختفت تمامًا، وأظنّ أنّ الفضل في ذلك يعود إلى مساحيق التجميل. استدارت نحو الكاميرا، وبدأت تتكلّم.

قالت بصوت قويّ على نحو مفاجئ، لا يشبه صوتها إطلاقًا: "كان زوجي دوغلاس رجلًا رائعًا. كان إنسانًا طيّبًا ولامعًا، وكنّا نخطّط لتكوين عائلة معًا قريبًا. لم يكن يستحقّ هذه النهاية الفظيعة. هذا ليس عدلًا، إنّه..." وتوقّفَت عن الكلام، وقد خنقتها العبَرات. "أنا... أنا آسفة..." ما كان هذا؟!

كيف لويندي أن تتحدّث عن دوغلاس بهذا الشكل بعد ما فعله بها؟ أنا أتفهّم ألّا ترغب في الإساءة إلى ذكرى الميت، لكنّها جعلته يبدو شخصًا آخر! كان الرجل على وشك أن يخنقها حتّى الموت عندما أطلقتُ عليه النار، فلماذا لا تخبر المراسل بذلك؟

عاد البثّ إلى المذيعة الشقراء، التي حدّقت بعينيها الزرقاوين الصافيتين إلى الكاميرا وقالت: "لمن انضمّ إلينا الآن، وقعت جريمةُ قتل وحشيّة راح ضحيّتها دوغلاس غاريك، الرئيس التنفيذي لشركة كوينستوك. فقد عُثِر عليه مَقتولًا في شقّته بآبر ويست ساید الليلة الماضية، إثر إصابته بطلق ناري في صدره".

ظهرت على الشاشة صورة لرجل أربعينيّ، مع التعليق التالي: "دوغلاس غاريك، الرئيس التنفيذي لشركة كوينستوك". حدّقتُ إلى الشاشة، إلى الرجل ذي الشعر الأسود، بعينيه البنيّتين الفاتحتين، وذقنه المترهّل والتجاعيد المحيطة بعينيه وهو يبتسم للكاميرا. وبينما كنت أحدّق إلى صورة دوغلاس غاريك، أدركت أمرًا.

لم يسبق لي أن رأيت هذا الرجل في حياتي.

لم يكن الرجل الذي ظهر في الصورة مألوفًا لي على الإطلاق. صحيح أنّه يشبه قليلًا الرجل الذي كنت أتعامل معه في "البنتهاوس"، ومن بعيد، قد لا يكون الفرق ملحوظًا، لكنّه ليس هو، ليس هو حتمًا، بل هو شخص آخر تمامًا.

إذا كان الرجل الظاهر على الشاشة هو دوغلاس غاريك... فمن يكون الرجل الّذي قتلتُه الليلة الماضية؟

الجزء الثاني

الفصل السادس والأربعون

ويندي

قد أبدو لكم للوهلة الأولى امرأة فظيعة.

لكن هل تُراني سأكون أقلّ فظاعة لو قلت إنّ دوغلاس - وعلى الرّغم من أنّه لم يعنّفني قطّ - كان زوجًا لا يُطاق؟ فقد أذلّني، وجعل حياتي بائسة. وكان حصولي على الطلاق سيسعدني.

في الواقع، لم يكن من الضروري أن ينتهي الأمر بموته، غير أنّه هو من جلب لنفسه هذه النهاية.

أمّا ميلي، فهي ضحيّة سيّئة الحظّ، لا أكثر. غير أنّها ليست بريئة تمامًا كما تعتقدون. وإذا قضت حياتها خلف القضبان، فسيكون ذلك للصالح العامّ.

لكن حتّى بعد أن تسمعوا روايتي، قد أبقى بنظركم امرأة فظيعة. وقد تظنّون أنّ دوغلاس لم يكن يستحقّ الموت، وأنّني أنا من تستحقّ أن تمضي بقيّة حياتها في السجن.

وفي الحقيقة، أنا لا أكترث لذلك البتّة.

* * *

كيف ترتكبين جريمة قتل بحقّ زوجك وتفلتين من العقاب - دليل بقلم ويندي غاريك

الخطوة الأولى: تعرّفي إلى رجل أعزب، ساذج، وفاحش الثراء

قبل أربع سنوات

أنا لا أفقه شيئًا من الفنّ المُعاصر.

أرسلت لي صديقتي أليزا دعوة لحضور معرض فنّي، لكنّ المعروضات بدت لي غريبة جدًّا. فأنا معتادة على الإعجاب باللوحات بوصفها أعمالًا جميلة، ونتاجَ مهارةٍ فنّية. أمّا هذه؟ فلا أدري حتّى ماهيّتها.

كان عنوان المعرض ببساطة: ملابس، وهذا بالضبط ما كان عليه. قطع ثياب معلّقة على الجدران، وممزّقة، أُعيد تجميعُها على شكل رقع من قماش الكوردروي، والساتان، والحرير، والبوليستر. إنّه شيء منافٍ للعقل تمامًا. متى أصبح الفنّ يشبه ما يصنعه الأطفال في صفّ الفنون في المدرسة؟

كان العمل الذي وقفت أحدّق إليه بعنوان جوارب، وكان عنوانًا مناسبًا. فهو مؤلّف من إطار ضخم، بارتفاع قامتي تقريبًا، مغطّى بالكامل بجوارب من كلّ الأشكال والأحجام.

في الواقع... لم أفهم المقصود منه على الإطلاق.

قال رجل من خلفي: "عندي جورب مثقوب، هل تظنّين أنّهم سيُمانعون لو استعرت واحدًا من هذه؟"

التفتّ إلى المتحدّث، وعلى الفور، عرفت دوغلاس غاريك.

قبل هذا المعرض، درست بعناية شديدة صورته النادرة التي وجدَتها لي أليزا. حفظت شعره البنّي الأشعث، والتجاعيد التي تحيط بعينيه مع شبه ابتسامة، وسنّه العوجاء من الجهة اليسرى. كان يرتدي قميصًا أبيض رخيصًا يبدو وكأنّه اشتراه من وولمارت، وقد أخطأ في إغلاق أحد الأزرار. لا، بل أخطأ في كلّ الأزرار؛ فما من زرّ في عروته المناسبة. كما كان بحاجة ماسّة إلى حلاقة.

لن يخطر ببال أحد أنّ هذا الرجل واحد من أغنى الأغنياء في هذا البلد.

أجبت وأنا أحاول أن أبدو هادئة؛ على الرغم من أنّ قلبي كان ينبض بجنون: "لا أرى كيف يمكن أن يلاحظوا اختفاءه".

ابتسم لي ومدّ يده قائلًا: "دوغ غاريك." فوقع نظري على ترهّل تحت ذقنه، لم يظهر بوضوح في الصورة التي رأيتها، لكن من السهل التخلّص منه ببعض الحمية والتمارين.

صافحته، وطوّقت يده الدافئة يدي كأنّها خُلِقت لتناسبها.

"ويندي بالمر."

التقت نظرات عينيه البنّيتين بعينيّ وقال: "سعيد جدًّا بلقائك، ويندي بالمر".

"وأنا كذلك، سيد غاريك."

"إذًا..." تراجع على عقبيه، وحذاؤه المهترئ يصرّ على الأرض. "ما رأيك في ملابس؟"

نظرت حولي إلى الأعمال الفنّية المعروضة التي تتمحور حول الثياب. كنت أعلم القليل عن دوغلاس غاريك، وأظنّه رجلًا يقدِّر الصراحة، لذا أجبت: "بصراحة؟ لا أفهم هذه المعروضات تمامًا. فبإمكاني تنفيذ أيّ منها بقليل من الصمغ وصندوق ملابس مستعملة من متجر خيري."

عبس دوغلاس. "لكن، أليس هذا هو المغزى؟ فالفنّان يحاول تحدّي المعايير السائدة، وتقديم نقد للفنّ التقليدي، ليثبت أنّه يمكن حتّى للأشياء العادية جدًّا أن تُحرّك المشاعر."

"آه". تبًّا، والآن عليّ التفكير في شيء ذكي لأقوله. "حسنًا، أعتقد أنّ تداخل الخامات والألوان..."

غير أنّني توقفت عن الكلام عندما رأيت الابتسامة الساخرة التي علت شفتيه، والتي لم تدُم سوى لحظات، قبل أن ينفجر ضاحكًا. "هل بدا ما قلته وكأنّني أعرف ما أتكلّم عنه؟"

فاعترفت: "قليلًا".

"أتعلمين ما الذي أحبّه في هذا المعرض؟ إنّه الطعام. فهو..." وقبّل أطراف أصابعه مُتابِعًا: "رائع. وأنا مستعدّ للتحديق إلى بضعة جوارب معلّقة على الجدران مقابل الفوز بهذه المُقبّلات."

فتمتمتُ قائلة: "أجل". لم أكن قد تناولت لقمة واحدة منذ وصولي إلى هنا. فهذا الفستان من دونا كاران ينساب على جسدي كأنّه مُفصّل لي بالضبط، لكن قد يظهر انتفاخ غير جذّاب لو بدأت بالتهام القريدس بصلصة الكوكتيل.

نظر إلى يديّ الفارغتين وقال: "دعيني أحضر لك بعضًا من الأنواع المفضلة لديّ. ثقي بي."

ابتسمت له قائلة: "أشعر بالفضول."

"إذًا، لا تتحرّكي من مكانك يا ويندي بالمر."

وغمزني قبل أن يُهرول نحو طاولة المقبّلات. فحمل طبقًا، وبدأ يكدّس فيه كمّية مُقلقة من الأطعمة. يا إلهي، لماذا يضع كلّ هذا الطعام؟ أنا لا أتناول الفطور أو الغداء، وقد أكلت طبقًا من السلطة قبل مجيئي. ماذا سيفعل بي هذا الرجل؟

كدت أصاب بنوبة هلع من كمّية الطعام التي كوّمها في ذلك الطبق. غير أنّ الطبق صغير، لذا سيكون الأمر على ما يرام. سأكتفي بتناول عشاء خفيف غدًا.

أسرع عائدًا إليّ، وبدا مُتحمِّسًا ليريني ما اختاره بعناية: "تفضّلي، هذه أنواعي المفضّلة. جرّبي التارت بالفطر أوّلًا."

تناولت القطعة وأخذت منها قضمة؛ كان طعمها لذيذًا جدًّا. غير أنّ هذه القضمة وحدها تحتوي على نحو خمسمئة سعرة حرارية، على الأرجح. لا عجب في أنّ ذقن دوغلاس مترهّل. وهو لا يبالي لأنّه رجل، ولأنّه فاحش الثراء.

قال: "والآن، ثمّة عمل فنّي هناك بعنوان بنطال. هل تودّين تخمين ما الذي سنراه؟"

ابتسم لي وهو ينظر إلى عينيّ، مع أنّ فستاني يُظهِر مِقْدارًا لافتًا من الصدر.

حين أتيتُ الليلة، وفي نيّتي إغواء دوغلاس غاريك، لم أكن أعرف شيئًا عن هذا الرجل. لكن على ما يبدو، سيكون الأمر أسهل بكثير مما توقّعت.

الفصل السابع والأربعون

الخطوة الثانية: تزوّجي من الرجل فاحش الثراء

قبل ثلاث سنوات

بإمكان دوغلاس أن يكون مثيرًا للجنون.

إنّه يعذبني. يتظاهر بأنّه رجل طيّب، لا بل متواضع؛ بالنظر إلى منصبه وثروته الطائلة، لكنّه ساديّ. لا يمكن تفسير سلوكه إلّا على هذا النحو.

سألته بعصبيّة: "ماذا تظنّ نفسك فاعلًا؟"

على الأقلّ، بدا عليه بعض الخجل. ويجدر به ذلك! يكفي أنّه يجلس في غرفة المعيشة بسرواله الداخلي - سرواله الداخلي! - ومن المفترض أن نكون خلال أقلّ من ساعة في حفلٍ تقيمه ليلاند جاسبر في منزلها، غير أنّه لم يبدأ حتّى بالاستعداد. كنت قد نظّمت كلّ شيء لكي نصل في توقيت متأخّر بشكل مدروس. ومع ذلك، ها هو الآن واقف في المطبخ، مرتديًا بنطالًا رياضيًّا وقميصًا قطنيًّا، يأكل النوتيلا مباشرة من المرطبان بسكّين زبدة.

قلبي لا يحتمل هذا الجنون.

"لقد شعرت بالجوع". ثمّ وضع السكّين على الرخام، تاركًا أثرًا من النوتيلا على السطح الأبيض.

فقلت بصبر نافد: "دوغلاس، علينا أن نغادر المنزل خلال عشر دقائق، لكنّك لم ترتدِ ملابسك بعد."

"نغادر إلى أين؟"

إنّه يتعمّد تعذيبي. لا يمكنني أن أصدّق أنّ هذا السلوك غير مقصود؛ إذ لا يمكن لإنسان عاقل أن يكون غافلًا بهذا الشكل.

"إلى منزل ليلاند! فالحفل الليلة!"

تمتم وهو يفرك صدغيه: "آه، صحيح. ربّاه، وهل علينا الذهاب؟ فنحن نكره ليلاند وزوجها، ألم نقل ذلك؟ وبالمناسبة، ما هذا الاسم، ليلاند؟ لا شكّ في أنّها اختلقته."

كان محقًّا في كلّ ما قاله، لكنّ هذا لا يعني أنّه بإمكاننا تفويت الحفل؛ فالجميع سيكونون هناك. وأريد أن يروني بفستاني الجديد من برادا، وشعري الكستنائي المسرّح بعناية والمطعّم بخصلات ذهبية، وأنا ممسكة بذراع خطيبي الوسيم والثري إلى حدّ يفوق الخيال، والذي سيدخل مرتديًا بذلة أرماني تخفي انتفاخ بطنه. كنت قد اخترتها لهذا السبب تحديدًا. فقبل أن يرتبط بي، كان يخرج ببذلات رخيصة تبرز عيوبه.

قلت وأنا أصرّ أسناني: "علينا الذهاب، ولا أريد سماع مزيد من الاعتراض. يجب أن ترتدي ملابسك حالًا."

"لكن ويندي." أمسك دوغلاس بذراعي وجذبني إليه؛ كانت رائحة البندق تملأ أنفاسه. "اسمعي، ستكون الحفلة مملّة. فلنذهب... لا أدري، لنشاهد فيلمًا معًا نحن الاثنين فحسب، كما كنّا نفعل في بداية علاقتنا، ما رأيك؟ فيلم المنتقمون الجديد، مثلًا..."

ما لم أكن أعرفه عن دوغلاس قبل أن ألتقي به هو أنّه كسول ميؤوس من أمره، ولا يبذل أدنى جهد لإخفاء ذلك. فشغفه في الحياة يقتصر على التمدّد على الأريكة، لمشاهدة أفلام الأبطال الخارقين، وجهاز الكمبيوتر المحمول على ركبتيه، ومرطبان النوتيلا في يده وكأنّه جائزة نوبل، يغرف منه مباشرة. والأمر الوحيد الذي جعله يعتلي عرش الرئاسة التنفيذية لشركة كوينستوك هو أنّه عبقري مجنون، اخترع تكنولوجيا أصبحت تُستخدَم في مصارف البلاد كافّة.

"نحن ذاهبان إلى ذلك الحفل". شعرت أنّني أكرّر هذه الجملة للمرّة المئة، لكن أقسم إنّ هذا الرجل لا يصغي إليّ على الإطلاق. "والآن، قم وارتدِ ملابسك. هيّا، هيّا."

"حسنًا، حسنًا."

مال إليّ، لكنّني كنت أرتدي فستان برادا، فتراجعتُ خطوة إلى الخلف، ورفعت يديّ لصدّه قائلة: "يمكنك عناقي بعد أن تبدّل ملابسك."

دفع دوغلاس مرطبان النوتيلا داخل الخزانة، ثمّ خرج بتكاسل من المطبخ إلى غرفة المعيشة الصغيرة للغاية. في الواقع، هذه الشقّة بأكملها وصمة عار. فهي لا تحتوي إلّا على ثلاث غرف نوم، حوّل دوغلاس إحداها إلى مكتب؛ أي أنّنا نعيش عمليًّا في شقّة من غرفتين فقط. لكن لا بأس، فبعد زواجنا، سنعيش حياة تليق بنا، وسننتقل إلى منزل أحلامي في الضواحي، أو لنقل منزل أحلام دوغلاس؛ لأنّني شخصيًّا لا أحلم بالعيش في الضواحي بالتأكيد.

مع ذلك، لا يسعني إلّا أن أبتسم كلّما فكّرت في المنزل الذي سنعيش فيه يومًا ما. فخلال نشأتي، كان والدي عامل صيانة، وكانت والدتي تكافح للحصول على الحدّ الأدنى من الأجور في عملها في حضانة أطفال. فكنت أشارك أختي الصغرى غرفة النوم، وهي التي ظلّت تبلّل

السرير حتى بلغت الثامنة من عمرها. درستُ بجدّ وحصلت على منحة دراسية تؤهّلني لدخول ثانوية خاصّة بالنخبة. فكان جميع الطلاب يسخرون منّي لأنّني لم أكن أرتدي ملابس فاخرة مثلهم.

كان أقصى أحلامي ارتداء بنطال جينز من ماركة فاخرة، كذاك الذي ترتديه زميلتي الجميلة واللئيمة، مادلين إدموندسون، وربّما معطف شتوي غير مستعمل أو ممزّق.

ظننت أنّني سأتمكّن من تغيير حياتي في الجامعة، لكنّ الأمور لم تسر كما كنت آمل. فقد وقعت تلك الحادثة المشؤومة التي اتُّهِمتُ فيها بالغشّ، ولم يُسمَح لي بالعودة في السنة الثالثة. وهكذا، ذهبت كلّ آمالي المهنية أدراج الرياح، حين تمّ اقتيادي إلى خارج الحرم الجامعي.

أتمنّى لو أنّهم جميعًا يرونني الآن.

قبل أن أتمكّن من الاستغراق أكثر في هذا الشعور، رنّ جرس الباب.

كنت على وشك أن أقول لدوغلاس إنّني سأذهب لأرى من الطارق، غير أنّه أعلن قائلًا: "لا بدّ أنّه جو، سيُسلّمني بعض الأوراق. لن يستغرق الأمر طويلًا."

كان جو بنديك محامي دوغلاس. ومع أنّه أحد أسباب ثراء دوغلاس الفاحش، إلّا أنّني لا أستلطفه على الإطلاق، وأعتقد أنّ مشاعري متبادلة. لذا، سررت لأنّ دوغلاس هو من سيستقبله.

على الرغم من ذلك، من الغريب أن يمرّ جو في هذا الوقت المتأخّر من الليل. ليس أمرًا غير مسبوق، لكنّه يبقى غريبًا. أتساءل عمّا يريده...

لذا، بينما ذهب دوغلاس ليفتح الباب ويتحدّث إلى جو، بقيت على مقربة منهما، أُصغي إلى حديثهما. إذ لا يشركني دوغلاس عادة في أعماله، لكن من الذكاء أن أعرف ما يجري قدر الإمكان.

سمعت دوغلاس يسأل: "أهذا كلّ شيء؟"

أجابه جو: "نعم، لكن ثمّة أمر آخر..."

ثمّ سمعت حفيف أوراق؛ كان دوغلاس يفتح مغلّفًا. "آه، جو، سبق أن أخبرتك أنّني لا أستطيع أن أطلب إليها ذلك..."

"دوغ، عليك أن تفعل. فزفافك خلال بضعة أسابيع، ولا يمكنك أن تتزوّج من تلك المرأة من دون توقيع اتّفاقيّة زواج."

"ولمَ لا؟ أنا أثق بها."

"هذا خطأ فادح."

"اسمع، لا أستطيع... فالأمر يبدو كما لو أنّنا نبدأ الزواج بخطوة خاطئة."

"دعني أقدّم لك نصيحة قانونية مجّانية يا دوغ. إذا انتهى هذا الزواج بالفشل، فستحصل تلك المرأة على نصف كلّ ما جنيته في حياتك. وهذا العقد هو درعك الوحيدة؛ إن تزوّجتها من دون التوقيع عليه، فستسلّمها ثروتك على طبق من فضّة، وهذه قمّة الحماقة".

"لكن..."

"لا أريد سماع أيّ اعتراض. لا تتزوّج تلك المرأة إلّا بعد التوقيع على هذا المستند. وإن كانت تحبّك فعلًا وتريد الزواج منك، فلن ترفض، أليس كذلك؟"

حبستُ أنفاسي، مترقّبة ردّ دوغلاس. وددت لو يوقفه عند حدّه، لكنّ جو ليس محاميه فحسب، بل صديقه المقرّب والأقدم أيضًا.

أخيرًا، قال دوغلاس: "حسنًا، سأهتمّ بالأمر."

الفصل الثامن والأربعون

مكتبة
t.me/soramnqraa

قال جو بنديك: "هذا عرض سخيّ للغاية".

وقف أمامنا أنا ودوغلاس في غرفة المعيشة، وراح يشرح لي بنود اتّفاقيّة الزواج. لم يُعطِني دوغلاس الأوراق في تلك الليلة؛ بل انتظر بضعة أيّام، وحاول أن يخفّف وقعها عليّ ببعض الأزهار وبقلادة ماسية من متجر تيفاني، لكنّها لم تكن مُجدِيَة حقًّا.

"أنا لا أشعر بالارتياح حيال توقيع اتّفاقيّة زواج".

نظرتُ إلى دوغلاس الجالس بجواري؛ بسرواله الجينز وقميصه القطني، كان يبدو مثل شخص أقلّ من عاديّ. تابعتُ قائلة: "عزيزي، هل علينا حقًّا أن نخوض هذا النقاش؟"

تدخّل جو مجدّدًا: "الاتّفاق سخيّ جدًّا، تحصلين على عشرة ملايين دولار في حال الطلاق، لكن لا يحقّ لك المطالبة بأيّ من أصوله الأخرى".

"أنا لا أريد أصوله". أضفت وأنا أضع يدي على ركبة دوغلاس، أتحسّس خامة الجينز المهترئة تحت أناملي: "لا أريد سوى أن نتزوّج بسلام".

ردّ جو: "إذًا وقّعي عليها، ولن أزعجك مجدّدًا".

"لكن..." أخرجت من جيبي منديلًا مطرّزًا ورحتُ أمسح دموعي، "كنت أظن أنّك تثق بي أكثر من ذلك، دوغلاس".

فتمتم جو بامتعاض: "يا إلهي! دوغ، هل تُصدّق هذا الهراء حقًّا؟"

رمق دوغلاس صديقه شزرًا، ثمّ أحاط كتفَيّ بذراعه. لطالما كان ضعيفًا أمام دموع النساء. قال لي بنبرة لطيفة: "ويندي، ليس الأمر كذلك على الإطلاق. فأنا أثق بك، وأحبّك كثيرًا".

عندئذٍ، رفعت وجهي المبلّل بالدموع لأنظر إليه، وهمست: "وأنا أحبّك أيضًا".

غير أنّه أضاف: "لكن لا يمكنني الزواج بك من دون اتّفاقيّة زواج، أنا آسف".

قرأت الجدّية في عينيه البنّيتين. فقد أقنعه جو، وأصبح الآن في صفّه.

ألقيت نظرة سريعة على الأوراق الموضوعة على الطاولة أمامي. كانت رزمة سميكة، بحجم كتاب صغير. غير أنّ جو تكرّم بتظليل النقاط الأساسية، التي تفيد بوضوح لا لبس فيه

أنّني، في حال الطلاق، سأحصل على عشرة ملايين دولار. ومع أنّ هذا المبلغ لا يُقارَن بنصف ثروة دوغلاس، إلّا أنّه بالتأكيد مبلغ لا يُستهان به.

سيكفيني هذا التعويض لأعيش حياة كريمة إذا عاكستني الرياح.

ليس لأنّني أتوقّع أن ننفصل، بل أتوقّع أن أبقى مع دوغلاس حتى يفرّقنا الموت، وما إلى ذلك من تلك الترّهات الرومانسية. لكن، من يدري؟ فدوغلاس مشروع غير مُكتمِل، ولست واثقة بعد ممّا إذا كنت سأتمكّن من إكماله على النحو الذي أريده.

قلت أخيرًا: "حسنًا، سأوقّع".

الفصل التاسع والأربعون

الخطوة الثالثة: استمتعي بالحياة الزوجية... لبعض الوقت فحسب.

قبل عامين

"يا إلهي، هذا المكان جنونيّ".

كان دوغلاس مُتَرَدِّدًا في شراء هذا "البنتهاوس". فقد كان يفضّل أن نعيش في تلك الشقّة الصغيرة المؤلّفة من ثلاث غرف نوم لبقيّة حياتنا. حسنًا، صحيح أنّنا نملك منزلًا في الجزيرة، لكنّني غير متأكّدة كم من الوقت سأمضي هناك. أمّا دوغلاس، فقد أحبَّ المنزل الذي كان مُؤلَّفًا من خمس غرف نوم، ولم يكفّ عن الحديث بإفراط مزعج عن الأطفال الذين سنملأ بهم تلك الغرف.

أشرتُ قائلة: "هذا "البنتهاوس" ليس أكبر من ذاك الذي يملكه أورسون دينينغز".

هزّت سمسارتنا العقارية، تامي، رأسها بحماسة، وعلّقت قائلة: "هذا يُعدّ "بنتهاوس" متوسّط المستوى".

رمق دوغلاس السقوف الزجاجية بنظرة حائرة. "لا أفهم سبب احتياجنا إلى "بنتهاوس" أصلًا! فنحن نملك منزلًا مستقلًّا!"

لم أُدرِك كم أنّ زوجي بخيل إلّا عندما بدأنا نبحث عن شقّة جديدة. فكلّ ما يزيد على أربع غرف نوم كان -برأيه - "كبيرًا جدًّا". ولم يكفّ عن ذكر منزل الجزيرة، وكأنّه ثمة من يعيش طوال حياته في لونغ آيلاند. حبًّا بالله!

ذكّرني قائلًا: "كنتُ أحتفظ بالشقّة في حال احتجت إلى المكوث في المدينة لحضور الاجتماعات؛ لكنّها ليست المكان الذي سنعيش فيه، بل سنعيش في المنزل".

"ولماذا ينبغي لنا أن نعيش في مكان واحد فقط؟"

"لأنّنا لسنا مجنونَيْن؟"

تدخّلت تامي قائلة: "كثيرون من الناس يملكون مقرّ إقامة في الضواحي وآخر في المدينة".

ردّ دوغلاس: "لكنّنا نملك بالفعل مقرّ إقامة في المدينة!"

كان قد بدأ يفقد أعصابه. فقد نشأ دوغلاس مع أمّ عزباء في شقّة متواضعة في جزيرة ستاتن، والتحق بمدرسة حكومية في وسط المدينة مخصّصة للأطفال شديدي الذكاء، وموّل دراسته في معهد MIT بمنح دراسية، وأعمال بدوام جزئي، وقروض. وبما أنّه غير معتاد على الثراء، فهو لم يكن يعرف كيف ينفق المال.

كان عليه أن يتعلّم منّي. فأبي لم يمتلك يومًا سيّارة جديدة، فيما كانت أمي تقصّ قسائم الحسومات وتشتري بها حاجياتنا. ولم تُرمَ أيّ قطعة ملابس تمّ شراؤها لأختي الكبرى حتّى نكون نحن الثلاث الأخريات قد ارتديناها. فكنّا نستخدم كلّ قطعة حتى تبلى تمامًا.

غير أنّني كرهت العيش على هذا النحو. فكنت أستلقي في سريري ليلًا، وأتخيّل كيف ستكون حياتي لو أصبحتُ ثريّة يومًا ما. وبما أنّنا كذلك الآن، فلمَ لا نحقّق كلّ ما حلمنا به؟

بعد طفولة أمضيناها في الفقر، أصبحنا نملك المال، وسنتصرّف على هذا الأساس.

"دوغلاس"، مرّرتُ إصبعي على ذراعه متابعة: "أعلم أنّ الأمر يبدو مبالغًا فيه بعض الشيء، لكنّها شقّة أحلامي. لقد وقعتُ في حبّها بالفعل".

أضافت تامي: "وثمنها خُفِّض مُؤَخّرًا".

فتمتم دوغلاس، وإن بدا لي أنّ شيئًا من مقاومته قد تلاشى: "لأنّه ما من أحد قادر على شراء هذه الشقّة السخيفة".

رفقتُ بجفنيّ متوسّلة: "أرجوك، حبيبي. سيكون من الرائع امتلاك شقّة نبيت فيها عندما نحضر الأطفال إلى المدينة".

لم تكن هذه الحيلة تخيب إطلاقًا. فكلّما أردتُ شيئًا، لم يكن عليّ سوى التلميح إلى أطفال المستقبل الذين لا يزالون في علم الغيب. أراد دوغلاس أربعة أطفال، لكن لم يكن هو من سيتحمّل معاناة إنجابهم.

رقّت نظرته فجأة: "حسنًا، لمَ لا؟ سأعدّه نفقات ضريبيّة، أو شيئًا من هذا القبيل".

فهتفت تامي، التي فاض بها الكيل تمامًا: "بالضبط!"

اقتربتُ منه قائلة: "شكرًا لك يا حبيبي"، وعندما أحاطني بذراعيه، لم يسعني إلّا أن ألاحظ أنّه أصبح أكثر امتلاءً ممّا كان عليه في بداية تعارفنا؛ وهو الاتّجاه المعاكس تمامًا لما ينبغي أن يكون عليه. سيتعيّن عليه أن يبذل جهدًا أكبر على هذا الجانب، هذا من بين أمورٍ أُخرى. في الحقيقة، لا يزال دوغلاس مشروعًا قيد التطوير.

الفصل الخمسون

أحبّ تناول الغداء مع صديقتي أودري؛ ففي جعبتها دائمًا أكثر الأخبار تشويقًا.

في الواقع، لطالما حلمتُ بحياة كهذه؛ أن أكون حرّة في منتصف النهار لأتناول الغداء مع إحدى صديقاتي في أغلى مطاعم المدينة. أحيانًا، كنت أرغب في قرص نفسي لأتأكّد أنّني لا أحلم.

وفي أوقات أخرى، كنت أجد نفسي مع دوغلاس، الذي يستنزف كلّ ذرّة من طاقتي، بحيث أرغب أحيانًا في قرصه هو.

كانت أودري متزوّجة من رجل ثريّ، يكبرها بكثير، لكنّه ليس ثريًّا بقدر دوغلاس. ولا يمكنها إطلاقًا شراء "بنتهاوس" كذاك الذي نملكه.

بدت اليوم أنّها تتحرّق شوقًا لتروي قصّتها؛ إذ قالت لي وهي تمسح شفتيها المزيّنتين بأحمر شفاه بلون التوت: "خمّني ما حدث". كانت هذه العبارة دائمًا بدايةً لجلسة نميمة مُشوِّقَة. لا أعلم من أين تأتيها كلّ هذه الأخبار، وشخصيًّا من المستحيل أن أبوح لها بأي سرٍّ عن حياتي. "لقد تمّ طلاق جينجر هاول رسميًّا".

قلت: "آه، كانت تلك العلاقة مضطربة بالفعل".

كان كارتر - زوج جينجر - نقيض دوغلاس تمامًا. فهو رجل شديد التملّك، لا يدع جينجر تغيب عن نظره البتّة. وكلّما خرجت معنا، كان عليها أن تخبره عن وقت خروجها وعودتها بالضبط، وعمّا ستفعله. ولا بدّ أنّ الأمر كان مرهقًا لها، لكنْ ثمّة شيء جذّاب بنظري في طريقة سيطرته عليها. ثمّ إنّ كارتر وسيم للغاية، ويحافظ على لياقته؛ على عكس زوجي.

قالت أودري وهي تقضم ورقة خسّ: "لقد ساعدتها ميلي".

"ومن تكون ميلي؟"

نظرت إليّ أودري بدهشة، حتّى احمرّت وجنتاي. أهي شخصيّة مهمّة في دائرتنا الاجتماعية فاتَني أمرُها؟! غير أنّ أودري أوضحت قائلة: "إنّها عاملة تنظيف".

"حسنًا..."

ثمّ خفضت صوتها درجة؛ ممّا يعني أنّ الحديث سيصبح أكثر تشويقًا الآن: "لكنّها معروفة بمساعدتها النساء اللواتي يعانين من مصاعب مع أزواجهنّ، وإخراجهنّ من مأزقهنّ".

"مصاعب؟!"

بدأتُ أُعِدُّ في ذهني قائمةً بعادات دوغلاس السيّئة. فعندما يستخدم المرحاض، يستهلك نصف لفّة من المناديل. كما أنّه يأكل مباشرة من علب الطعام في الثلّاجة؛ مع أنّني طلبت إليه مرارًا ألّا يفعل ذلك. وعندما نذهب إلى مطعم فاخر، لا يكلّف نفسه عناء معرفة أيّ شوكة ينبغي له أن يستخدم، وفي أيّ وقت. وحتّى عندما أشرح له كيفيّة استخدام هذه الأدوات في بداية الوجبة، فإنّه يخطئ معظم الوقت؛ ممّا يدفعني إلى الظنّ أنّه لا يصغي إليّ حتّى.

اعتقدت أنّ بإمكاني تغيير دوغلاس، ومساعدته ليصبح شخصًا أفضل - كما فعلتُ أنا- لكن يبدو لي أنّه يزداد سوءًا مع الوقت.

قالت أودري مُوَضِّحة: "مصاعب خطيرة. فقد كان زوج جينجر يضربها، حتّى إنّه كسر ذراعها ذات مرّة".

شهقتُ مُتَعَجِّبَة؛ إذ لم يكن هذا نوعَ المصاعب التي أعاني منها؛ فمن المستحيل أن يمدّ دوغلاس يده عليّ. ولا بدّ أنّ الفكرة بحدّ ذاتها سترعبه. قلت: "هذا مروّع".

فهزّت رأسها بأسى وتابعت: "ميلي تلك لا تتردّد في تقديم المساعدة. فهي تخبر المرأة بما ينبغي لها قوله وفعله، وتربطها بالجهات المناسبة. فقد وجدت لجينجر محاميًا ممتازًا. وسمعتُ أنّها ساعدت بعض النساء على الاختفاء تمامًا عندما لم يكن أمامهنّ خيار آخر".

"أحقًّا؟"

فقالت وهي تقضم خسّة أخرى وتمسح شفتيها بمنديلها: "ليس هذا فحسب، بل سمعتُ أنّها - في بعض الحالات - عندما لا يكون ثمّة مفرّ، كانت... حسنًا، تتخلّص من الرجل".

وضعت يدي على فمي. "لا..."

"بلى!" بدت أودري مُسْتَمْتِعة بقصّتها. "إنّها جريئة للغاية، صدّقيني، لا بل خطيرة. إذا عرفَت أنّ رجلًا يؤذي امرأة، فإنّها تفعل أيّ شيء لإيقافه. فقد دخلت السجن لأنّها ضربت رجلًا كان يحاول اغتصاب صديقتها؛ قتلته".

"ربّاه..."

أخذت أودري لقمة أخيرة من سلطتها ثم دفعتها جانبًا، قبل أن تعلن قائلة: "أنا متخمة جدًّا". علمًا أنّها لم تأكل نصف الطبق حتّى، وكان مجرّد طبق سلطة. "ويندي، هل أنت متأكّدة أنّك لا تريدين أن تأكلي شيئًا؟"

أخذتُ رشفة من الشراب وأجبت: "لقد تناولت وجبة فطور كبيرة".

ضاقت عيناها وهي تنظر إليّ؛ ربّما لأنّها لاحظت أنّني لم أطلب طعامًا في المرّات الثلاث الأخيرة التي اجتمعنا فيها على الغداء، بل اكتفيت دائمًا بكأس من الشراب.

قالت: "أعتقد أنّك لم تُحرِزي تقدّمًا على صعيد الحمل".

ندمت لأنّني ذكرتُ لها قبل أشهر - بلا تفكير - عن حماسة دوغلاس لفكرة الإنجاب قريبًا. كما أخبرتها أنّنا نحاول منذ عام تقريبًا، ولكن من دون جدوى.

قلت: "ليس بعد".

"أعرف مختصًّا ممتازًا في مجال الخصوبة. فقد تطبّبت لورا على يديه، وانظري إليها الآن".

أنجبت صديقتنا لورا توأمَيْن مؤخّرًا، ولم يكفّا عن البكاء في آخر مرّة صادفتها فيها في الشارع. أجبت بانقباض: "لا بأس، نحن نفضّل الطريقة التقليدية".

فما كان منها إلّا ذكّرتني قائلة: "نعم، لكنّك لا تزدادين شبابًا. تِك تَك... الوقت يمضي يا ويندي".

"حسنًا، أعطيني اسم طبيب الخصوبة".

وسجّلت الرقم على هاتفي، مع أنّني لم أكن أنوي الاتّصال به. لكن، إن سألني دوغلاس عن الأمر، فيمكنني على الأقلّ التظاهر بأنّني لا أجلس مكتوفة اليدين.

الفصل الحادي والخمسون

الخطوة الرابعة: أدركي أنّكِ وزوجكِ لا تناسبان بعضكما بعضًا.

قبل عام

دخل دوغلاس غرفة الطعام في منزلنا في لونغ آيلاند، وتوقّف فجأة حين رأى المائدة المعدّة لشخصَين.

سألني: "أين باقي العشاء؟ أهو في المطبخ؟"

"كلّا".

كنت قد جلست إلى الطاولة بالفعل، ووضعت منديلًا على حجري. تابعت قائلة: "هذا هو عشاؤنا، فقد أعدّت لنا بلانكا السلطة".

رمق دوغلاس وعاء الخضار كمن قُدِّم له وعاء من السُّمّ. "أهذا كلّ شيء؟! أهذا عشاؤنا؟"

فتنهّدتُ وأنا أتذكّر كيف لاحظت ذقن دوغلاس المترهّل في بداية تعارفنا، وكيف عاهدتُ نفسي في تلك الليلة على أن أُساعده على تحسين مظهره. لكنّ ما حدث في الواقع أنّ وزنه ازداد بدلًا من أن ينقص، وكأنّه لا يُبالي أصلًا.

قلت مشيرة إلى محتويات الطبق: "إنّها مكوّنة من الخسّ والطماطم والخيار والجزر المبشور. فأكل السلطة كلّ يوم هو ما يمنعني من اكتساب الوزن، وعليك أن تجرّب ذلك".

قال: "ويندي، أنتِ أشبه بعود كبريت. إنّك تخافين من فكرة أكل أيّ شيء ما لم يكن ورقة خسّ أو عود كرفس".

تصلّب جسدي وأجبته: "أنا أحافظ على صحّتي فحسب".

فقال وهو يجلس عابسًا أمام السلطة: "لكنّني قلق عليك، فأنت لا تأكلين شيئًا. وقد أُغْمِي عليك بعد أن ركضت أمس".

"لم يُغْمَ عليّ!"

"بلى! بدوتِ شاحبة جدًّا، ثمّ جلستِ على الأريكة، ولم أتمكّن من إيقاظك. كنتُ على وشك طلب سيّارة إسعاف".

"كنتُ مرهقة فحسب؛ فقد ركضتُ مسافة طويلة". وأضفتُ مُبْتَسِمة: "لماذا لا تركض معي غدًا؟"

"ربّاه، لا أظن أنّني سأتمكّن من مجاراتكِ".

أملتُ رأسي متسائلة: "إذًا، من منّا يتمتّع بصحّة أفضل برأيك؟"

فعبث دوغلاس بشعره الداكن، ثمّ قال: "وماذا لو كانت نحافتكِ الشديدة هي السبب في تأخّر الحمل؟ فقد قرأتُ أنّ النحافة تؤثّر على الخصوبة".

تنهّدتُ بضيق: "يا إلهي! أما من موضوع آخر نتحدّث فيه؟ ألا يمكننا إجراء حديث واحد من دون أن تلومني على تأخّر الحمل؟"

همّ دوغلاس بإضافة شيء، لكنّه سرعان ما بدّل رأيه على ما يبدو، وقال أخيرًا: "آسف، أنتِ على حقّ".

نظر إلى طبق السلطة الموضوع أمامه، ثمّ كشّر متسائلًا: "ألا تحتوي على صلصة؟"

"بلى، صلصة خلّ خالية من الدهون".

"لكنّني لا أراها".

"إنّها شفّافة".

غرز شوكته في الخسّ الطازج ورفع بعضًا منه، ثمّ دفعه في فمه وبدأ يمضغ. "هل أنتِ متأكّدة أنّها تحتوي على صلصة؟ فأنا أشعر وكأنّني آكل عشبًا من حديقة منزلنا".

"قلتُ لبلانكا أن تضع قليلًا فحسب. فصحيح أنّها خالية من الدهون، لكنّها ليست خالية من السعرات الحرارية".

استمرّ دوغلاس في المضغ، وتحرّكت تفاحة آدم في عنقه وهو يبتلع اللقمة. بعدما أنهى الطبق، دفع كرسيّه إلى الخلف ونهض.

سألته: "إلى أين؟"

"إلى مطعم كي أف سي".

"ماذا؟" نهضت واقفة، وقلت: "اسمع يا دوغلاس، بإمكانك أن تنجح في ذلك، سأكون إلى جانبك".

"لِمَ لا تأتين معي؟"

"أنت تمزح بالتأكيد".

فذكّرني قائلًا: "عندما كنّا نتواعد، كنّا نتناول أحيانًا وجبات سريعة". في الواقع، كان هذا صحيحًا، وإن كنتُ أحاول نسيان هذه الذكريات المريعة. "هيّا تعالي، سنمرّ من أمام نافذة

الطلبات، وسيكون الأمر ممتعًا. فقد سمعتُ أنّ لديهم شطيرة خبزُها مصنوع من الدجاج المقلي. ألا ترغبين في تجربتها، أو على الأقلّ رؤيتها؟"

هززت رأسي رافضة، فقد كان من المفترض أن تنتهي أيّام الوجبات السريعة حين تزوّجتُ مليونيرًا في مجال التكنولوجيا.

ألقى عليّ دوغلاس نظرة حزينة، لكنّه لم يتراجع، بل خرج من المنزل، ثم ركب سيّارته، وانطلق ليشتري على الأرجح تلك الشطيرة ذات الخبز المصنوع من الدجاج المقلي.

عندئذٍ، أدركت أنّني لم أعد قادرة على أن أكون وفيّة لزوجي؛ لأنّني لم أعد أحترمه.

الفصل الثاني والخمسون

لمواجهة انهيار زواجي، قرّرتُ اللجوء إلى العلاج بالتسوّق. فتحديدًا، كنّا بحاجة إلى أثاث جديد.

انتظرتُ حتى عُدت إلى المدينة؛ فمن غير الممكن العثور على شيء لائق في الجزيرة. إذ كان دوغلاس قد رتّب - من دون علمي - نقل معظم أثاث شقّته القديمة إلى "البنتهاوس"، وكلّه أثاث قبيح. فهو يشبه ذلك النوع من المفروشات التي يتمّ شراؤها في الحسومات، حتّى إنّني لا أطيق النظر إليه.

حاولتُ أن أشرح لدوغلاس أنّ أثاث المنزل يجب أن يكون مُتناغِمًا، وأنّ القطع الكلاسيكية القديمة تنسجم ليس في ما بينها فحسب، بل مع ديكور المبنى القوطي الذي نعيش فيه. غير أنّ دوغلاس اكتفى بالنظر إليّ بذهول؛ لأنّني لم أكن أكلّمه بلغة جافا سكريبت، أو كلينغون، أو أيّ لغة أخرى يفهمها. في النهاية، أومأ برأسه، وسمح لي أن أشتري ما يحلو لي.

كنتُ في طريقي لشراء بعض التحف الجميلة لتزيين شقّتنا، حين كدت أصطدم بماريبث سايموندز في بهو المبنى.

تعمل ماريبث موظّفة استقبال في شركة دوغلاس. وقد سبق لي أن قابلتُها بضع مرّات، وكانت ودودة نوعًا ما. كانت امرأة في أوائل الأربعينيّات من عمرها، ذات ملامح باهتة، وقد بدأ الشيب يغزو شعرها الأشقر. وكانت تحبّ ارتداء تلك التنانير الرديئة التي يبلغ طولها الحدّ المثالي لجعل ساقيها تبدوان أعرض ما يمكن. حين رأيتُها للمرّة الأولى، أدركتُ على الفور أنّها لا تُشكّل أيّ تهديد على صعيد إخلاص زوجي لي، ولم أشغل بالي بها.

هتفَت قائلة: "ويندي! يسرّني لقاؤك".

كانت تمسك مُغلَّفًا بنيًّا، يحتوي على الأغلب على وثائق مملّة موجّهة إلى دوغلاس. فهي تُضطرّ إلى إحضارها له لأنّها نادرًا ما تراه في المكتب؛ إذ يفضّل زوجي العمل في أحد المقاهي المنتشرة في المدينة، أو في منزلنا في لونغ آيلاند.

سألتني: "هل دوغ في المنزل؟"

"لا، مع الأسف". ونظرتُ إلى ساعتي مُضيفَة: "ولا وقت لديّ لأستلم أوراقًا بالنيابة عنه. اتركيها عند موظّف الاستقبال".

فتلاشى بريق ابتسامتها قليلًا، ولكنّها أومأت برأسها موافقة. كان دوغلاس يحبّها لأنّها امرأة طيّبة، ما يعني برأيي أنّها بلا شخصيّة.

قالت: "بالتأكيد يا ويندي. إلى أين أنتِ ذاهبة؟"

تفاجأتُ قليلًا لرفعها الكلفة في الكلام، لكنّني تذكّرتُ أنّني حين كنت فقيرة، كنتُ مهووسة بحياة الأثرياء اليومية، وكنت معتادة على قراءة مقالات عن أشخاص مثلي اليوم.

"أنا ذاهبة لشراء بعض الأثاث".

فقالت وقد تألّقت عيناها: "أثاث؟ في الواقع، زوجي راسل يدير متجر أثاث. صحيح أنّه متجر صغير، لكنّ معروضاته رائعة، وسيمنحكِ سعرًا مميزًا". ثمّ راحت تعبث في حقيبتها، وكادت تُسقط المغلّف البنّي، قبل أن تُخرِج بطاقة بيضاء مستطيلة عليها لطخة صغيرة من أحمر الشفاه. "هذه بطاقته. قولي له فحسب إنّني من أرسلتك".

أخذتُ البطاقة بطرفَي السبابة والإبهام، مُتردِّدة في لمسها بعد أن كانت في حقيبة ماريبث الغامضة. "حسنًا، ربّما".

فابتسمت لي بإشراق وقالت: "أسعدتني رؤيتك يا ويندي".

وبدأت تسير باتّجاه موظّف الاستقبال، لكنّني ناديتها قبل أن تبتعد.

"ماريبث".

استدارت، والابتسامة الودودة لم تفارق وجهها: "نعم؟"

فقلتُ لها: "أفضّل أن تُناديني سيّدة غاريك. فنحن لسنا صديقتين في النهاية، أنا زوجة مديرك".

جاهدت للحفاظ على ابتسامتها وقالت: "كما تشائين. أنا آسفة، سيّدة غاريك".

عندئذٍ، تساءلتُ عمّا إذا كان سلوكي معها قاسيًا، لكنّني لم أتزوّج أحد أغنى رجال المدينة لأُنادى ويندي من قِبل موظّفة لديه.

الفصل الثالث والخمسون

لكي أثبت أنّني لست أسوأ امرأة على وجه الأرض، قرّرت شراء قطعة أثاث أو اثنتين من متجر راسل سايموندز؛ فلا بأس إن منحناهما جزءًا صغيرًا من أموالنا. وإن كانت القطع رديئة فعلًا لدرجة لا تسمح بوضعها في منزلي - وهذا أغلب الظنّ - فإمكاني التبرّع بها.

ليس من المستغرب أن يكون متجر الأثاث صغيرًا. وقد توقّعتُ رؤية أرائك ضخمة وغير متقنة الصنع، ولكن حين دخلت، وجدت نفسي أمام خزانة أدراج في غاية الجمال.

توقّفت قليلًا أتأمّلها. كانت خزانة من خشب السنديان المصقول والمطليّ بعناية، تعلوها مرآة فخمة ومزخرفة. مرّرتُ إصبعي على أحد الأدراج الثلاثة الّتي يحتوي كلّ منها على فتحة صغيرة خاصّة بمفتاح، والمعَشّقة بمهارة.

هذه بالضبط هي القطعة التي كنتُ أبحث عنها. أنا أحتاج إليها في منزلي.

"قطعة جميلة، أليست كذلك؟"

استدرتُ على الفور لأرى صاحب الصوت العميق. وللحظة قصيرة جدًّا، ظننت أنّني أنظر إلى زوجي. لكن لا، هذا الرجل ليس دوغلاس غاريك بالتأكيد. فهو يشبهه طولًا وبُنية - أو بالأحرى، البُنية التي كان دوغلاس سيحظى بها لو فكّر يومًا في ارتياد نادٍ رياضي - كما أنّ شعره بلون شعر دوغلاس تقريبًا، لكنّه مقصوص بعناية. ومع أنّه يعمل في متجر أثاث، إلّا أنّه كان يرتدي قميصًا ناصع البياض، ويضع ربطة عنق مَعقودة بمهارة. في الواقع، بدا تمامًا مثل الرجل الذي كنتُ أحلم بأن يتحوّل إليه دوغلاس حين التقيته للمرّة الأولى في معرض الفنّ الحديث. إنّه نسخة مُطوَّرة من دوغلاس، فيما يُعدّ زوجي النسخة التجريبية فحسب.

قال لي: "إنّها قطعة قديمة، لكنّني قمتُ بترميمها بنفسي".

فرددتُ بإعجاب: "لقد قمتَ بعمل مذهل؛ أعجبَتني كثيرًا".

ارتعشت ركبتاي قليلًا حين ابتسم لي، قبل أن يقول: "لكنّ السعر ليس قابلًا للتفاوض".

"أنا لا أحبّ المساومة. فحين أرغب في شيء، أفعل المستحيل للحصول عليه".

ومض شيء من التسلية في عينيه لدى سماعه تعليقي، ثمّ قال وهو يمدّ يده نحوي: "أنا راسل". فصافحته، وسرَت قشعريرة خفيفة في ذراعي. "هذا متجري، وسيسرّني أن أبيعكِ هذه

الخزانة اليوم؛ فأنا واثق من أنّها ستبدو رائعة في بيتك".

راسل سايموندز؛ لا بدّ أنّه زوج ماريبث. كنتُ قد تخيّلت رجلًا ممتلئًا وأشيب الشعر، تتوسّط رأسه بقعة من الصلع، إلّا أنّني لم أتوقّع إطلاقًا رؤية رجل كهذا.

قلتُ له: "أنا ويندي غاريك. زوجتك ماريبث تعمل لدى زوجي، وقد اقترحَت عليّ زيارة المتجر".

لم تفارق الابتسامة المرحة شفتيه: "يسرّني أنّها فعلت".

في النهاية، اشتريتُ نصف المتجر تقريبًا. فكلّما تحدّث راسل عن قطعة أخرى من الأثاث العتيق المُرَمَّم، شعرت أنّني أحتاج إليها بكلّ بساطة. وحين سلّمتُه بطاقتي ذات الحدّ الائتماني العالي جدًّا، أخرج بطاقة عمل ناصعة البياض، ودوّن على ظهرها عشرة أرقام، ثمّ قال: "إن واجهتِ أيّ مشكلة في الأثاث، فما عليك سوى الاتصال بي".

دسست البطاقة في حقيبتي مجيبة: "سأتّصل بالتأكيد".

أثناء انشغاله بتسجيل مشترياتي، لم يسعني سوى التفكير في أنّ شيئًا آخر في هذا المتجر أثار إعجابي وأرغب في أخذه معي إلى البيت. وحين أرغب في شيء ما، فإنّني أفعل المستحيل للحصول عليه.

الفصل الرابع والخمسون

الخطوة الخامسة: حاولي إيجاد السعادة في مكان آخر.

قبل ستة أشهر

أعتقد أنّني واقعة في الحبّ.

لقد حاولت أن أحبّ دوغلاس، حاولت حقًّا. وكنت أعتقد أنّني سأعتاد عليه، وسأحبّه مع الوقت. كما ظننت أنه سيتغيّر؛ تمامًا كما تغيّرتُ عندما انتشلتُ نفسي من القاع. لكنّ دوغلاس لا يدرك كم يمكن أن يكون رائعًا لو اهتمّ بنفسه قليلًا، أو خضع لعمليّة تجميل بسيطة، أو أصلح تلك السنّ العوجاء. (بالله عليكم، أيّ مليونير يتجوّل بأسنان غير متناسقة هذه الأيّام؟)

لكنّ دوغلاس لا يبالي بأيّ من ذلك؛ لا يريد أن يكون الرجل الذي أحلم به، بل يريد سوى أن يكون على سجيّته فحسب.

أمّا راسل...

على الرغم من علاقتنا التي بدأت منذ ستّة أشهر، إلّا أنّني لا أكفّ عن التحديق إليه وأنا جالسة أمامه إلى الطاولة. إذ أتأمّل شعره الكثيف الداكن بلون الشوكولاتة، المَقصوص من الجانبين، والطويل من الأعلى بما فيه الكفاية ليتجعّد قليلًا، وحاجبيه الكثيفين. في الواقع، بإمكان راسل أن يفرض حضوره في أيّ غرفة بحاجبَيه فحسب، وهذه أبرز صفة أحبّها فيه. لكن لأكون منصفة، أنا أحبّ كلّ شيء فيه.

باستثناء حسابه المصرفي.

اقتربَت النادلة من طاولتنا، وعلت وجهها ابتسامة عريضة. ففي مطعم بهذا المستوى، طاقم الخدمة لطيف دائمًا. وكان دوغلاس يكره هذه الأماكن، بحجّة أنّ الاهتمام الزائد يزعجه.

سألتنا النادلة: "هل ترغبان في تحلية؟ لدينا كعكة شوكولاتة رائعة، خالية من الدقيق".

قال راسل: "لا، شكرًا".

وأومأتُ برأسي مُؤَيِّدة؛ فنحن لا نطلب الحلوى على الإطلاق. في الواقع، راسل مثلي، يعتني بنفسه جيّدًا. فهو يذهب إلى النادي الرياضي عدّة مرات في الأسبوع، وعضلات جسده

منحوتة، لا يعكّر كمال مظهره سوى بعض الترهّل البسيط الذي لا مفرّ منه في منتصف العمر. ومن المؤسف أنّ ماريبث لا تقدّر ذلك؛ فهي لا تُكلِّف نفسها حتّى عناء صبغ شعرها الأشقر، الذي سيُصبِح بعد بضع سنوات رماديًّا بالكامل.

مدّ راسل يديه من فوق الطاولة ليمسك بيديّ. وبما أنّنا في مكان عامّ وكلانا متزوّجان، فالأمر غير لائق على الإطلاق. لكنّنا في الأسابيع القليلة الأخيرة من علاقتنا العاصفة، بدأنا نرمي بالحذر عرض الحائط. فجزء منّي يكاد يرغب في أن يُكشَف أمرنا؛ لأنّني - وللمرّة الأولى في حياتي - أشعر بأنّني عاشقة. وإذا أراد دوغلاس أن يطلّقني، فسآخذ الملايين العشرة وأمضي في سبيلي.

همس راسل: "ليتني لم أكن مضطرًّا إلى العودة للعمل".

"ألا يمكنك أن تتأخّر قليلًا؟"

فتراقصَت ابتسامة على شفتيه. أنا أعشق شغفه؛ فدوغلاس لم يعد كذلك بعد وقت قصير من زواجنا. وحتّى قبل ذلك، لم يكن مُرضِيًا مثل راسل، ولم يكن يتمتّع بالقدر نفسه من الطاقة.

في البداية، كنّا نحجز غرفة فندق للقاءاتنا السرّية، ولكن في الفترة الأخيرة، لم يعد دوغلاس يزور "البنتهاوس" إلّا نادرًا، فصرت أصطحب راسل إلى هناك. في الواقع، ثمّة مدخل خلفيّ أعرف تمامًا أنّه بلا كاميرات. وهكذا، لا نضطرّ إلى مواجهة نظرات البوّاب الفضوليّة.

قال: "لا ينبغي لي فعل ذلك؛ فالمتجر مشغول هذه الأيام".

"أليس هذا دور البائعين؟"

عادةً، يعمل في المتجر بائع آخر إلى جانب راسل، وربّما أصبح بإمكانه توظيف بائع آخر الآن؛ بما أنّني عمليًّا أموّل المتجر بفضل كثرة مشترياتي. وللأمانة، أنا أعشق كلّ قطعة أثاث عتيقة اشتريتها من هناك. فراسل يتمتّع بذوق لا يُعلى عليه. ولو كان يملك المال، لعرف تمامًا كيف ينفقه. مكتبة سُر مَن قرأ

قال مقترحًا: "ما رأيك أن نلتقي الليلة؟"

"وماذا عن ماريبث؟"

فتقلّصت شفتاه في تعبير اشمئزاز مألوف يرتسم على وجهه دومًا حين نأتي على ذكر زوجته. وكان هذا أحد الأمور التي قرّبت بيننا؛ أي ازدراؤنا المشترك لشريكَي حياتنا.

أخيرًا، أجاب: "سأخبرها أنّني سأتأخّر في العمل مجدّدًا".

عادت النادلة بالإيصال، فناولتُها بطاقتي البلاتينية. فأنا التي تدفع دائمًا في هذه المطاعم الراقية؛ لأنّ راسل ليس ميسور الحال، وإن لم يعترف بذلك. لكنّ هذا لا يزعجني؛ فأنا لم أُغرَم به لأجل ماله، ولديّ ما يكفيني في الوقت الحالي.

همس راسل: "سأعدّ الثواني حتى أراك الليلة".

فضحكتُ بخفة: "راسل، ليس هنا. فثمّة أناس حولنا".

"لا أستطيع التحكّم بنفسي حين أكون قربك".

"راسل..."

قطع علينا لحظتنا صوت النادلة وهي تتنحنح، ثمّ قالت وهي تحمل بطاقتي البلاتينية بيدها: "أعتذر، لم تتمّ عملية الدفع؛ فقد تمّ رفض البطاقة".

فنظرتُ إلى الأعلى بسأم وقلت: "المشكلة في جهازكم بالتأكيد، أعيدي المحاولة".

"جرّبتها ثلاث مرّات".

عندئذٍ، تنهّدتُ بنفاد صبر. يا إلهي! العاملون في هذه المطاعم لطفاء عمومًا، ولكنّهم يفتقرون إلى الكفاءة بشدّة في بعض الأحيان. من الواضح أنّهم لا يكسبون رزقهم من خدمة الطاولات بلا سبب. فتّشتُ في حقيبتي، وسحبت بطاقة الفيزا قائلة: "جرّبي هذه".

لم تكد تمرّ لحظات، حتّى عادت النادلة ومعها البطاقة الثانية، وقالت: "لقد تمّ رفضها أيضًا". لم تكن لهجتها هذه المرّة لطيفة كما كانت وهي تقدّم لنا الطعام. كما أنّ الناس على الطاولة المجاورة بدؤوا يحدّقون إلينا.

لا أفهم ما يحدث! فأنا زوجة دوغلاس غاريك اللعين، وبطاقاتي لا سقف لها. لا بدّ أن تكون المشكلة من طرفهم، لكن لا يبدو أنّ ثمّة أشخاصًا آخرين يواجهون المشكلة نفسها.

عندها، تدخّل راسل قائلًا: "جرّبي بطاقتي". ثمّ أخرج بطاقته من محفظته وناولها إيّاها.

وعندما اندفعت النادلة لتجربة البطاقة الجديدة، ألقيت عليه نظرة اعتذار وهمست: "آسفة، لا أدري ما الخطب".

فقال: "لا بأس". مع أنّني أعلم أنّ هذا المطعم يتخطّى ميزانيّته. فهو ليس من نوع المطاعم التي نقصدها لو علمنا أنّه هو من سيدفع. لكن الآن، لم يعد بإمكاننا التراجع.

قُبِلت بطاقته من دون أيّ مشكلة. وهذا يعني أنّ ثمّة خطبًا مع بطاقاتي؛ فهل نواجه صعوبات مالية لا علم لي بها؟ إذ إنّ أشخاصًا مثلنا لا يغرقون في ديون بطاقات الائتمان. غير أنّني في الحقيقة لا أتابع تفاصيل الأمور المالية؛ فلديّ بطاقاتي التي أستخدمها من دون تفكير.

سأتحدّث إلى دوغلاس عن المسألة الليلة.

الفصل الخامس والخمسون

اتّصلت بدوغلاس عدّة مرّات، فلم يجب، كما أرسلت له عددًا كبيرًا من الرسائل النصّية، ولم يردّ على أيّ منها.

لا أعلم ما الخطب! فقد جرّبتُ بطاقاتي الائتمانية في متجر آخر، ولكنّها رُفِضت من جديد. إذًا، لم تكن المشكلة من المطعم.

اتّصلت بشركة البطاقات الائتمانية لأفهم السبب، وما قالوه صدمني؛ فقد أُلغِيَت بطاقاتي كلّها.

أخيرًا، قرّرت التوجّه إلى منزلنا في لونغ آيلاند لأتحدّث إلى دوغلاس. فعلى الرغم من "البنتهاوس" الجميل الذي نملكه في المدينة والمليء بالأثاث العتيق، إلّا أنّه يفضّل المنزل. إذ يقول إنّه يحبّ الهدوء. فهو ينام بشكل أفضل من دون ضجيج الأبواق وصفّارات الإنذار، ويحبّ الهواء النقي. لكنّ لونغ آيلاند مملّة إلى حدّ لا يُطاق، وما من شيء يمكن فعله هناك، وليس فيها حتّى مكان لائق للتسوّق.

حين وصلت إلى المنزل، وجدته خاليًا. وسرعان ما أدركت أنّني لم أزُره منذ أكثر من أسبوع؛ علمًا أنّ دوغلاس ينام هنا كلّ ليلة تقريبًا. يبدو أنّ المسافة بيني وبين زوجي ازدادت اتّساعًا في الآونة الأخيرة، ولم نعد نجتمع على وسادة واحدة إلّا مرّة واحدة في الشهر، ونحن نحاول الإنجاب.

على الأقلّ، كان المنزل نظيفًا. فعندما دَلفتُ من الباب، توقّعت أن أجد علب بيتزا قذرة وجوارب مُستعمَلَة مَرمِيَّة فوق الأريكة؛ لأنّ دوغلاس فوضويّ أحيانًا. غير أنّ غرفة المعيشة بدت... دافئة، حسب ما أظنّ. كان قد استبدل بالأريكة البيضاء التي اخترتُها أخرى زرقاء داكنة ذات وسائد بالية المظهر. جلستُ عليها بانتظاره، ووجدتُها مريحة فعلًا، مع أنّها قبيحة للغاية.

لم أسمع صوت باب المرأب وهو يُفتَح إلّا قرابة الساعة التاسعة، فجلستُ باستقامة على الأريكة، ثم قرّرت النهوض. فهذا النوع من الأحاديث ينبغي أن يخوضه المرء واقفًا، هذا مؤكّد.

بعد دقيقة، دخل دوغلاس من الباب الخلفي. بدا شعره أشعث أكثر من المعتاد، وعيناه محاطتَيْن بهالتَين سوداوين، كما كانت ربطة عنقه مُرْتَخِية. حين رآني في غرفة المعيشة، توقّف فجأة.

قلت من بين أسناني: "هل ألغيتَ بطاقاتي الائتمانية؟"

"كنت أتساءل عمّا قد يدفعك للمجيء إلى هنا".

أيظنّ أنّ الأمر مزحة؟! "كنت أحاول تناول الغداء، ورُفِضت بطاقتي، ولم تكن لديّ طريقة أخرى للدفع. هل تدرك ذلك؟"

فتقدّم دوغلاس إلى غرفة المعيشة وهو ينزع ربطة عنقه: "ماذا؟ ألم يكن راسل يحمل بطاقته الائتمانية؟"

فغرت فاهي من شدّة الصدمة: "أنا..."

قذف ربطة عنقه على الأريكة وقال: "لا أفهم سبب استغرابك. هل تظنّين أنّكِ تستطيعين التنقّل في أرجاء المدينة مع رجل آخر من دون أن أكتشف الأمر؟ هل تظنّين أنّكِ تستطيعين دفع أجرة غرفة فندق باستخدام بطاقتي من دون أن أعلم؟ هل أنا غبيّ إلى هذه الدرجة بنظرك؟"

فقلت مُتلعثِمة: "أنا... أنا آسفة". كان قلبي يخفق بقوّة، فأنا لم أسمع دوغلاس يتحدّث بهذه النبرة من قبل. ومع ذلك، شعرت بشيء من الارتياح. فقد سئمت من زواجي بدوغلاس غاريك، وأنا سعيدة لأنّنا نواجه الحقيقة أخيرًا. "لم أقصد أن يحدث ذلك".

قال بازدراء: "آه، أحقًّا؟ هل هذا أفضل ما لديك؟" ثمّ نظر إليّ باشمئزاز مُضيفًا: "ألم تجدي إلّا زوج ماريبث؟ كيف فعلتِ ذلك يا ويندي؟ فماريبث فرد من العائلة تقريبًا".

فرد من العائلة بالنسبة إليه ربّما، أمّا أنا، فلم أحبّ تلك المرأة يومًا، حتّى قبل أن أكون على علاقة مع زوجها. والآن، بعدما عرفت كم كانت شريكة فاشلة لراسل، بتّ أكرهها أكثر.

سألته: "هل عرفَت؟"

فهزّ رأسه نافيًا: "لم أستطِع إخبارها، سيحطّمها ذلك". ثمّ أطلق ضحكة ساخرة مُتابعًا: "وهل يهمّك أمرها أساسًا؟"

"زواجنا ليس مثاليًّا يا دوغلاس، وأنت تعرف ذلك مثلي تمامًا".

أطفأ تعليقي شيئًا من نار غضبه، فلانت نظرات عينَيه البنّيّتَين. في الواقع، دوغلاس في أعماقه رجل ضعيف قليلًا، وهذا ما جعلني أتزوّجه في المقام الأوّل؛ فقد كنت أعلم أنّه سيعطيني كلّ ما أريده.

قال: "أظنّ أنّنا بحاجة إلى استشاريّ زواج، وقد وجدت مُعالِجًا نفسيًّا حائِزًا على تقييم عالٍ. أعلم أنّني مشغول، ولكنّني سأخصّص وقتًا لذلك، من أجلنا".

تخيّلت نفسي جالسة في عيادة معالج نفسي مع دوغلاس، نتحدّث عن مشكلاتنا المتراكمة التي تُختَصر في حقيقة واحدة؛ وهي أنّنا نريد أشياء مختلفة تمامًا من هذه الحياة.

قلت: "لا أدري..."

فقال وهو يقترب منّي ويمسك بيدي: "ويندي..." تركتُه يمسكها قليلًا، وأنا أعلم أنّني سأسحبها بعد قليل. "لا أريد أن أتخلّى عنكِ، فأنتِ زوجتي. صحيح أنّنا نواجه بعض الصعوبات في هذا المجال، لكنّني ما زلت أرغب في أن تكوني أمّ أطفالي".

أدركت أنّ هذه هي اللحظة المناسبة لقول الحقيقة؛ فلا مهرب من نزع الضمادة دفعة واحدة، وإلّا فلن أتحرّر أبدًا من هذا الرجل. كما أنّه يستحقّ أن يعرف بعد كلّ هذا الوقت.

هكذا، استجمعت شجاعتي واعترفتُ قائلة: "في الحقيقة... أنا لا أستطيع الإنجاب".

في النهاية، كان هو من سحب يده أوّلًا، ثمّ سألني مصدومًا: "ماذا؟! ماذا تعنين؟"

قلت: "قبل سنوات، أُصبتُ بعدوى دمّرت قناتَي فالوب لديّ".

حدث ذلك عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري. فقد عانيت من ألم شديد في منطقة الحوض، وبعد الفحص، شرح لي الأطباء أنّ العدوى كانت بلا أعراض؛ حتّى انتشرت إلى قناتَي فالوب. كان الألم شديدًا لدرجة أنّني خضعت لجراحة بالمنظار لتنظيف بعض الندوب. وعندئذٍ، أخبروني أنّني لن أتمكّن من الحمل بشكل طبيعي. وقالوا إنّ ثمّة فرصة ضئيلة للحمل باستخدام تقنيّات التخصيب، ولكن حتّى هذه الطريقة تبقى غير مضمونة بسبب كثرة الندوب.

كان الأمر محبِطًا للغاية في ذلك الوقت. فمع أنّني نشأت فقيرة، إلا أنّني كنت أحلم بملء منزلي بالأطفال يومًا ما، كما فعل والداي.

عندما عرفت بذلك، بكيت أربعًا وعشرين ساعة مُتواصِلة. ولكن على مرّ السنين، اكتشفت أنّ ما حصل كان نعمة. فقد رأيت العديد من صديقاتي مقيّدات بالأولاد، ولاحظت أنّ أولادهنّ يستنفدون حساباتهنّ المصرفية؛ فأدركت أنّني محظوظة لكوني بلا الأطفال. في الواقع، كانت تلك العدوى أفضل ما حدث في حياتي.

كان دوغلاس يهزّ رأسه في حالة عدم تصديق. "لا أفهم. هل تقولين إنّك - طوال تلك الفترة - كنتِ تعرفين أنّكِ عاجزة عن الإنجاب؟"

"نعم، هذا صحيح".

فارتمى على الأريكة المريحة بنظرات شاردة، وقال: "لقد كنّا نحاول لسنوات، ولم تقولي شيئًا. لا أصدّق أنّكِ كذبتِ عليّ بهذه الطريقة".

لقد أغضبته، لكنّ هذا أفضل. فكما سبق وقلت، كان لا بد من نزع الضمادة مرّة واحدة. "أعلم أنّ هذا ليس ما أردتَ سماعه".

نظر إليّ بعينين دامعتين قليلًا. "حسنًا، وماذا عن التبنّي؟ أو..."

يا إلهي! آخر ما أريده هو العناية بأطفال غيري. "أنا لا أريد أطفالًا يا دوغلاس، لم أرغب فيهم قطّ. ما أريده هو التحرّر من هذا الزواج".

"لكن..." اهتزّ فكّه السفليّ. ما زال لديه ذلك الترهّل تحت ذقنه. فطوال مدّة زواجنا، لم أتمكّن من مساعدته في التخلّص منه. كنت أعتقد أنّ دوغلاس مشروع قيد التطوير، لكنّني لم أحرز أيّ تقدّم حقيقي. "أنا أحبّكِ يا ويندي، ألا تحبّينني؟"

"لم أعد أحبّك". كان ذلك أرحم من إخباره بأنّني لم أحبّه قطّ. "لا أريد أن أكون معك بعد اليوم. فأنا لا أحترمك، كما أنّنا نريد أشياء مختلفة. لذا من الأفضل أن نفترق".

عندما أحصل على الملايين العشرة، لن أقلق بشأن حركته السخيفة في إلغاء بطاقتي الائتمانية مجدّدًا، بل سأكون مستقلّة. وعندئذٍ، يمكن لراسل أن يترك زوجته لنفعل ما يحلو لنا.

نهض دوغلاس وقال: "حسنًا، إذا كنتِ تريدين التحرّر من هذا الزواج، فلن أمنعكِ. لكنّكِ لن تحصلي على قرش من مالي".

مع الأسف، الأمر ليس بيده. وإن كان يريد أن يعاقبني، فأنا أعرف حقوقي. "الاتفاقية تضمن لي عشرة ملايين دولار، ولن أطلب أكثر من ذلك".

"صحيح". اختفت تلك النظرة الشاردة من عينيه البنّيتين، وحلّت محلّها نظرة حادّة تركّزت على وجهي وهو يُضيف: "تحصلين على عشرة ملايين دولار إذا تمّ الطلاق. لكن بحسب الاتّفاقية، إذا توفّر لديّ دليل على خيانتكِ، فلن تنالي شيئًا".

تذكّرت تلك الوثيقة السميكة التي سلّمني إيّاها جو قبل الزواج. كنت قد فكّرت في إرسالها إلى محامٍ، ولكنّني قرأت بكلّ بوضوح البند الذي يفيد أنّني سأحصل على عشرة ملايين دولار في حال الطلاق، ولم أرغب في إضاعة آلاف الدولارات التي لا أملكها لاستشارة محامٍ.

"سيسرّني أن أريكِ البند الذي ينصّ على ذلك". وتراقصت ابتسامة على شفتيه. "إنّه في الصفحة 178. لا أعرف كيف فاتكِ".

شددتُ قبضتيَّ غضبًا وقلت: "لقد خدعني جو. لطالما كان مُصِرًّا على أن يثير شكوكك ضدّي".

"لا، الاتّفاقيّة كانت فكرتي، وكذلك البند المُتَعَلِّق بالخيانة". ثمّ فكّ الزرّ الأعلى من قميصه مُتابعًا: "طلبتُ إليه أن يتصرّف وكأنّها فكرته لكيلا تغضبي منّي. فقد أردتُك أن تثقي بي، مع أنّني لم أكن أثق بكِ".

حدّقتُ إلى زوجي، والغضب يعتمل بداخلي. "لا يمكنك أن تُدخِل بندًا كهذا من دون أن تخبرني به. هذا... هذا خداع".

فرفع حاجبيه قائلًا: "آه، أتعنين مثلما أخفيت عنّي أنّكِ لا تستطيعين الإنجاب؟"

انقبض صدري، وشعرت بصعوبة في التنفّس. لطالما ردّد دوغلاس أنّ جودة الهواء أفضل هنا، لكنّني لا أشعر بذلك. "حسنًا، لكن أتمنّى لكَ التوفيق في إثبات عدم إخلاصي لك".

مع أنّ ذلك سيؤلمني، لكنّني لن أتمكّن من رؤية راسل لفترة. إذ لا يمكنني أن أمنح دوغلاس أيّ فرصة لإثبات خيانتي.

غير أنّه قال وهو يرمقني بنظرة شرسة: "لا تقلقي، بحوزتي صور، وفيديوهات... كلّ ما يمكن أن يخطر ببالك".

شهقت مذهولة. "هل عيّنتَ مُحقِّقًا خاصًّا ليتجسّس عليّ؟"

فحدّق إليّ بغضب. "ما كان عليّ سوى تركيب بعض الكاميرات المَخفِيّة في شقّتنا. الأمر بهذه البساطة".

اللعنة! كان يجب أن نكون أكثر حذرًا. لو علمت...

قال دوغلاس مُفكِّرًا: "ربّما يمكنكِ العودة إلى وظيفتكِ القديمة. ماذا كنتِ تعملين؟ أعتقد أنّكِ كنتِ بائعة في مايسيز؟ يبدو عملًا ممتعًا".

أنا أكره هذا الرجل. لقد انتابني كثير من الأحاسيس المتضاربة تجاهه خلال السنوات الثلاث الماضية، لكن لم يسبق لي أن شعرت يومًا بهذا القدر من الكراهية تجاه أحد في حياتي. نعم، لم أكن صادقة معه تمامًا. لكن أن يتركني مفلسة؛ هذا سلوك ساديّ حقًّا.

قلتُ له: "إذًا لن أطلّقك. لن أوقّع الأوراق، ولن تتمكّن من إخراجي من حياتك".

فردّ ببرودة مُثيرة للجنون: "حسنًا، لكنّكِ لن تستعيدي بطاقاتكِ الائتمانية. فجميع الحسابات المصرفية باسمي، وسأمنعك من الوصول إليها".

لم أكن أعلم أنّ دوغلاس بهذه القوّة. لكن أفترض أنّه لا يمكن للمرء أن يصبح مديرًا تنفيذيًّا لشركة ضخمة من دون أن يمتلك بعض القسوة.

أضاف: "يمكنكِ البقاء في "البنتهاوس" في الوقت الحالي. لكن بعد بضعة أشهر، سأعرضه للبيع. في هذه الأثناء، قرّري ما تريدين فعله".

وما إن أنهى كلامه، حتّى استدار مغادرًا غرفة المعيشة. كانت ربطة عنقه لا تزال على الأريكة، وللحظة، أردت أن ألتقطها وألفّها حول عنقه، ثمّ أخنقه بها.

لم أفعل ذلك بالتأكيد، لكنّ الفكرة كانت جذّابة للغاية.

في الواقع، إذا طلّقني دوغلاس مع إثباته خيانتي، فلن أنال شيئًا. لكن إن مات، فإنّني - بحسب وصيته - سأرث كلّ شيء.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السادس والخمسون

الخطوة السادسة: اعرفي كيف تحوّلين زوجك إلى رجل يستحقّ الموت.

قبل أربعة أشهر

قلت لراسل: "دوغلاس يهدّدني بأنّه سيعرض "البنتهاوس" للبيع قريبًا، ولا أعرف ماذا سأفعل."

كنّا مُستلقِيَيْن في السرير الضخم في غرفة النوم الرئيسة. في البداية، خِفت من العودة إلى هنا بعد أن اكتشفت أمر الكاميرات التي ثبّتها دوغلاس، ولذلك استعنت بخبير ليعثر عليها كلّها ويعطّلها. إذ لم تكن مُغادرة هذه الشقّة خيارًا مَطروحًا، فهي ملكي بقدر ما هي ملكه. في الواقع، أنا من اخترت هذا السرير، مع أنّ عدد المرّات التي نام فيها دوغلاس عليه لا يتخطّى عدد أصابع يدي على الأرجح؛ فهو لم يحبّ هذه الشقّة يومًا. أمّا راسل، فهو مغرم بها، على عكسه تمامًا، وتعجبه بقدر ما تعجبني.

لكن حتّى لو حصلت على الملايين العشرة، فلن أتمكّن من البقاء هنا. وبدون هذا المال، الفكرة برمّتها مجرّد حلمٍ.

قال راسل: "لن يفعل ذلك. لأنّه إن باع الشقّة، فستضطرّين إلى العيش معه، وهو لا يريد ذلك."

أردت أن أرفع يديّ يأسًا، غير أنّني اكتفيت بالقول: "ومن يدري ما الذي يريده؟ إنّه يحاول معاقبتي."

فالكذبة التي اختلقتها حول محاولتي الإنجاب كانت القشّة التي قصمت ظهره. ويريدني الآن أن أدفع ثمن خطاياي. "لكن ماذا يمكنني أن أفعل؟"

قال: "بإمكانك أن تطلّقيه على أيّ حال وتأتي للعيش معي، فأنا سأترك ماريبث."

قلت بمرارة: "لكنّنا سنكون مُفلِسَيْن!"

فرمقني بنظرة مستاءة وقال: "لن نكون كذلك. لديّ متجري، ويمكنك أنتِ أيضًا أن تجدي عملًا. لن نكون مُفلسَين."

أشعر أحيانًا أنّني وراسل خُلقنا بعضنا لبعض، لكنّه في أحيانٍ أخرى يقول أشياء كهذه تجعلني أعيد النظر.

في الوقت الحالي، أنا أنتظر. فبمجرّد أن يتمّ الطلاق سينتهي كلّ شيء، ولن يعود لي أيّ حقّ في مال دوغلاس. لذلك، أعقد أصابعي كلّ يوم، وأتمنّى أن تصدمه حافلة وهو يعبر الشارع. فهذه الحوادث تقع يوميًّا في المدينة؛ لماذا لا تحدث لزوجي ولو لمرّة واحدة؟

قلت: "ليته يموت... فمع كمّية الأطعمة الدهنية التي يلتهمها، يُخيَّل إليك أنّه سيسقط ميتًا إثر نوبة قلبية."

"لكنّه لم يتجاوز الثانية والأربعين من عمره."

"نحن نسمع كلّ يوم عن رجال يموتون بالنوبات القلبية وهم في الأربعينيّات من عمرهم. ودوغلاس يتعاطى أدوية قلب، ممّا يعني أنّ الأمر وارد."

"التعويل على إصابة دوغلاس بنوبة قلبيّة لا يُعدّ خطّة مُستقبليّة مُحكَمة."

لا يبدو راسل مُستمتِعًا بالتخيّلات التي تدور في رأسي حول موت دوغلاس، على عكسي أنا. وهذا لأنّه لا يعرفه بقدري.

"حتمًا، ثمّة طريقة للخروج من هذه الاتّفاقية. فدوغلاس يتصرّف كساديّ حقير، ويجب أن يدفع ثمن معاملته السيّئة لي. لا بدّ من وجود وسيلة لمعاقبة الأزواج الذين يعاملون زوجاتهم بهذا الشكل. أوَليس قطع مواردي الماليّة وتهديدي بأخذ منزلي... نوعًا من الإساءة؟"

وبينما كنت ألفظ هذه الكلمات، استيقظَت فكرة كامنة في أعماق ذهني... قصّة روتها لي صديقتي أودري منذ وقت طويل، عن خادمة تدافع عن النساء اللواتي تُساء معاملتهنّ من قبل أزواجهنّ.

إنّها جريئة للغاية، صدّقيني، لا بل خطيرة. إذا عرفت أنّ رجلًا يؤذي امرأة، فإنّها تفعل أيّ شيء لإيقافه.

أغمضتُ عينيّ مُحاوِلةً تَذَكُّر اسم المرأة. وأخيرًا، تذكّرت:

ميلي.

دوغلاس ليس سيّئًا على غرار زوج جينجر، فهو لا يعنّفني جسديًّا، ولكنّه مع ذلك شرّير ومخادع. فالإساءة ليست جسدية بالضرورة؛ أوليس إخراجي من بيتي وتركي بلا فلس مُسيئًا بقدر كسر إحدى عظامي؟

هل ستوافق تلك المرأة على ذلك؟ لا أدري. ربما تحتاج إلى بعض الإقناع.

لكن... ماذا لو رأت رجلًا يعاملني بشكل فظيع، وصدّقت أنّه زوجي؟ بالتأكيد، لا يمكن أن يكون دوغلاس نفسه؛ لأنّه يتجنّبني بشكل مُتعمَّد. كما أنّه من المستحيل أن يعنّفني دوغلاس

جسديًّا، حتّى لو استفززته. لكنّ ميلي تلك لا تعرف من يكون زوجي. فقد قام دوغلاس بمسح أيّ صورة له على الإنترنت. وإذا رأت تلك المرأة رجلًا يضربني، فربّما ستجد نفسها مُجبَرة على مساعدتي. وإذا كانت تصرّفاته سيّئة بما فيه الكفاية، فقد لا أتمكّن حتّى من إيقافها.

ببطء، بدأت تتشكّل في ذهني خطّة.

الفصل السابع والخمسون

قبل بضعة أسابيع

حين نظرت إلى وجهي في المرآة، كدت أصرخ فزعًا.

إذ بدا وجهي أشبه بكابوس من الكدمات الأرجوانية، التي تتداخل مع أخرى باهتة تميل إلى الصُّفرة. ومجرّد النظر إليه يسبّب الألم. راقبني راسل وأنا أضع اللمسات الأخيرة على وجنتي، وبدا مُنبَهِرًا.

قال لي: "أنتِ ساحرة يا ويندي، فالأمر يبدو حقيقيًّا تمامًا".

في الواقع، أمضيت ساعات وأنا أتدرّب. شاهدت عدّة فيديوهات على يوتيوب، إلى أن أصبحت من خبراء العالم في ابتكار كدمات واقعية المظهر. والآن، أبدو كما لو أنّني تلقّيت ضربًا مُبرحًا بالفعل.

آمل أن تُقدِّر ميلي الجهد الذي بذلته للحصول على هذه التحفة الفنّية.

عمومًا، يبدو أنّ ميلي قد صدّقت تمثيليّتنا الصغيرة. وبخلاف ذلك، فهي طاهية ومدبّرة منزل ممتازة. حتّى إنّها نجحت في العثور على "بطّيخ الفأر" المفضّل لديّ. إنّه لمؤسف ما سيحدث لها.

لكنّنا لا نملك خيارًا آخر.

قلت وأنا أضع علبة مساحيق التّجميل جانبًا: "إنّه مثالي تقريبًا، لا ينقصه سوى شيء واحد".

فرفع راسل أحد حاجبيه. لقد أتقن دور دوغلاس منذ وصول ميلي. في الواقع، الأمر لا يُصدَّق، فعند الجمع بين مظهر راسل وشخصيّته من جهة، وثروة دوغلاس وسلطته من جهة أخرى، تحصلون على الرجل المثالي فعلًا.

قال: "أحقًّا؟ يبدو لي مُكتمِلًا".

نظرتُ إلى وجهي في المرآة مجدّدًا. لا يكفي أن يكون مثاليًّا، بل يجب أن يكون أفضل بعد. فإن راود ميلي الشكّ ولو للحظة عابرة بأنّها مجرّد مساحيق تجميل، فستنتهي اللعبة. يجب أن يكون التمثيل بلا ثغرات.

قلت: "عليك أن تلكمني".

ألقى راسل برأسه إلى الوراء وانفجر ضاحكًا: "بالتأكيد، يا لها من فكرة رائعة!"

"أنا جادّة، أريدك أن تشقّ شفتي؛ يجب أن يبدو الأمر حقيقيًّا".

فتلاشت ابتسامته تدريجيًّا حين أدرك أنّني جادّة في ما أقوله، وسألني: "ماذا؟"

"لا أريدها أن تشكّ في أنّ هذه مجرّد مساحيق تجميل، ولا يمكنني تزييف شفة مشقوقة بهذه المساحيق. لذا، عليك أن تلكمني".

عندئذٍ، نظر إليّ راسل وقد ارتسمت على وجهه ملامح الفزع، وتراجع خطوة إلى الوراء.

قال: "يستحيل أن ألكمك على وجهك".

"لا داعي لأن تشعر بالذنب؛ فأنا من أطلب إليك ذلك".

"لم أضرب امرأة في حياتي". شحب وجهه، بحيث تساءلت عمّا إذا كان يملك الشجاعة الكافية لتنفيذ خطّتنا كاملة. فأنا سأطلب إليه ما هو أسوأ بكثير من مجرّد لكمة على وجهي قبل أن تنتهي هذه اللعبة. "لن أضربك يا ويندي".

"عليك أن تفعل".

"لن أفعل. لا أستطيع".

شعرت بالإحباط حتّى كدت أصرخ. هل يظنّها مجرّد لعبة؟ ليس لديّ سوى مبلغ صغير من المال الذي ادّخرته في حسابي الخاصّ لليوم الأسود، بالإضافة إلى بعض المال الذي جنيته من بيع المجوهرات والملابس. لكنّني كنت أستخدمه لتغطية نفقات معيشتي ودفع راتب ميلي الذي كان في الواقع مرتفعًا للغاية. كما أنّني أنفقت جزءًا منه على شراء فستان ستشتبه الشرطة لاحقًا بأنّ دوغلاس أهداه لميلي، فضلًا عن سوار باهظ الثمن نُقِش عليه الحرفان الأوّلان من اسمها. وبالتأكيد، ملأتُ الخزانة بمستلزمات التنظيف التي ادّعيت أنّني اشتريتها بسبب حساسيّتي المفرطة، في حين أنّني اشتريتها في الحقيقة كي لا يرى البوّاب ميلي وهي تجرّ معها زجاجات منظّف الأرضيّات ومُلمّع الأثاث.

في جميع الأحوال، لن يدوم هذا المال طويلًا. لذا، أنا مضطرّة إلى إنهاء هذه التمثيلية قريبًا. عليه أن يلكمني.

بصقت في وجهه قائلة: "كم أنت مثير للشفقة! لا أصدّق أنّك ترفض أن تسديَني هذه الخدمة الصغيرة. أمامنا فرصة لنصبح ثريّيْن، وها أنت تدمّر كلّ شيء".

"ويندي..."

صرخت في وجهه: "لا عجب في أنّك في الأربعين من عمرك، ولم تستطِع أن تصبح أكثر من بائع أثاث. كم أنت مثير للشفقة!"

فقال راسل من بين أسنانه: "كفى، ويندي".

واشتدّت قبضته اليمنى؛ فهو شديد الحساسية بشأن مسيرته المهنية، وأنا أعلم ذلك. إذ لطالما حلم بأن يكون رجل أعمال ناجحًا، وإدارةُ متجر متعثّر لبيع الأثاث العتيق بعيدةٌ كلّ البعد عن ذلك الحلم. وكان باستطاعتي أن أساعده ليصبح أكثر من ذلك بكثير، كان بإمكاني تحويله إلى الرجل الذي يحلم بأن يكون عليه؛ الرجل الذي يستحقّ أن يكونه...

وما عليه سوى أن يلكمني.

واصلتُ قائلة: "يا لك من فاشل! ماذا ستفعل حين يغلق المتجر أبوابه؟ ستعمل في ماكدونالدز، وترشّ الملح على البطاطس المقلية؟"

"كفى! اخرسي!"

"أتريدني أن أخرس؟ إذًا اضربني!"

وقبل أن أفهم ما يجري، اجتاح الألم الجانب الأيسر من وجهي، فشهقتُ، وتراجعت إلى الوراء، وكدت أقع لو لم أُمسك بحامل المناشف. وللحظة، رأيتُ النجوم تتطاير أمام عينيّ.

أخرجتني صرخة راسل المذعورة من غيبوبتي العابرة: "ويندي! يا إلهي، أنا آسف جدًّا!"

كان يبدو على وشك أن ينهار باكيًا، لكنّ ألمه لا يُقارَن بالألم الذي شعرتُ به في وجهي. فقد ضربني بقوّة شديدة؛ مع أنّني لم أعتقد أنّه يملك الجرأة. وضعت يدي على وجهي، وسرعان ما أدركت أنّ الدم يسيل من أنفي.

شهق قائلًا: "أنتِ تنزفين".

وأسرع ليجلب لي بعض المناديل الورقية الّتي رُحتُ أضغط بها على أنفي قدر استطاعتي لأوقف النزيف. وبعد بضع دقائق، بدا أنّ النزيف قد توقّف، أو معظمه على الأقلّ.

نظرت إلى راسل، الذي سألني والقلق يعلو وجهه: "هل أنتِ بخير؟ أنا آسف".

كان الحمّام في حالة فوضى؛ فقد تناثر الدم على الأرض، وظهرت بصمة يد دامية على حافّة المغسلة التي تشبّثتُ بها خلال محاولاتي اليائسة لإيقاف النزيف.

يا إلهي! هذا ممتاز.

الفصل الثامن والخمسون

الخطوة ٧: اقتلي ذاك اللعين

ليلة مقتل دوغلاس

أصدرت عجلات المصعد صريرها المزعج؛ لقد عاد دوغلاس إلى المنزل.

لقد حان الوقت. تلك هي اللحظة التي عملنا من أجلها طوال الأشهر الماضية.

غادرت ميلي الشقّة قبل ساعة وهي ترتجف، وكانت مقتنعة تمامًا بأنّها قتلت زوجي. ستحقّق معها الشرطة، وستنهار وتعترف بما فعلَته. وقد زرعتُ بعناية ما يكفي من الأدلّة لإقناعهم بأنّها أقدمت على ذلك بدافع علاقة غرامية مع دوغلاس. أمّا أنا، فلا ينبغي لي التورّط.

لم يتبقَّ الآن سوى قطعة واحدة لتكتمل هذه الأحجية؛ علينا أن نقتل دوغلاس فعلًا هذه المرة.

كان راسل ينتظر في المطبخ؛ مُمسِكًا بالمسدّس نفسه الذي استخدمَته ميلي قبل قليل لإطلاق رصاصة فارغة عليه. ولكن هذه المرّة، السلاح محشوّ برصاص حقيقي. إنّه جاهز.

انفتح المصعد، وتقدّمتُ إلى الردهة لاستقبال زوجي للمرّة الأخيرة. غير أنّني توقّفت فجأة، وقد استغربت مظهره. فقد خسر كثيرًا من وزنه منذ آخر مرّة رأيته فيها، وكانت عيناه مُحاطتَين بظلال بنفسجية داكنة. كما بدا أنّه لم يحلق لحيته منذ يومَين على الأقلّ.

قلت من دون تفكير: "تبدو بحالة مريعة".

فنظر إليّ بحدّة وردّ قائلًا: "سررت برؤيتك أنا أيضًا يا ويندي".

"أعني..." أزحت خصلة شعر عن وجهي، وكنت قد أزلت بعناية كلّ آثار مستحضرات التّجميل والكدمات الزائفة بعد رحيل ميلي. "أعني، تبدو... مُتعَبًا".

أطلق تنهيدة طويلة مُنهَكة، ثمّ قال: "كنت أعمل ليل نهار على التحديث الجديد للبرنامج عندما اتّصلتِ بي فجأة، وتوسّلت إليّ للمجيء إلى هنا في منتصف الليل".

"هل أحضرتها معك؟"

فرفع الحقيبة الجلدية البالية التي يحملها دائمًا وقال: "أوراق الطلاق هنا. آمل أن تكوني مستعدّة للتوقيع".

ليس تمامًا، لكن لا داعي لأن يعرف ذلك.

رافقته إلى غرفة المعيشة. كان جسدي مُتشنِّجًا وأنا أترقّب خروج راسل من المطبخ ليطلق النار على دوغلاس مباشرة في صدره.

كان من المُفترَض أن يفعل ذلك منذ لحظة دخولنا الغرفة. كان من المُفترَض أن يفعل ذلك... الآن.

تبًّا.

تمكّن دوغلاس من الوصول إلى الأريكة من دون أن يُقتَل على يد عشيقي، فشعرت بخيبة أمل عميقة. جلس على الأريكة، ووضع الحقيبة على طاولة القهوة، ثمّ تمتم قائلًا: "دعينا ننهِ هذه المسألة".

لا، ليس بعد؛ فأنا لم أجلبه إلى هنا لتوقيع أوراق الطلاق. هذا عكس ما أردته تمامًا. غير أنّ راسل لم يخرج. لم أرَه، ولم أسمع صوته. تُرى، ما الذي يجري؟

سألته: "هل أحضِر لك شيئًا تشربه؟" بدا على وشك الرفض، فسارعت للقول: "سأحضِر لك بعض الماء".

وقبل أن يعترض، اندفعت إلى المطبخ، تاركة إيّاه على الأريكة وبجانبه أوراق الطلاق. كنت في قمّة الغضب. فحتّى الآن، سار كلّ شيء بحسب الخطّة التي وضعتُها. ولم يتبقَّ سوى أمر واحد فقط، أن يقتل راسل دوغلاس.

لكن ما إن دخلتُ المطبخ حتى وجدت راسل مُتقوقِعًا في إحدى الزوايا. كان المسدّس موضوعًا على الطاولة، بينما بدا وكأنّه يتعرّض لنوبة هلع؛ فقد تشبّث بالطاولة بيديه المكسوّتين بالقفّازين الجلديين، وراح يتنفّس بسرعة مُفرطة، فيما بدا وجهه شاحبًا كورقة بيضاء.

همستُ بانفعال: "راسل! ماذا تنتظر بالله عليك؟"

في الواقع، كان صعب المراس الليلة. فحتّى قبل وصول ميلي، هدّد بالتراجع، وسرد لي قائمة لا تنتهي من التحفّظات. هل أنتِ مُتأكّدة أنّ إطلاق النار برصاصة فارغة آمن؟ أليس هذا ما حدث مع براندون لي؟ ماذا لو طعنَتْني بدلًا من أن تُطلِق النار؟

غير أنّني نجحت أخيرًا في إقناعه بتمثيل مشهد خنقه لي. وحين أطلقَت عليه ميلي الرصاصة الفارغة ولم يمت، ظننتُ أنّنا تجاوزنا الأمر؛ فالجزء الأصعب قد مضى. لكن يبدو الآن أنّه يعاني من صعوبة في التنفّس.

قال بصوت مخنوق: "لا أستطيع". كان جبينه يتصبّب عرقًا، وحاجباه الكثيفان معقودَين في وسط جبهته. "لا أستطيع إطلاق النار عليه يا ويندي. أرجوكِ، لا تجبريني على ذلك".

أيمازحني؟ لقد أمضينا أشهرًا في التخطيط لكلّ هذا معًا. كنّا حذرَين إلى أقصى الحدود؛ ندخل دائمًا من الباب الخلفي، ونهيّئ لهذا اليوم بدقّة. كما لازمتُ الشقّة ولم أغادرها تقريبًا، لكيلا ألتقي ميلي صدفة. وكرّست كلّ طاقتي لجعل الأمر يبدو كما لو أنّ دوغلاس لا يزال يعيش هنا. حتّى إنّني اشتريت مجموعة من الملابس الرجّالية لتغسلها ميلي. (علمًا أنّني نسيتُ أن أفردها في اليوم الأوّل، فظنّت بلا شكّ أنّنا معتوهان يحرصان على طيّ الغسيل المتّسخ!)

لقد استنزفتُ وقتي وجهدي في تنفيذ هذه الخطّة، والآن، ها هو على وشك تدمير كلّ شيء.

قلت وأنا أصرّ أسناني: "كم أنتَ مثير للسخرية! ما خطبك؟ تلك كانت خطّتنا منذ البداية! فهذه هي الطريقة الوحيدة لنحصل على ما نريده".

همس بصوت مذعور: "أنا لا أريد شيئًا من هذا! لا أريد سوى أن أكون معك. وما زال بإمكاننا ذلك". ثمّ اقترب منّي، ومدّ يديه ليحيطني بذراعيه. "أصغي إليّ... نحن لسنا مضطرَّين إلى فعل ذلك. يمكننا المغادرة الآن؛ أنت تتركين دوغلاس، وأنا أترك ماريبث، ونبدأ من جديد. لا داعي لقتله".

أجبته: "لكنّنا سنكون مفلسَين"، وتملّصتُ من بين ذراعيه غاضبة. كنت أظنّ أنّ أحلامنا أنا وراسل مشتركة، ولكنّني لم أعد متأكّدة. فلو صحّ ذلك، لكان زوجي الآن جثّة هامدة نتيجة إصابته برصاصة في صدره. "هذه هي الطريقة الوحيدة، يا راسل".

"لا أريد ذلك"، وبدأ صوت بكائه يعلو. "لا أريد أن أقتله، ويندي. أرجوكِ، لا تجبريني. أرجوكِ".

يا إلهي!

لقد أطلت البقاء في المطبخ، ولا شكّ أنّ دوغلاس سيبدأ بالتساؤل عمّا يؤخّرني، وسيأتي ليتحقّق من الأمر، أو ربّما سيسمع صوت راسل المذعور. لا وقت لديّ لمواساة هذا الطفل الكبير، عليّ أن أحلّ المسألة بنفسي.

فانحنيتُ تحت الحوض، وأخذتُ زوجًا من القفّازات المطّاطية التي تستخدمها ميلي أثناء تنظيف المطبخ. أدخلت يديّ فيهما، ثمّ صببت لزوجي كوبًا أخيرًا من الماء. التقطتُ المسدس، وبعد شيء من التردّد، دسسته في جيب سترتي الصوفية. كان الجيب كبيرًا بما فيه الكفاية بحيث استقرّ فيه بسهولة. وحينئذٍ، تساءلت عمّا إذا كنت أعلم، حين ارتديت هذه السترة، أنّني سأضطرّ إلى فعل ذلك بنفسي؛ لأنّ راسل سيخذلني في اللحظة الحاسمة وسيجازف بكلّ شيء.

عندما عدتُ إلى غرفة المعيشة، كان دوغلاس جالسًا على الأريكة، يتصفّح كومة مستندات، تمثّل أوراق طلاقنا. في الواقع، ألحّ عليّ كثيرًا لتوقيعها، وكنت أرفض دائمًا. غير أنّني كنت أعلم أنّ موافقتي على التوقيع ستقنعه بالمجيء إلى هنا.

مددت يدي إلى جيبي، وتحسّستُ المسدّس. كان ثقيلًا، يشدّ القماش قليلًا. لا داعي للانتظار أكثر، فأنا أستطيع سحبه حالًا وإطلاق النار عليه. لكن لا، عليّ أن أفعل ذلك وهو يحدّق إليّ، لكي يبدو الأمر كما لو أنّ ميلي أطلقت عليه النار وجهًا لوجه.

كذلك، أردت رؤية وجهه وأنا أقتله؛ ليرى بعينَيه عاقبة العبث معي. فقد حاول أن يسلبني كلّ شيء ويتركني مُفلِسة، والآن، سينال الجزاء الذي يستحقّه.

وضعتُ كوب الماء على الطاولة بسرعة، قبل أن يلاحظ القفّازَين المطّاطيَّين، ثم دسست يديّ في جيبيّ. كانت ميلي هي التي وضّبت طاولة الطعام آخر مرّة، لذا، لا بدّ أن تكون بصماتها على الكوب. ممتاز!

تمتم دوغلاس وهو يبحث في حقيبته القديمة: "أظنّ أنّني أملك قلمًا في مكان ما هنا". وما لبث أن أخرج قلم حبر صغيرًا وقال: "ها هو."

قلت: "حسنًا إذًا". كانت أصابعي مُلتفّة حول المسدّس في جيبي. "فلنُنْهِ هذه المسألة، كما قلت."

مدّ دوغلاس يده بالأوراق، ثم توقّف فجأة، وارتخت كتفاه وهو يقول: "لا أريد أن يكون هذا مصيرنا، ويندي".

فعبست متسائلة: "ماذا تعني؟"

"أعني..." وألقى أوراق الطلاق على طاولة القهوة. "أنا أحبّكِ يا ويندي، ولا أريد الطلاق؛ لقد مرضت من كثرة التفكير فيه. لا يهمّني ما حدث في الماضي... أريد بداية جديدة، لنا نحن الاثنين فقط".

لمع بريقٌ من الأمل في عينيه، وأعترف أنّ الفكرة بدت جذّابة. فعلى الرغم من كلّ المخطّطات التي وضعناها أنا وراسل لهذه الليلة، ما من ضمانة بأنّنا سنفلت من العقاب على جريمة قتل. كانت خطّتي الأصليّة تقضي بأن أُمضي حياتي مع دوغلاس. ومع أنّني فشلت في تغييره ليكون كما أردت، إلّا أنّه ليس شخصًا بغيضًا تمامًا. والأهمّ من كلّ ذلك، سيكون بحوزتنا من المال ما لا يُحصى ولا يُعَدّ. وبإمكان المرء أن يكون سعيدًا مع أيّ شخص، إن كان لديه ما يكفي من المال.

قلت بتردّد: "ربّما..."

فارتسمت ابتسامة على شفتيْه، وخفّت الظلال البنفسجية تحت عينيه قليلًا، ثمّ قال: "سيسعدني ذلك جدًّا. أريد بداية جديدة تمامًا".

"بأيّ معنى؟"

"أوّلًا، أريد التخلّص من كلّ هذا." ونظر حوله إلى الشقّة الفسيحة مُتابِعًا: "فنحن لا نحتاج إلى هذا المكان الضخم، ولا حتّى إلى المنزل الهائل في لونغ آيلاند؛ إذا كنّا سنعيش وحدنا. فقد أفسد المال زواجنا؛ ونحن نملك أكثر من حاجتنا". وابتسم بخجل مُضيفًا: "لقد تحدّثت إلى جو عن تأسيس جمعية خيرية أتبرّع لها بمعظم أموالي. فما دمنا لن ننجب أطفالًا، بوسعنا أن نفعل الكثير بكلّ هذا المال؛ والله يعلم أنّنا لا نحتاج إليه. وربّما تكونين شريكتي في المؤسّسة، ما رأيك؟ يمكننا القيام بذلك معًا."

هل فقد عقله؟ كيف خطر بباله أنّني أريد شيئًا كهذا؟ "دوغلاس، أنا لا أريد ذلك. أريد أن نعود إلى ما كنّا عليه في السابق."

فتجهّم وجهه وأجاب: "لكنّك لم تكوني سعيدة في السابق، فقد خنتِني. كنّا منفصلَين تمامًا."

سألته بحدّة: "وهل تظنّ أنّ الفقر سيجعلنا سعيدَين؟"

"لا، لكن..." مرّر يديه فوق ركبتيه ببطء مُتابِعًا: "اسمعي، لن نكون فقيرَين، لكنّنا لن نكون من أصحاب الملايين بعد الآن، ولا أرى بأسًا في ذلك. فكما قلت، لا أعلم حتّى سبب احتياجنا إلى كلّ هذا المال. فأنا لا أريده!"

لهذا السبب تحديدًا، لا يمكننا أنا ودوغلاس أن نكون سعيدَين معًا. فهو لا يفهمني، ولا يعرف معنى أن يتعرّض المرء لسخرية الفتيات، وأن يسألنه عمّا إذا كان قد عثر على معطفه في حاوية القمامة. لا يعرف ما معنى أن يتعرّض والده لإصابة في ظهره ويصبح عاجزًا، لكنّ ما يتقاضاه لا يكفي حتّى لإبقاء المصابيح مضاءة؛ فتضطرّ العائلة من وقت إلى آخر لقضاء الليل في الظلام، على ضوء المصابيح اليدوية. ومع أنّ أخواتي كنّ يتظاهرن بأنّ الأمر مغامرة، لكنّه لم يكن كذلك. لم تكن مغامرة، بل فقرًا مدقعًا.

دوغلاس لا يفهم ذلك، ولن يفهمه أبدًا. أخيرًا، أصبحنا نملك المال الذي كنتُ أحلم به وأنا أكتب فروضي المدرسية على ضوء مصباح يدوي، لكنّه يريد التخلّي عنه كلّه! لقد أثار جنوني، حتّى إنّني رغبت في مدّ يديّ وخنقه؛ مثلما تظاهر راسل أنّه يفعل معي منذ قليل، ولكن من دون تمثيل هذه المرّة.

غير أنّني لا أحتاج إلى خنقه، فالمسدّس في جيبي.

هكذا أخرجتُ المسدس، وكانت يدي ثابتة على عكس ما توقّعتُ وأنا أوجّهه إلى صدر زوجي، فيما اتّسعت عيناه المحتقنتان دهشة. كان يعرف أنّ علاقتنا سيّئة، ولكنّه لم يدرك أنّ الأمور وصلت إلى هذا الحدّ.

قال بصوت مبحوح: "ويندي... ماذا تفعلين؟"

"أظن أنّك تعرف."

حدّق دوغلاس إلى فوهة المسدّس، وانكمش على نفسه خوفًا، ثمّ هزّ رأسه غير مصدّق. كنت أظنّ أنّه سيتوسّل من أجل حياته، لكنّه لم يفعل، بل بدا في نظراته استسلام غريب.

قال أخيرًا: "هل أحببتِني يومًا حقًّا؟"

الإجابة عن هذا السؤال ستحطّم قلبه. وعلى الرغم من كلّ شيء، لا أريد تحطيمه في لحظاته الأخيرة. لذا اكتفيتُ بالقول: "لا علاقة لذلك بالأمر."

لم يسبق لي أن أطلقت النار من قبل، لكن لطالما ظننتها مسألة بسيطة. كانت الخطّة أن يتولّى راسل هذه المهمّة، لكنّه كان لا يزال مُختبِئًا في المطبخ؛ لذا وقعت على عاتقي.

كان صوت الطلقة أعلى بكثير ممّا توقّعت؛ إذ سُمع دويٌّ صاعق تردّد صداه في أنحاء الغرفة، حتّى بعد أن انطلقت الرصاصة. ارتدّت قوّة الطلقة عبر ذراعيّ، وكتفيّ، ثم تراجع عنقي ورأسي إلى الخلف، لكنّ يديّ ظلّتا ثابتتَين.

أصابت الرصاصة صدر دوغلاس مباشرة. وكانت طلقة ناجحة؛ لا سيّما وأنّها المرّة الأولى. مرّت بضع ثوانٍ قبل أن يسلم الروح، نظر خلالها إلى الدم المُتدفِّق الذي بدأ يغمر قميصه الأبيض، وأدرك ما سيحدث. فجأة، شحب وجهه، وسقط على الأريكة.

كانت عيناه لا تزالان مَفتوحتَين قليلًا، وقد ارتفع البؤبؤان إلى الأعلى في محجرَيهما، ولم يعد صدره يعلو ويهبط.

همستُ: "أنا آسفة، آسفة حقًّا. ليتنا استطعنا إنجاح هذا الزواج."

كانت أذنايَ لا تزالان تَطنّان من صوت الطلقة عندما اندفع راسل خارج المطبخ. وضع يده على فمه، وتمنّيت في تلك اللحظة ألّا يتقيّأ على الأرض؛ فذلك سيعقّد الأمور كثيرًا عند وصول الشرطة.

قال لاهثًا: "لقد فعلتِها... لا أصدّق أنّك فعلتِها."

"فعلتُها، أجل".

نهضتُ عن الأريكة، وأفلتُّ المسدّس على طاولة القهوة، ثمّ نزعتُ القفّازين المطّاطيَّين مُضيفَة: "وإن كنتَ لا تريد أن تقضي بقيّة حياتك في السجن، فأنصحك بالرحيل فورًا."

قال راسل بعد أن استعاد أنفاسه: "أوتظنّين حقًّا أنّك قادرة على إلصاق كلّ هذا بميلي؟"

"راقبني فحسب."

الجزء الثالث

الفصل التاسع والخمسون

ميلي

رأسي لا يكفّ عن الدوران.

أطفأتُ التلفاز وأغمضتُ عينيّ قليلًا. لم يمضِ سوى يوم واحد منذ أن أطلقتُ النار على رجل وقتلته في شقّة في آبر ويست ساید، لكنّ ما رأيته للتوّ غيّر كلّ شيء. حاولت أن أتخيّل وجه دوغلاس غاريك. كان بإمكاني أن أرى بوضوح شعره المصفّف إلى الخلف، وعينَيه البنّيتَين الغائرتَين، ووجنتَيه البارزتَين.

لقد رأيته مرارًا خلال الأشهر القليلة الماضية. والرجل الذي ظهر في التقرير الإخباري على التلفاز لم يكن هو؛ على الأقلّ، لا أظنّ ذلك.

أخرجتُ هاتفي وفتحت مُتَصَفِّح الإنترنت. كنت قد أجريت بحثًا عن دوغلاس غاريك من قبل، وكانت النتائج تتحدّث دائمًا عن منصبه كمدير تنفيذي في شركة "كوينستوك"، لكن من دون أيّ صور. أمّا الآن، فقد امتلأت الشاشة بعشرات الروابط، ولم يكن عليّ سوى الضغط على أيّ منها لأرى الصورة الرسمية نفسها لدوغلاس غاريك.

رحتُ أتأمّل الصورة على شاشة هاتفي. هذا الرجل يشبه ذاك الذي عرفته، لكنّه ليس هو. فالرجل في الصورة أكثر وزنًا بما لا يقل عن عشرة أو خمسة عشر كيلوغرامًا من ذاك الذي التقيته، كما أنّ سنّه الأمامية اليسرى عوجاء، وملامحه عمومًا مختلفة قليلًا، بما في ذلك أنفه وشفتاه وذقنه المترهّل؛ علمًا أنّ بعض الناس يبدون مُختلِفين فعلًا في الصور مُقارنَة بالواقع. هل يحتمل أن تكون الصورة معدّلة رقميًّا؟

ربّما كان الشخص هو نفسه بالفعل. لا بدّ أن يكون، أليس كذلك؟ وإلّا، فإنّ أيًّا ممّا جرى لا يُعَدّ مَنطِقيًّا.

يا إلهي! أشعر أنّني أفقد عقلي.

ربما كنتُ أُجَنّ فعلًا. ربما كنتُ بالفعل على علاقة سرّية بدوغلاس غاريك. أعني أنّ ذلك المحقّق بدا وكأنّه يملك أدلّة كثيرة. وعلى ما يبدو، ويندي غاريك أكّدت ذلك.

غير أنّني لم أقضِ الليلة في ذلك الفندق مع دوغلاس (أو مع ذلك الرجل الذي ظننتُه دوغلاس)، ويمكنني إثبات ذلك؛ لأنّني عدت إلى المدينة بعدما أوصلت ويندي، ولديّ شاهد. إنزو أكاردي.

كنت مُتردِّدة في التواصل مع إنزو، لكن لم يعد لديّ خيار. فقد تخلّى عنّي بروك؛ ومع أنّ تصرّفه لم يفاجئني تمامًا، إلّا أنّه حطّم قلبي على الرغم من ذلك. فأنا لم أكن أجيد بناء علاقات حقيقية على مدى السنوات الأربع الماضية، خشية ما قد يفكّر فيه الناس حين يكتشفون ماضيّ. وكنت مُحِقّة؛ فقد اختفى بروك ما إن عَلِم بسجلّي الجنائي.

وها أنا الآن وحيدة؛ لا أحد يقف في صفّي، أو يصدّقني.

باستثناء إنزو؛ إنزو سيصدّقني.

وإن لم يفعل، فحينئذٍ سأكون في ورطة حقيقية.

وجدت اسمه في قائمة جهات الاتّصال، فتردّدت لثانية، ثمّ ضغطت عليه.

لم يكد الهاتف يرنّ، حتّى أجاب. وكدت أنفجر بالبكاء حين سمعت صوته المألوف: "ميلي؟"

أجبت بصوت مخنوق: "إنزو، أنا في ورطة كبيرة."

"نعم، كنت أشاهد الأخبار. لقد مات مديرك."

"حسنًا..." تنحنحتُ متابعة: "هل يمكنكَ المجيء؟"

"أمهليني خمس دقائق."

الفصل الستّون

بعد أربع دقائق فقط، فتحتُ الباب لإنزو.

قلت وأنا أُفسِح له المجال ليدخل شقّتي الصغيرة: "شكرًا لك، أنا... لم أعرف بمن أتّصل سواك."

فقال ساخرًا وهو يدخل: "ماذا عن بروكولي، ألم يعرض المساعدة؟"

أطرقتُ برأسي مُجيبَةً: "لا، فقد انفصلنا."

ارتسم الحزن على وجهه وقال: "أنا آسف. أعلم أنّ بروكولي كان يعجبكِ."

أحقًّا؟ كان يعجبني، نعم، لكن في الحقيقة، كنت أشعر بالنفور منه كلّما قال إنّه يحبّني. وهذا ليس ما ينبغي أن يشعر به المرء تجاه نصفه الآخر. كان بروك شبه مثاليّ، لكنّني لم أستطِع أن أقع في حبّه تمامًا، بل بدت لي العلاقة مؤقّتة دائمًا. أنا واثقة من أنّه سيُسعِد امرأة أخرى يومًا ما، لكنّني لن أكون تلك المرأة.

قلت أخيرًا: "أنا بخير؛ فهُمومي أكبر من ذلك الآن."

تبعني إنزو إلى الداخل، وجلسنا معًا على الأريكة القديمة. حين كنّا نعيش معًا، لم تكن أريكتنا أفضل بكثير من هذه، لكنّني اضطررت إلى ترك الشقّة حين توقّف عن دفع حصّته من الإيجار، ولم أجد وسيلة لنقل الأريكة، فتركتها خلفي. غير أنّني حاولت عدم التفكير في ذلك الآن؛ إذ لا جدوى من الغضب من إنزو في حين أنّه أتى لمساعدتي.

قلت له: "ما يصدر عن الشرطة جنونيّ. فقد أخبرَتهم ويندي أنّني كنتُ على علاقة سرّية مع دوغلاس - وذلك لا يُعقل - لكنّهم حرّفوا كلّ شيء ليبدو الأمر كما لو أنّني كنت أذهب إلى هناك لأقيم علاقة معه."

فأومأ إنزو ببطء. "قلتُ لكِ إنّهم خطرون."

"بل قلتَ لي إنّ دوغلاس غاريك خطر."

"الأمران سيّان."

"ليسا سيّين. في الواقع، بينما كنت أتابع الأخبار قبل قليل، أدركت أمرًا. فالرجل الذي وظّفني، والذي قال إنّه دوغلاس غاريك، ليس الرجلَ نفسه الذي ظهر في الأخبار، بل شخصًا مختلفًا تمامًا."

نظر إليّ إنزو وكأنّني فقدت صوابي.

"أعرف أنّ هذا يبدو جنونيًّا. فأنا أسمع الكلام الذي يخرج من فمي، و... كما قلت، أعرف أنّه يبدو غريبًا. لكنّ الرجل الذي كان في تلك الشقّة، ليس هو، أنا واثقة من ذلك."

كلّما فكّرت في الأمر، ازددت يقينًا من ذلك. لكنْ إن لم يكن ذاك دوغلاس... فمن يكون؟ وأين كان دوغلاس الحقيقي حين كان هذا الرجل يعيش في منزله؟

من يكون الرجل الذي قتلته؟

قال إنزو ببطء: "دعيني أخبركِ أمرًا. عندما عرفتُ عن آل غاريك، ذهبت لإجراء بعض الأبحاث عنهما. وهل تعرفين ما الّذي اكتشفته؟ ذاك "البنتهاوس" في مانهاتن ليس مقرّ إقامتهما الأساسي."

"ماذا؟"

"نعم، بالضبط. هذه الشقّة مجرّد مسكن إضافيّ. أمّا مكان إقامتهما الأساسي فهو منزل في لونغ آيلاند. حسنًا، يقولون إنّه منزل، لكنّه على الأرجح قصر."

الآن، بدأت الأمور تصبح أكثر منطقية؛ إذا كان دوغلاس الحقيقي يعيش في لونغ آيلاند، فمن السهل على شخصين آخرين أن يجعلا الأمر يبدو وكأنّ الزوجَيْن يعيشان في شقّة مانهاتن، من دون أن يعرف دوغلاس الحقيقي شيئًا.

قلت: "إذًا، هل تصدّقني؟"

نظر إليّ باستنكار: "بالتّأكيد!"

"لكن ثمّة أمر يجب أن تعرفه". مسحت يديَّ المُتَعرِّقتَين ببنطالي، وتابعت قائلة: "في الليلة التي قُتل فيها دوغلاس، رأيته... أو ظننت أنّني رأيته يحاول خنق ويندي. في الواقع، رأيت شخصًا يحاول خنقها في الشقّة، ولم يتوقّف، فأخذت مسدّسهما و... أطلقت النار، لأجبره على التوقّف."

أنا لست ميّالة إلى البكاء عادة، لكنّني شعرت بدموعي تفيض من جديد للمرّة الثانية في هذا اليوم. فمدّ إنزو يده نحوي، وبكيت على كتفه. ظلّ يحتضنني طويلًا، وتركني أُفرغ كلّ ما في صدري. وحين ابتعدت عنه أخيرًا، كانت على قميصه القطنيّ بقعة مُبلَّلة.

قلت: "آسفة، لقد أفسدت قميصك."

فلوّح بيده مُجيبًا: "هذا لا يهمّ."

أطرقتُ مجدّدًا. "لا أعرف ما ينبغي لي فعله. إذ تعتقد الشرطة أنّني قتلت دوغلاس غاريك، ومع أنّني لم أفعل، إلّا أنّني أطلقت النار على أحدهم في تلك الليلة، وثمّة شخص مات بسببي."

"هذا ليس مؤكّدًا."

"بل مؤكّد!"

"أنت تظنّين أنّك قتلت رجلًا، لكن بعد أن أطلقتِ النار، عدتِ إلى منزلك مباشرة. هل تأكّدتِ أنّه مات؟ هل تحقّقت من نفَسِه أو نبضه؟"

"أنا... قالت ويندي إنّ نبضه توقّف."

"وهل سنصدّق ويندي؟"

رفقت جفنيّ وأنا أنظر إليه: "كانت ثمّة دماء، إنزو."

"هل كانت دماءً فعلًا؟ فمن السهل تزوير الدم."

رحت أسترجع عابسةً أحداث الليلة الماضية. فقد جرى كلّ شيء بسرعة كبيرة. أطلقت النار، وسقط دوغلاس، ثمّ بدأ الدم يسيل تحته. لكنّني لم أتحقّق منه بنفسي؛ فأنا لست طبيبة شرعية. وبعد ذلك، أردتُ الهرب من مسرح الجريمة بأسرع ما يمكن.

هل يُعقل ألّا يكون أيٌّ من ذلك حقيقيًّا؟ وإن لم يكن كذلك...

شهقت: "لقد خدعَتني، خدعتني تمامًا."

لقد أشفقت عليها كلّ ذلك الوقت، وحاولتُ حمايتها. وفي تلك الأثناء، كانت تُخبِر كلّ من شاء أن يُصغِي إليها أنّني على علاقة سرّية بزوجها. ولا بدّ أنّ هذا سبب ابتسامة آمبر ديغرو الهازئة عندما أتت على ذكر دوغلاس غاريك حين صادفتها في الشارع. كما أنّني لم أعد أستغرب غمزات بوّاب المبنى! إذ لم يعرف أحد أنّني لم أكن ألتقي دوغلاس وحدي؛ لأنّه كان يدخل من الباب الخلفي، وهناك، ما من كاميرات أو بوّاب.

لا، ذاك الرجل لم يكن دوغلاس. فأنا لم أقابل دوغلاس غاريك قطّ، ولا أدري من يكون ذلك الرجل الآخر.

سألتُ إنزو: "أين يقع بيت ويندي؟ فأنا أحتاج إلى رؤيتها."

فهزّ رأسه مُجيبًا: "هل تظنّين أنّك تستطيعين الذهاب إليها؟ فبيتها محاط بمليون صحفي، وهي لن تكلّمك على أيّ حال. إن ذهبتِ، فلن تجني سوى المتاعب."

كنت أعلم أنّه على حق، لكنّني مع ذلك شعرت بغيظٍ لا يُحتمل. فبعد ما فعلته بي، أردت أن أنظر إلى عينيها وأسألها عن السبب. لكنّ إنزو مُحِقّ؛ لن أخرج من تلك المواجهة بنتيجة لصالحي.

قال إنزو وهو يفرك ذقنه: "بالنسبة إلى ذلك الرجل الذي انتحل شخصيّة دوغلاس غاريك، هل تملكين أيّ فكرة عن كيفية العثور عليه؟ فقد يكون الوصول إليه أسهل من الوصول إلى ويندي غاريك."

قلت وأنا أشدّ قبضتيَّ غيظًا: "كلّا، كلّ ما أعرفه هو أنّ اسمه ليس دوغلاس غاريك، ولا فكرة لديّ عن هويّته الحقيقية."

"هل تملكين صورة له؟"

"لا، لا أملك."

"فكّري يا ميلي، لا بدّ من وجود شيء، ربّما تفصيل مميّز فيه".

"لا، فهو مجرّد رجل في منتصف العمر، شكله عادي جدًّا."

"لا بدّ من وجود شيء..."

أغمضتُ عينيّ، محاولةً أن أستحضر في ذهني صورة الرجل الذي ادّعى أنّه دوغلاس غاريك. لم يكن فيه شيء مميّز على الإطلاق، وربّما لهذا السبب اختارته ويندي. كان يشبه دوغلاس غاريك الحقيقي إلى حدٍّ ما، لا أكثر.

لكنّ إنزو على حقّ. لا بدّ من وجود شيء...

قلت فجأة: "مهلًا، تذكّرت أمرًا!"

فرفع إنزو حاجبيه مُتسائِلًا: "ما هو؟"

"رأيته ذات مرّة يدخل مبنًى، وكانت برفقته امرأة أخرى، امرأة شقراء. ظننتها عشيقته آنذاك، وربّما كانت كذلك بالفعل. لكنّه... كان مبنًى سكنيًّا. إمّا أنّه يقطن هناك، أو أنّ المرأة هي التي تقطن في ذلك المبنى، أو..."

قال إنزو: "هذا جيّد. سنذهب إلى هناك، وإمّا أن نجده أو نجد تلك المرأة. وحينذاك، سنكتشف الحقيقة."

للمرّة الأولى منذ أن استجوبني المحقّق راميريز في مركز الشرطة، شعرت ببصيص من الأمل. ربّما ثمّة فرصة للخروج حرّة من هذا المأزق.

الفصل الحادي والستون

ساعدني إنزو في ترتيب شقّتي التي بدت وكأنّ إعصارًا ضربها بعد تفتيش الشرطة. ولحسن الحظّ، لم تكن مؤلّفة إلّا من غرفتين. لذا، على الرغم من الفوضى، إلّا أنّ الأمر لم يستغرق وقتًا طويلًا. غير أنّني كنت مُمتَنَّة أكثر لوجوده قربي، فمِن المُحبِط جدًّا أن أُضطرَّ إلى ترتيب المكان.

قلت لإنزو للمرّة المئة ونحن نعيد الملابس المبعثرة في أنحاء الغرفة إلى أدراج خزانتي: "شكرًا لك."

فأجابني: "لا مشكلة."

وبينما كنت ألقي قميصًا في سلّة الغسيل، لاحظت أنّ السلّة لم تعد مُمتلِئة كما كانت بالأمس. ففتّشت بين الملابس؛ ثمّة شيء ناقص.

لقد أخذوا الملابس التي كنت أرتديها الليلة الماضية.

رحت أعضّ ظفر إبهامي محاولةً أن أتذكّر القميص وبنطال الجينز اللّذين خلعتُهما قبل أن أرتمي في السرير. لم تكن عليهما أيّ دماء، أنا واثقة من ذلك.

لا بل شبه واثقة، على الأقلّ. لكن، ماذا لو وُجِدت جزيئات مجهرية فستُظهِرها التحاليل؟ هذا ممكن. علمًا أنّه - إن صحّت نظريّة إنزو - لم تكن ثمّة دماء على الإطلاق عندما كنت في "البنتهاوس"، لكنّني لست واثقة تمامًا.

كان إنزو مشغولًا بوضع الملابس في أحد الأدراج. ومع أنّني كنت مُمتَنّة لوجوده معي، إلّا أنّ جزءًا منّي تمنّى لو يرحل لأتمكّن من الانهيار براحتي.

تنحنحت قائلة: "إن كان عليك الذهاب، فلا بأس."

فقال وهو يرفع قطعة من الملابس الوردية عن الأرض: "لا، فهذا ممتع". وأضاف وهو يبتسم: "هذه جميلة، أهي جديدة؟"

فما كان منّي إلّا أن مددتُ يدي وخطفتها منه. على الأقلّ، هو بارع في تشتيت أفكاري. "لا أذكر."

ضحك قائلًا: "بتّ أفهم الآن سبب إعجاب بروكولي بك، مع ملابس كهذه."

نظرت إليه بحدّة. "إنزو..."

فخَفَض رأسه مُعتذِرًا: "آسف. كلّ ما في الأمر أنّني... لا أفهم."

كانت قد مرّت أكثر من ساعة ونحن نرتّب المكان من دون أن نأتي على ذكر بروك. لذا، لم أُفاجَأ عندما تحدّث عنه أخيرًا. فسألته: "وما الذي لا تفهمه؟"

"لا يبدو من الأشخاص الذين قد يثيرون إعجابك."

ارتميت على سريري، واضعةً الكنزة التي كنت أطويها في حجري: "في الواقع... كان شخصًا طيّبًا. أعني... كان لطيفًا. كما أنّه محامٍ ناجح، لا شيء يُعيبه."

جلس إنزو بجانبي على السرير وسألني: "ما دام رجلًا طيّبًا، فأين هو الآن؟"

لم تكن ملاحظته مجحفة، لكنّ إنزو لا يعرف القصّة كاملة. "لقد أخفيتُ عنه بعض الأمور عن ماضيّ، فشعر بخيبة أمل، وقال إنّه لم يعد يعرف من أكون. ومن الطبيعي أن يشعر بذلك."

التقت نظرات عينَي إنزو السوداوين بعينيّ وقال: "ما فعلتِه عندما كنتِ مراهقة لا يحدّد من أنتِ، فمن تكونين واضح جدًّا. وإن لم يستطِع أن يعرفك بعد كلّ الوقت الذي أمضاه معك، فهذا يعني أنّه لا يستحقّك، ومن الأفضل أن ينفصل عنك."

لم تكن علاقتي بإنزو مثالية يومًا، لكنّني لم أشكّ قطّ في أنّه يفهمني، لا بل كان يبدو لي أحيانًا أنّه يفهمني أكثر ممّا أفهم نفسي. وكنت أعلم أنّني إذا واجهت المتاعب يومًا ما، فسيفعل كلّ ما في وسعه ليساعدني.

قلت وأنا أعضّ على شفتي السفلى: "أعتقد أحيانًا... أنّنا لم نستطِع أن نتواصل حقًّا. وربّما كانت غلطتي؛ لأنّني أخفيت أمورًا عنه. على أيّ حال، لقد انتهى كلّ شيء."

"هل أنت متأكدة؟"

تذكّرت النظرة التي رمقني بها بروك عندما غادر غرفة الاستجواب، فأجبت: "نعم، متأكّدة."

"إذًا، لو عانقتكِ الآن، هل سيلكمني على أنفي؟"

"لا، لكن قد أفعل أنا."

فتراقصت ابتسامة على شفتيه: "مع ذلك، سأجازف."

مال نحوي، وشعرت أنّني كنت أنتظر هذه اللحظة منذ عامين تقريبًا. أخيرًا، فهمت السّبب الّذي جعلني مُتردِّدة في الانتقال للعيش مع بروك، وسبب إخفائي أسراري عنه. هذا لأنّني لم أشعر تجاهه بهذا الإحساس يومًا، ولا حتّى بشيء قريب من ذلك.

وكان إنزو مُحِقًّا، فأنا لم ألكمه على أنفه.

الفصل الثاني والستون

وقفنا ننتظر أمام المبنى الحجريّ البنّي منذ الساعة السادسة صباحًا.

كان من الصعب أن أجرّ نفسي من السرير في هذا الوقت المُبكر، خصوصًا بعد ليلة طويلة أمضيتها مع إنزو. وفي الليلة التي سبقَتها، نِمتُ بصعوبة. غير أنّ إنزو كان مُصمِّمًا على أن نكون هناك مع أول خيوط الفجر، لكيلا نفوّت خروج أو دخول أيّ شخص.

كنّا نرتدي ما يسميه إنزو ملابس تنكّر. فعندما لفظ الكلمة، تخيّلتُ نظارات سوداء ضخمة وشوارب مزيّفة، لكنّ الأمر اقتصر في الحقيقة على قبّعَتَي بيسبول ونظارتَين شمسيّتين. وضع إنزو قبّعة "يانكيز"، أمّا أنا فأعطاني واحدة كُتِب عليها "أنا أحبّ نيويورك". لكن بدل كلمة "أحبّ" كان ثمّة قلب أحمر كبير. فبدوت كسائحة بلهاء، وهذا مهين جدًّا لفتاة وُلِدت وترعرعت في بروكلين.

قال إنزو بثقة: "التنكّر كسائحَين هو الأفضل".

ربّما كان مُحِقًّا، لكنّ الأمر لم يُعجبني إطلاقًا. ومع ذلك، كنتُ مُستعِدّة لفعل أيّ شيء لكشف حقيقة ما يجري، قبل أن ينتهي بي الأمر خلف القضبان مجدّدًا.

لم يكن من الممكن الوقوف في مكان واحد طوال فترة الصباح. لذا، تنقّلنا قليلًا ونحن نراقب المدخل. وإن كان لهذا المبنى مدخل خلفيّ - كما في شقّة آل غاريك - فسيكون وقتنا قد ضاع عبثًا. غير أنّ الكثير من السكّان كانوا يدخلون ويخرجون؛ ممّا يعني أنّ المدخل الرئيس قد يكون المدخل الوحيد للمبنى.

أصبحت الساعة الثامنة صباحًا، وكانت ساعتان قد مضتا على وجودنا هنا، من دون أن يظهر أيّ أثر للرجل الغامض - إن كنت حقًّا لم أقتله؛ كما يظنّ إنزو - ولا للمرأة الشقراء. ومنذ عشر دقائق تقريبًا، أعلن إنزو أنّه يشعر بالجوع، ودخل فرع "دانكن دونتس" الواقع في الجهة المقابلة من الشارع، ثمّ خرج حاملًا كوبين من القهوة وكيسًا بنّيًّا.

قال: "تفضّلي."

أخذتُ القهوة بامتنان، وسألته: "وماذا في الكيس؟"

"كعك."

"أوه..." شعرتُ بالغثيان لمجرّد التفكير في الطعام؛ لا أعلم حتّى سبب سؤالي عن ذلك. "لا أريد."

"عليك أن تأكلي في وقت ما."

"ليس الآن". حدّقتُ من وراء نظّارتي الشمسية إلى المبنى البنّي، مُضيفَةً: "ليس قبل أن نجد ذلك الرجل."

في الواقع، كنتُ أخشى أن أشيح بنظري ولو للحظة؛ فقد أفوّته، ولا أجده بعد ذلك أبدًا. كما أنّني أخشى أن يتمّ إلقاء القبض عليّ اليوم. ومع أنّ إنزو سيحاول مساعدتي، إلّا أنّه لا يعرف شكل ذلك الرجل، بل أنا الوحيدة التي يمكنها التعرّف عليه.

قال إنزو: "إذًا، الليلة الماضية... كانت جيّدة، أليس كذلك؟"

أخذت رشفة طويلة من القهوة وأجبت: "لا أستطيع التركيز على أيّ شيء الآن، إنزو."

"آه". وخفض نظره إلى كوبه المليء بالقهوة قائلًا: "نعم، أعلم."

فقلت بهدوء: "لكن نعم، كانت جيّدة."

تراقصت ابتسامة صغيرة على شفتيه. "اشتقتُ إليك كثيرًا عندما رحلتُ يا ميلي، وأنا آسف على ذلك. لست نادمًا على عودتي إلى إيطاليا من أجل أمّي، لكنّني لم أشأ الاختيار بين أهمّ امرأتين في حياتي. أردتُكِ أن تنتظريني، لكنّني لم أستطِع أن أطلب إليك ذلك."

فأطرقتُ برأسي وقلت: "كان يجدر بي الانتظار."

همّ إنزو بإضافة شيء ما، لكنّني أمسكتُ بذراعه فجأة. "ها هي! ها هي المرأة!"

ضاقت عينا إنزو وهو يحدّق من وراء نظّارته عبر الشارع إلى المرأة الشقراء الخارجة من المبنى البنّي. كانت ترتدي تنّورة تصل إلى الركبة وسترة. "هل أنتِ أكيدة؟"

"أكيدة إلى حدّ كبير". فقد عرفت وجهها ولون شعرها، وإن كانت تسريحتها مختلفة. من الممكن ألّا تكون هي، لكنّني لم أرَ امرأة أخرى قريبة الشبه بها حتّى الآن. "ماذا سنفعل؟"

عدّلت المرأة حزام حقيبتها، ثم عبرت الشارع. وكنت على وشك أن أبدأ بتتبّعها، لكنّها دخلت فرع "دانكن دونتس" الذي خرج منه إنزو للتوّ. وبالنظر إلى طابور الزبائن، ستبقى هناك عشر دقائق على الأقلّ.

قال إنزو وهو يطقطق مفاصله: "سأذهب لأتحدّث إليها."

"أنت! وماذا ستقول لها؟"

"سأفكّر في شيء ما".

"هل تظنّ أنّك ستكلّمها في "دانكن دونتس" وستخبرك بكلّ شيء؟"

فوضع يده على صدره وقال: "نعم، فأنا رجل جذّاب!"

عندئذٍ، نظرت إلى الأعلى مُتَنَهِّدة، فما كان منه إلّا أن ضغط على ذراعي برفق وهو يناولني كيس الكعك وقال: "راقبيني يا ميلي، سأكتشف كلّ شيء."

الفصل الثالث والستّون

مكتبة
t.me/soramnqraa

استغرق إنزو وقتًا طويلًا في "دانكن دونتس".

كان قد طلب إليّ البقاء في الجهة المقابلة من الشارع، لكن بعد مرور عشر دقائق، بدأت أشعر بالتوتّر. تُرى، ما الذي يجري هناك؟

ليتني ذهبت معه؛ فأنا لا أظنّ أنّ وجودي كان سيُفسِد عليه الأمر حقًّا. حسنًا، ربّما بلى، لكنّ حياتي على المحكّ هنا، وأرغب في معرفة ما يجري على الأقلّ.

أخيرًا، عبرت الشارع باتّجاه "دانكن دونتس". كانت الواجهة زجاجية، تتيح استراق النظر إلى الداخل بسهولة. فحدّقت من خلال النوافذ، ولم أرَ شيئًا في البداية، ثمّ لمحتهما بعد برهة في الطرف الآخر من المحلّ، عند منطقة استلام الطلبات. كانا مُستغرِقَيْن في الحديث، وبدا من نظرات إنزو أنّ اهتمامه كان منصبًّا عليها بالكامل.

في تلك اللحظة، ساورني شيء من الشكّ. فلطالما وثقت بإنزو، لكنّني أخشى في بعض الأحيان ألّا يكون أهلًا للثقة حقًّا. ففي النهاية، غادر إيطاليا لأنّه ضرب شخصًا حتّى كاد يقتله. ومع أنّه كان يملك سببًا وجيهًا لذلك - على الأقلّ من وجهة نظره - لكنّ الواقع لا يتغيّر. بعد ذلك، سافر إلى الخارج مجدّدًا؛ زاعمًا أنّ الرجل الشرّير الذي كان يطارده "لقي حتفه" في ظروف غامضة، من دون أن يخبرني بالمزيد عن ذلك.

كما زعم أنّ أمّه كانت مريضة، وأنّها أُصيبت بجلطة دماغية. لكن في الواقع، لا دليل لديّ على صحّة ذلك سوى كلامه، ولم ألتقِ أمّه المريضة قطّ.

وعندما عاد إلى الولايات المتحدّة، لم يتّصل بي كأيّ شخص طبيعي، بل بدأ يتعقّبني طوال ثلاثة أشهر كاملة، بحجّة أنّه يحميني. وقد رويت له كلّ ما أعرفه عن آل غاريك، وهو ذكي بما فيه الكفاية ليُدرك أنّ ويندي كانت تخدعني، حتّى إن لم أرَ ذلك. فلماذا لم يقل شيئًا؟

يا إلهي! عمّ يتحدثان كلّ هذا الوقت؟

الآن وقد أصبحتُ أقرب إليهما، لاحظت أنّ عينَي المرأة الشقراء مُنتَفِخَتان؛ كما لو أنّها كانت تبكي. لكن سرعان ما ابتسمت لدى سماعها ما قاله إنزو، وانفرجت أساريرها قليلًا. بدا الأمر بريئًا إلى حدٍّ ما، لا أنكر. إذ يتمتّع إنزو بكاريزما ساحرة عندما يريد. ومع لكنته الإيطالية

وشكله الجذّاب، هو بارع جدًّا في التعامل مع النساء.

بعد عشر دقائق إضافية تقريبًا، خرج إنزو والمرأة من المحلّ، ثمّ لوّح لها قائلًا: "تشاو، بيلا!" فاحمرّ وجهها خجلًا.

رمقني بنظرة استياء عندما رآني واقفة أمام المحلّ وقال: "طلبت إليك البقاء في الجهة المقابلة من الشارع، أليس كذلك؟"

فشبكت ذراعيّ على صدري وأجبت: "لقد أطلتَ البقاء هناك."

"نعم، وعرفتُ كلّ شيء الآن"، ثمّ مال برأسه وهو يسأل: "هل تريدين أن أخبركِ؟"

نظرتُ إلى عينيه السوداوين وقلت في نفسي إنّ هذا الرجل لا يفعل الأمور دائمًا كما ينبغي. فهو مثلي تمامًا، ارتكب أخطاءً في حياته، لكنّها كانت دائمًا لأسباب نبيلة. فقد رأيته وهو يجازف بحياته لأجل نساء في خطر. وإن كان ثمّة شخص واحد في هذا العالم يمكنني الوثوق به، فهو إنزو؛ لم يكن يجدر بي أن أشكّ فيه إطلاقًا.

أجبته: "نعم، أخبرني."

فنظر إلى آخر الشارع، وكانت المرأة تدخل محطّة المترو، ثمّ قال: "تلك المرأة هي مساعدة دوغلاس غاريك، وزوجة الرجل الذي تبحثين عنه."

حدّقتُ إليه: "أحقًّا؟ هل أنت متأكّد؟"

"سنعرف حالًا"، ثمّ أخرج هاتفه من جيبه، وبدأ يكتب شيئًا، وبعد أن تصفّح الهاتف قليلًا، مدّه نحوي قائلًا: "أهذا هو؟"

كانت الصورة على الشاشة صورة شخصية من حسابٍ على موقع "لينكد إن"، وقد تعرّفتُ عليه فورًا. هذا هو الرجل الذي كان يخنق ويندي حتّى الموت ليلة البارحة، والرجل نفسه الذي أطلقتُ النار على صدره. فشهقتُ قائلة: "إنّه هو."

قرأتُ الاسم الموجود في الملف الشخصي: راسل سايموندز.

قال إنزو وهو يستعيد هاتفه من يدي: "حتّى صباح اليوم، كان لا يزال على قيد الحياة."

إنّه على قيد الحياة. هذا يعني أنّني لم أقتل أحدًا في النهاية. شعرتُ بفرحة عارمة، وإن تكن مشوبة ببعض القلق؛ لأنّ الشرطة ما زالت تعتقد أنّني فعلت.

"لكن هذا الصباح، غادر في... رحلة عمل، على حدّ قول زوجته. فوفق ما قالته، هذا الرجل شديد الانشغال، ويعمل دائمًا حتى وقت متأخّر."

ربّما كان هذا سببَ شجارهما ذلك اليوم في الشارع، أو ربّما لأنّها شكّت في أنّه على علاقة بامرأة أخرى.

ويندي.

سألته: "وماذا سنفعل الآن؟ هل سننتظر حتّى يعود من رحلته المزعومة؟"
"لا، بل سأبدأ حالًا بالبحث عن مزيد من المعلومات عن راسل سايموندز."
"وكيف؟"
"لديّ صديق."
بالتأكيد.

الفصل الرابع والستّون

انتهى بنا المطاف في شقّة إنزو.

كانت تبعد نحو عشرة مبانٍ فقط عن منزلي؛ وهو أمر منطقي إذا كان قد انتحل دور الحارس السرّي لي. شقّته أصغر حتّى من شقتي؛ فهي مجرّد استوديو بغرفة واحدة تؤدّي وظيفة المطبخ وغرفة النوم وغرفة الجلوس وغرفة الطعام معًا. لكن لحسن الحظّ، الحمّام منفصل. ولا مجال للمقارنة بينها وبين "بنتهاوس" آل غاريك الفاخر، أو حتى شقّة بروك ذات الغرفتين الفسيحتين.

عندما دخلنا، رمى إنزو مفاتيحه على طاولة صغيرة بجانب الباب، ثم توجّه إلى زاوية المطبخ الصغير، وفتح الصنبور ليغسل وجهه. تساءلت عمّا إذا كان يشعر بالتعب مثلي. فقد كنت أعاني من مزيج غريب من الإنهاك والتوتّر. صحيح أنّني لم أنم جيّدًا الليلة الماضية، لكنّ خوفي من أن تطرق الشرطة بابي في أيّ لحظة جعل نبضي يتسارع طوال الوقت.

قال لي: "اجلسي، هل ترغبين في كأس من الشراب؟"

نظرت إليه وقلت مُعترضَة: "لم تتجاوز الساعة الحادية عشرة صباحًا."

"لكنّه كان صباحًا طويلًا."

لا شكّ في ذلك.

رفضت الشراب، وجلست على أريكة أحضرها بلا شكّ من أحد الأرصفة؛ إذ كانت أسوأ حالًا من أريكتي. في الواقع، بدا معظم أثاثه وكأنّه كان مجرّد قمامة في الماضي القريب.

سألته: "ماذا تعمل هذه الأيام؟" فقد كانت يشغل وظيفة جيّدة قبل رحيله، لكنّني متأكّدة أنّهم لم يحتفظوا بها من أجله طوال تلك المدّة. مكتبة سُر مَن قرأ

فأجاب وهو يهزّ إحدى كتفيه: "أعمل في شركة لتنسيق الحدائق. إنّها وظيفة لا بأس بها، تغطّي الفواتير."

نظرت إلى هاتفه الذي وضعه على طاولة القهوة وسألته: "ما الذي سيكتشفه صديقك؟"

أجاب: "لست مُتأكّدًا، ربّما سيعثر على سجلّ جنائي لراسل، أو على شيء يمكننا تقديمه للشرطة ليبحثوا عن بصماته في الشقّة. أنا واثق من أنّهم عثروا على بصمات لشخص غير معروف في "البنتهاوس"، وإذا استطعنا مطابقتها مع بصمات راسل، فسيكون هذا مفيدًا في إبعاد الشبهة عنك."

"وماذا لو لم يكن ذلك كافيًا؟"

"أنا واثق من أنّنا سنجد شيئًا."

"وماذا إن لم نجد؟"

"ثقي بي، سنجد حلًّا. لن تدخلي السجن بسبب جريمة لم ترتكبيها."

فجأة، بدأ هاتفه يرنّ. فأخذه ونهض عن الأريكة، ثمّ ذهب ليجيب من المطبخ. راقبتُ ملامحه، لكنّها لم تُفصِح عن شيء. كانت إجاباته مُقتَضَبَة، واقتصرت على "همم"، و"حسنًا". وفي لحظة ما، أمسك قلمًا ودوّن شيئًا على منديل ورقي.

قال أخيرًا وهو يُنهي المكالمة: "غراتسيه". ثم وضع الهاتف على طاولة المطبخ.

وقف صامتًا بعض الوقت، يتأمّل ما كتبه على المنديل، إلى أن قلت أخيرًا: "إذًا؟"

"لا سجلّ جنائي؛ سجلّه نظيف".

فغاص قلبي وأجبته: "حسنًا..."

"غير أنّني حصلت على عنوان منزل ثانٍ، يقع عند ضفّة بحيرة، على مسافة ساعتين أو ثلاث شمال المدينة. وربّما... ربّما يكون هناك الآن."

فما كان منّي إلّا أن قفزت عن الأريكة والتقطت حقيبتي قائلة: "فلنذهب إذًا!"

"وماذا سنفعل إن ذهبنا؟"

اقتربتُ منه، وحدّقت إلى العنوان المكتوب على المنديل. لم أكن أعرف المنطقة جيّدًا، لكنّ خرائط غوغل ستقودني إليه.

"سنجبره على قول الحقيقة."

"نحن نعرف الحقيقة". وسحب المنديل من يدي مُضيفًا: "الشرطة هي التي يجب أن تعرف."

"وماذا تقترح؟"

بدا عليه التعب وهو يفرك عينيه قبل أن يجيب: "لست مُتأكِّدًا بعد. لكن لا تقلقي، سنجد حلًّا. أحتاج إلى التفكير فحسب."

ممتاز. وبينما هو يفكّر، ستكون الشرطة مُنشغِلة بجمع الأدلة ضدّي. "أعتقد أنّ علينا الذهاب إلى هناك."

"وأنا أعتقد أنّ ذهابنا سيعقّد الأمور."

لم أعد أعرف ما يجب أن أفكّر فيه، لكنّني كنت أتحرّق لفعل شيء ما حالًا؛ فرجال الشرطة ليسوا جالسين على الأرجح في مطبخ صغير يفكّرون في ما سيفعلونه.

وقبل أن أحاول إقناع إنزو، رنّ هاتفي في حقيبتي، فأخرجته، وحبست أنفاسي حين رأيت الاسم على الشاشة.

قلت له: "إنّه بروك."

الفصل الخامس والستّون

ازدادت عينا إنزو السوداوين قتامة عندما سمع أنّ صديقي السابق يتّصل بي. إلّا أنّه ليس من النوع الغيور، ولن يطلب إليّ عدم الردّ. وحتّى لو فعل، لما استمعتُ إليه.

قلت له: "عن إذنك."

فأومأ برأسه. "تفضّلي."

كنت أعلم أنّه سيتفهّم. صحيح أنّ ملامحه لا توحي بالرضا، لكنّه لم يعترض على الأقلّ.

رددت على الهاتف قائلة: "ألو".

فجاءني صوت بروك وكأنّه يتحدّث عن بُعد آلاف الأميال؛ كما لو أنّنا شخصان التقيا صدفةً ثمّ مضيا كلٌّ في طريقه. فصحيح أنّنا انفصلنا منذ يوم واحد فقط، إلّا أنّني أستغرب حين أفكّر في أنّنا كنّا على علاقة بالأمس.

قال: "ميلي، مرحبًا..."

أجبت بجفاء: "أهلًا".

لم أستطِع أن أتخيّل سبب اتّصاله. إذ لا يبدو كمن يريد العودة، هذا مؤكّد، بل لعلّه يشعر بالامتنان لأنّنا لم ننتقل للعيش معًا. على الرحب والسعة يا بروك.

قال بعد تردّد: "في الحقيقة، أردت... أن أعتذر لأنّني تركتك في مركز الشرطة يوم أمس."

"آه!"

أطلق تنهيدة عميقة وتابع قائلًا: "كنت غاضبًا، لكنّ تصرّفي لم يكن مِهَنِيًّا على الإطلاق. إذ مهما يكن ما فعلتِه، فقد طلبتِ وجودي كمحامٍ، وكان ينبغي لي الوقوف إلى جانبك."

"شكرًا، أقدّر اعتذارك."

"ولهذا اتّصلت". صمت قليلًا، ثمّ أضاف: "تحدّثت إلى المحقّق مجدّدًا هذا الصباح، وشعرت أنّ من واجبي تنبيهك إلى أنّهم قاموا بتحليل بعض الملابس التي أخذوها من سلّة غسيلك."

فقبضت على الهاتف بشدّة. "أبحثًا عن دماء؟"

"لا، بل عن آثار بارود. والنتيجة كانت إيجابية."

فغرت فاهي من شدّة الصدمة. إذ كنت قد افترضتُ أنّهم يبحثون عن دماء، ولم يخطر ببالي أن يبحثوا عن شيء آخر. "آه..."

قال: "أظنّ أنّهم كانوا بانتظار نتيجة هذا التحليل ليكتمل الملفّ. وعلى الأرجح، إنّهم الآن بصدد إصدار مذكّرة توقيف بحقّك."

تجمّدت مكاني، وركبتاي ترتجفان. "آه..."

"أنا آسف، ميلي. أردت تحذيرك فحسب، فقد شعرت أنّ هذا أقلّ ما يمكنني فعله."

"نعم..."

تنحنح قليلًا وأضاف: "و... أتمنّى لكِ التوفيق في كلّ هذا."

استدرت مبتعدة عن إنزو لكيلا يرى الدموع التي تجمّعت في عينيّ. "شكرًا."

شكرًا على لا شيء. شكرًا لأنّك تخلّيت عنّي حين بدأ عالمي ينهار.

أنهى بروك الاتّصال، وبقيت ممسكة بالهاتف على أذني، أقاوم الدموع التي توشك أن تسيل. لقد قُضي عليّ. دبّرت ويندي كلّ هذا بدهاء، لتورّطني في جريمة قتل رجل لم أقابله في حياتي.

اقترب منّي إنزو ووضع يده الكبيرة على كتفي، ثمّ سألني: "ميلي، ما الأمر؟ ماذا قال؟"

مسحت عينيَّ قبل أن أستدير نحوه وأجبت: "قال إنّ الشرطة وجدت آثار بارود على الملابس التي كانت في سلّة الغسيل."

فهزّ رأسه وقال: "حتّى إن أطلقتِ رصاصة فارغة، فإنّ الطلقة تكون محمّلة بآثار البارود."

دفنتُ وجهي بين كفّي وأضفت: "قال بروك إنّ الشرطة أصدرت على الأرجح مذكّرة توقيف، أو ستصدرها قريبًا. ماذا سأفعل؟"

أمسك بكتفيّ وقال: "لن أستسلم، هل تفهمينني؟ مهما حصل، لن أستسلم. سأحرّرك."

لم أشكّ في أنّه جادٌّ في ما يقوله، لكنّني لا أعتقد أنّه قادرٌ على إخراجي من هذه الورطة. إذا اعتقلوني، فسيُقضى عليّ. سيتوقّف البحث عن القاتل الحقيقي، وستُلصق بي كلّ التهم. ويبدو أنّ في حوزتهم ملفًّا قويًّا بالفعل؛ فآثار بارود على ملابسي، وبصماتي على أداة الجريمة، وحارس المبنى يستطيع أن يشهد أنّني كنت هناك في وقت وقوع الجريمة تقريبًا.

أنا في ورطة حقيقية.

قلت وأنا أحدّق إلى المنديل الورقي الذي كُتِب عليه العنوان: "أريد الذهاب إلى ذلك الكوخ عند البحيرة. عليّ العثور على ذلك اللعين للتوصّل إلى حقيقة ما جرى."

"هذا لن يجدي نفعًا."

صرخت قائلة: "لا يهمني. أريد أن أراه، أريد أن أنظر إلى عينيه وأسأله عن السبب الذي دفعه إلى فعل ذلك بي. وإن كانت ويندي هناك أيضًا، أريد أن..."

التقت نظراتي بنظرات إنزو، واتّسعت عيناه فجأة، قبل أن يندفع إلى المطبخ ويختطف المنديل قبل وصولي إليه. بعد ذلك، طواه بسرعة، ووضعه تحت صنبور الماء حتّى ابتلّ وبدأ الحبر يتلاشى.

قال بحزم: "لا، لن أدعك ترتكبين أيّ حماقة."

فقلت: "تأخّرت، فقد حفظت العنوان."

عندئذٍ، صرخ بصوت حادّ وهو يحملق إليّ: "ميلي! لا تذهبي إلى هناك! فأنت لا تفكّرين بوضوح الآن. أنتِ لم تفعلي شيئًا، ولن تدخلي السجن إلّا إذا أعطيتِهم سببًا وجيهًا لذلك!"

رفعت ذقني بتحدٍّ وقلت: "أنت مخطئ، سأدخل السجن مهما فعلت. لذا، دعني أدخله بجدارة".

أمسك بمعصمي بقوّة. لم يكن يضغط بقسوة، لكنّه منعني من الإفلات. فقد كان يحاول إنقاذي من نفسي، وكان ذلك مُؤثِّرًا. قال بروك مرارًا إنّه يحبّني، لكنّ إنزو أظهر ذلك حقًّا. وإن تمّ اعتقالي، فأنا واثقة من أنّه سيبذل كلّ ما في وسعه لإخراجي. ولن يتردّد في فعل أيّ شيء لإظهار الحقيقة.

قلت باستسلام: "حسنًا، لن أذهب."

"عديني".

"أعدك."

أفلت معصمي، وتراجع خطوة إلى الخلف ووجهه غارق في الأسى، ثمّ قال: "وأنا أعدك أنّني سأصحّح هذا الوضع."

فأومأت برأسي، ثمّ التقطت حقيبتي من فوق الأريكة قائلة: "سأعود إلى شقّتي الآن، وأواجه ما سيأتي."

"هل تريدين أن أرافقك؟"

أجبته وأنا أعلّق حقيبتي على كتفي: "لا، لا أريدك أن ترى القيود وهي تُطبَق على معصميّ."

اقترب مني، وعانقني مرّة أخيرة كانت كافية لأصمد لعامين خلف القضبان. في الحقيقة، ما من رجل مثله، وبالتأكيد، ليس بروك.

همس في أذني: "أعدك، لن تعودي إلى السجن."

ابتعدت عنه وأنا أرتجف قليلًا. "سأذهب إلى البيت الآن."

شدّ على يدي وقال: "سأجد لك محاميًا جيّدًا، وسأعثر على طريقة لأدفع له."

جال نظري في الشقّة الصغيرة التي ملأها بأثاث من القمامة، وكتمت تعليقًا ساخرًا كان على وشك أن يفلت من فمي.

قال: "سأشتاق إليك."

"وأنا... أحبّك."

لم أجد تلك الكلمة صادقة حين قلتها لبروك، لكنّها خرجت الآن على نحو طبيعي. حتّى إنّني لم أستطِع أن أرحل من دون قولها له.

قال: "وأنا أيضًا أحبّك يا ميلي، أحبّك كثيرًا."

إنّني أحبّه فعلًا، لا بل لطالما أحببته، ولهذا السبب، أكره أن أكذب عليه.

مع ذلك، لم يكن بوسعي إخباره أنّني خبّأت مفاتيح سيّارته في حقيبتي. غير أنّه سيكتشف الأمر قريبًا.

الجزء الرابع

الفصل السادس والستّون

ويندي

كنت أحتفل مع راسل ونحتسي الشراب.

ومع أنّ الأمر كان ينطوي على بعض المخاطرة، إلّا أنّه اصطحبني إلى كوخه المطلّ على البحيرة، هربًا من الحشود الغفيرة من الصحفيين المُتجَمهِرين أمام "البنتهاوس" والمنزل في لونغ آيلاند. تقنيًّا، كان هذا الكوخ يعود إلى ماريبث، وسيصبح مُلكًا لها من جديد عندما يتركها. ولا بأس في ذلك، فأنا الآن ثريّة بما يفوق أكثر أحلامي جنونًا. أنا ثرية بما يتجاوز كلّ حدود الفهم البشري، ولست بحاجة إلى هذا الكوخ الصغير المكوّن من غرفتين.

مع ذلك، يحتوي الكوخ على حوض استحمام كبير جدًّا مجهّز بنفّاثات مياه، بحيث يشعر المرء كأنّه في حوض جاكوزي.

في الطريق، واصلنا النظر إلى مرآة الرؤية الخلفيّة لنتأكّد أنّنا لسنا ملاحقَيْن من أيّ صحفي. فقد اجتزنا في الجزء الأخير من الرحلة طريقًا شبه مهجور، وكان من السهل أن نكتشف وجود شخص يتتبّعنا. أخبر راسل ماريبث أنّه في رحلة عمل، لشراء أثاث أو شيء من هذا القبيل. في الواقع، لا يهمّ ما قاله لها؛ لأنّها لم تعد تهمّني.

همست: "أنا سعيدة جدًّا. لا أظنّ أنّني شعرت بهذه السعادة منذ وقت طويل".

فابتسم راسل، على الرغم من التوتّر الذي شاب ملامح وجهه. فهو لم يُخفِ يومًا أنّه لم يكن يريد قتل دوغلاس. وما زلت لا أصدّق أنّه جعلني أقوم بالعمل القذر بينما كان مُختبِئًا في المطبخ. من حسن حظّه أنّه وسيم، لأنّني فقدت الكثير من احترامي له في تلك الليلة، عندما نظر إليّ وكأنّني وحش كاسر، بدلًا من إبداء امتنانه لي.

على أيّ حال، إن لم يكن سعيدًا، فليعد إلى زوجته البلهاء، وسأعثر أنا على رجل آخر أستمتع معه بملاييني.

سكبت آخر ما تبقّى من الشراب في كأس راسل وقلت: "إنّه لذيذ، من أين أحضرته؟"

أجاب: "ماريبث تحبّه".

شعرت وكأنّه بات يتحدّث عن زوجته كثيرًا في الآونة الأخيرة، وبنبرة أقلّ عدائية من ذي قبل، وهذا ليس مؤشّرًا جيّدًا.

سألته: "هل لديك المزيد منه؟"

"لا أظنّ أنّ ثمّة المزيد من هذا الشراب، لكن قد تجدين شيئًا آخر في المطبخ".

شعرت بالضيق لأنّه لم يكلّف نفسه عناء النهوض لإحضاره. في الواقع، الرجال كلّهم سواء؛ ففي البداية، يتسابقون لإرضاء المرأة وتلبية رغباتها، ثمّ ما يلبثون أن يعدّوها من المسلّمات. فهل من رجل محترم لا يعرض إحضار شراب لامرأة؟

لكنّني كنت أرغب في شرب المزيد، خصوصًا أنّ الزجاجة التي فرغنا منها للتوّ لم تكن ممتلئة أصلًا. هكذا، تناولت منشفة ولففت بها جسدي، ثمّ خرجت من الحمّام إلى غرفة المعيشة، مخلّفة آثار قدميّ المبلّلتين على أرضيّة الخشب. كان المطر يهطل بغزارة على الشرفة، وقد طمأنني ذلك، لأنّ المطر كفيل بمحو آثار الإطارات وتضليل من يحاول تتبّعنا.

دخلت المطبخ، ووجدت بالفعل على المنضدة زجاجة شبه ممتلئة بالشراب الأحمر، الذي يبدو رخيصًا نوعًا ما، لكنّه سيفي بالغرض. فحملت الزجاجة، وهممت بالعودة بها إلى الحمّام، لكنّني تجمّدت في مكاني فجأة.

كانت إحدى نوافذ الكوخ مفتوحة على مصراعيها.

الفصل السابع والستّون

هل كانت تلك النافذة مفتوحة عندما وصلنا إلى هنا؟

لا أذكر في الواقع. غير أنّنا كنّا مشغولَين بالاحتفال بعد أن أخبرني المحقّق راميريز أنّه يخطّط لإلقاء القبض على ميلي كالواي. لقد نجونا بالفعل... نجونا تمامًا.

فهل كانت مفتوحة عندما دخلنا؟ لا أذكر حقًّا، هذا أمر محتمل.

لكن الآن، ومع هطول المطر، أصبحت النافذة أكثر وضوحًا. فقطرات المطر تتسرّب إلى الداخل، وتبلّل الخشب المحيط بها. ينبغي إغلاق تلك النافذة.

وضعت الزجاجة على الطاولة الصغيرة بجانب الأريكة، ثم توجّهت نحو النافذة، فصفعت قطرات المطر الباردة كالجليد وجهي ولسعت ذراعيّ العاريتين. لكن بعد قليل من الجهد، تمكّنتُ أخيرًا من إغلاق النافذة.

ممتاز.

حملت الزجاجة، وعدت بها إلى الحمّام. كان راسل لا يزال في الحوض، وشعره الداكن ملتصق برأسه. في البداية، ظننت أنّ وجهه مبلّل بماء الحوض، لكنّني سرعان ما أدركت ما يجري.

سألته بدهشة: "هل تبكي؟"

فمسح عينيه بتوتّر، ثمّ قال: "أنا... لا أصدّق أنّنا قتلناه، فأنا لم أقدم على شيء كهذا في حياتي."

لا أفهم لماذا يبكي. فأنا من قتلتُ دوغلاس، ومع ذلك لا أشعر بأيّ ندم. من وجهة نظري، دوغلاس نال ما يستحقّه فحسب.

قلت بحدّة: "تماسك، فما حدث قد حدث. كان شخصًا مروّعًا على أيّ حال؛ كان يعذّبني."

"هذا لأنّك خنتِه."

وهل هو سبب كافٍ ليتركني مفلسة؟ علمًا أنّ راسل لا يعرف أنّني كذبت على دوغلاس بشأن عدم قدرتي على الإنجاب. ومن الأفضل ألّا أخبره، وإلّا فسيشعر بسوء أكبر.

"اسمع..." خلعتُ المنشفة وتركتها تسقط على الأرض، ثمّ ملأت كأسه وكأسي.

"لِمَ لا تدعني أساعدك على نسيان الأمر برمّته؟"

عدت إلى الحوض، وغمرت نفسي في الماء الساخن، بينما ابتلع راسل شرابه دفعة واحدة، مُخلِّفًا بقعة حمراء على شفتيه. فارتأيت أنّ فكرته جيّدة، وتجرّعت كأسي دفعة واحدة أنا الأخرى. فهذا شراب رخيص، ولا حاجة إلى تذوّقه ببطء. وبعد كأس أو اثنتين، سنشعر كلانا بتحسّن كبير.

الفصل الثامن والستّون

كنت على حقّ تمامًا. فبعد كأسين من الشّراب، لم يعد راسل يبكي. أمّا أنا، فبدأ مفعول الشراب يتسلّل إلى رأسي بلطافة. مضى وقت طويل منذ أن جرت الرياح تمامًا كما أشتهي. فبعد الأشهر الستّة الأخيرة، كنت بحاجة إلى نصر. واليوم، كان النصر كبيرًا. فقد مات دوغلاس، وسأرث ثروة هائلة، فيما ستتحمّل ميلي عاقبة كلّ ما جرى. لقد أدّت دورها على أكمل وجه.

تمتمتُ وأنا أستند إلى الخلف: "يمكنني البقاء في هذا الحوض إلى الأبد، أليس هذا رائعًا؟"

أجاب: "هممم... لكنّني أشعر بالنعاس. أعتقد أنّه من تأثير الشراب."

شعرتُ أنا الأخرى ببعض الدوار الخفيف. كان إحساسًا لطيفًا؛ فالحوض هادئ للغاية، باستثناء الموسيقا التي تصدح في الخلفية.

قال راسل: "ويندي، أليس هذا هاتفك؟"

صحيح.

لا بد أنّه جو بِندك. إذ كنت قد طلبت إليه الاتّصال بي بشأن تركة دوغلاس الضخمة. وكنت أشعر بشيء من المتعة لاضطرار جو - الذي لا يطيقني بتاتًا - إلى العمل عندي الآن، بما أنّني أصبحت مالكة كلّ أصول دوغلاس، بما في ذلك شركته. لن يكون لديه خيار سوى التملّق لي، وسأستمتع بكوني ثريّة لئيمة.

ارتديت ثوب الحمّام على عجل، واندفعت إلى غرفة المعيشة. كنت قد تركت هاتفي هناك، على طاولة القهوة. وبالفعل، ظهر اسم جوزيف بندك على الشاشة. فرددت على المكالمة قبل أن تتحوّل إلى البريد الصوتي.

"أهلًا، جو".

"مرحبًا، ويندي."

لم تفتني نبرة صوته البائسة؛ كم يبدو طعم النصر لذيذًا!

ذكّرته قائلة: "كان من المفترض أن تتّصل بي بعد الظهيرة، والساعة الآن تقارب العاشرة."

"أنا آسف". كان صوته مَشوبًا بشيء من المرارة. "فقد قُتِل أعزّ أصدقائي حديثًا، ولا يمكنني أن أعمل بكامل طاقتي بعد."

رددت بجفاف وأنا أتأمّل المطر المنهمر من نافذة المطبخ: "حسنًا، برأيي، هذه مشكلة، فأنت مُنفِّذ وصيّة دوغلاس، وإذا لم تكن قادرًا على أداء وظيفتك، فربّما ينبغي أن يحلّ محلّك شخص آخر."

"لا، فقد وقع اختيار دوغ عليّ أنا، ومن واجبي احترام رغبته."

"حسنًا". إذا حاول التلاعب بأيّ شيء، فسأحرص على إبعاده عن الشركة. في الحقيقة، ربّما يجدر بي طرده على أيّ حال. ففي النهاية، لن أثق به أكثر ممّا وثقت بدوغلاس. "متى ستنتقل أصوله إليّ؟ ثمّة فواتير عليّ دفعها."

في الواقع، وفاة دوغلاس لن تُلغي الرهن العقاري. وأنا لا أملك حتّى بطاقة ائتمان قابلة للاستعمال؛ لأنّ دوغلاس ألغى جميع بطاقاتي. "البنتهاوس" وحده عليه رهن عقاري مكوّن من ستّة أرقام. لذا، أنا بحاجة إلى بعض النقود بشكل عاجل.

سألني جو: "هل ترغبين في تحويل أموال دوغ إليك؟"

أجبت وأنا أقرع بأصابعي على سطح طاولة المطبخ: "نعم، أليس هذا ما يفترض أن يحدث؟"

"ليس تمامًا..." وصمت قليلًا قبل أن يُضيف: "هل تعلمين أن دوغ غيّر وصيته الشهر الماضي؟"

ماذا؟ "كلّا، ماذا تقصد؟"

"لقد غيّر وصيته؛ ترك كلّ أملاكه للجمعيّات الخيريّة."

تشوّش بصري قليلًا، وشعرت بدوار يجتاحني. فبعد أشهر قليلة من زواجنا، أعدّ دوغلاس وصيّة ترك فيها كلّ شيء لي. وقد ذهبت معه إلى المحامي للتأكّد من ذلك؛ لأنّه كان أستاذًا في المماطلة. ولم يخطر ببالي مُطلَقًا أن يغيّر وصيّته في الفترة القصيرة التي انفصلنا فيها، من المستحيل أن يفعل ذلك.

إلّا إذا...

قلت بحدّة: "أنت تكذب، لا شكّ في أنّك تختلق هذه القصّة كي لا أحصل على شيء من أمواله."

"الفكرة جذّابة، لكن لا، أنا لا أختلق شيئًا. لديّ نسخة موثّقة من وصيّته أمامي الآن."

تلعثمت مُجيبَة: "لكن... لكن كيف يمكنه فعل ذلك؟"

"حسنًا، عندما شرح لي دوغ الأمر، ذكر شيئًا عن كونك كاذبة ومخادعة، وقال إنّه لا يريدك أن تحصلي على شيء من أمواله."

شعرت وكأنّ قلبي توقّف للحظة، وزاغ بصري من هول الصدمة. متى حدث ذلك؟ صحيح أنّ دوغلاس طرح فكرة التبرّع بأمواله كلّها، لكنّني لم أتخيّل أن يبدأ بالتنفيذ فورًا.

صرخت وقد تملّكني الغضب: "هذا أمر غير مقبول، لا يمكنه استبعادي من وصيّته! فأنا زوجته! سأطعن في هذه الوصيّة، وصدّقني، سأكسب."

"كما تشائين يا ويندي. ولكن في هذه الأثناء، سأطلب إليك إخلاء "البنتهاوس" والمنزل في الجزيرة، لأنّنا سنعرضهما للبيع."

أجبته بصوت كالهسيس: "تبًّا لك".

ضغطتُ على الزرّ الأحمر بيدين مُرتَجِفَتين لإنهاء المكالمة. من المستحيل أن يحرمني دوغلاس من كلّ شيء بمجرّد توقيعه على ورقة. سأطعن في الوصيّة، وبما أنّ دوغلاس مات، فلن يتمكّن من الدفاع عن نفسه. بطريقة أو بأخرى، سأحصل على نصيبي العادل.

وحتّى إن لم أحصل تمامًا على الإرث الذي حلمت به، فلا بأس.

بينما كنت أحدّق إلى هاتفي، وأنا أفكّر في خطوتي التالية؛ إذ به يرنّ بيدي مجدّدًا. وهذه المرّة شهقت حين رأيت هويّة المتّصل:

قسم شرطة نيويورك.

الفصل التاسع والستّون

لا بدّ أنّه المحقّق راميريز. كان قد اتّصل بي قبل ساعات وأنا لا أزال في المدينة، ليخبرني أنّهم ينوون إلقاء القبض على ميلي. آمل أن يكون الهدف من اتّصاله إبلاغي أنّهم زجّوا بها في السجن.

المهمّ ألّا تكون هذه المكالمة مزعجة كسابقتها.

أجبت مُحاوِلةً أن أبدو مثل أرملة محطّمة القلب: "ألو؟"

يبدو أنّ دروس التمثيل التي أخذتها في الجامعة تؤتي ثمارها؛ فأنا أستحقّ جائزة أوسكار عن أدائي أمام ميلي.

أتاني صوت المُحقّق راميريز: "سيدة غاريك".

"أهلًا، حضرة المحقّق. آمل أن تكون قاتلة زوجي قد أصبحت خلف القضبان!"

"في الواقع..." يا إلهي، ما الأمر؟ "لم نتمكّن من العثور على ويلهيلمينا كالواي. ذهبنا إلى شقّتها ومعنا مذكرة توقيف، لكنّنا لم نعثر عليها هناك."

"وأين هي إذًا؟"

"لو كنّا نعلم، لَألقينا القبض عليها، أليس كذلك؟"

شعرت مرّة أخرى أنّ قلبي فوّت نبضة.

"وماذا تفعلون للعثور عليها؟ إنّها امرأة خطيرة جدًّا، كما تعلم."

"لا تقلقي، سنعثر عليها في نهاية المطاف، أعدك بذلك."

"جيّد. يسعدني أن تكون الأمور تحت السيطرة."

"لكن ثمّة أمر آخر أحتاج إلى التحدّث إليك بشأنه، سيّدة غاريك."

ماذا بعد؟ نظرت باتّجاه الحمام؛ لا أعلم لماذا لم يلحق بي راسل بعد، مع أنّه يعرف أنّني خرجت. سيبدأ جلده بالتجعّد نتيجة بقائه طوال هذا الوقت في الماء.

"تفضّل، حضرة المحقّق."

"سأشرح لك الأمر". تنحنح راميريز مُتابِعًا: "كان مدير المبنى الذي يقع فيه "البنتهاوس" خارج البلاد في اليومين الماضيين. فقد سافر إلى أوروبا، ولم نتمكّن من التواصل معه. على أيّ حال، تواصلت معه أخيرًا بعد ظهر اليوم، وأخبرني أمورًا مثيرة للاهتمام."

"أحقًّا؟"

"قال إنّ ثمّة كاميرا مراقبة عند الباب الخلفي للمبنى."

عندئذٍ، شعرت أنّ قلبي توقّف عدّة ثوانٍ. "عذرًا!"

"يبدو أنّنا لم نلاحظ وجودها سابقًا. فقد قال إنّه ثبّتها في مكان غير ظاهر؛ لأنّ السكان لا يحبّون الشعور بأنّهم تحت المراقبة. والغريب في الأمر أنّ زوجك هو من زوّدهم بتجهيزات الأمان تلك من شركته، قبل عام تقريبًا، لأنّه كان قلقًا بشأن ذلك المدخل الخلفي."

أجبت بصوت مختنق: "أهو... أهو من فعل ذلك؟" سمعت صوت ارتطام، تلاه صوت تطاير ماء آتٍ من الحمّام، لكنّني تجاهلته. إن كان راسل قد حاول الخروج وانزلق، فهو مضطرّ إلى النهوض بنفسه.

"نعم، وقد أنهينا للتوّ مراجعة جميع الأشرطة. الغريب في الأمر أنّه - وفقًا للكاميرات - لم يدخل زوجك تلك الشقّة منذ أشهر؛ أي طوال الفترة التي كانت ميلي تعمل فيها هناك. إذًا، لا أعلم كيف يمكن أن تقيم علاقة معه داخل الشقّة إن لم يكن يدخلها أصلًا."

جفّ حلقي تمامًا، لكنّني تمكّنت من القول: "ربّما كانا يلتقيان في مكان آخر؟"

"ربّما، لكنّنا لم نعثر على أيّ فواتير فندق على بطاقته الائتمانية أو ما شابه ذلك."

"هذا لأنّه لم يكن ليدفع ببطاقته، لكيلا أعرف بذلك. على الأرجح، كان يدفع نقدًا."

"ربّما كنتِ مُحقّة، لكن ثمّة أمر أغرب؛ ففي الليلة التي قُتِل فيها زوجك، لم يظهر عند الباب الخلفي إلّا بعد أن غادرت ميلي المبنى؛ بحسب التوقيت الذي أعطانا إيّاه البوّاب."

"هذا... هذا غريب..."

إذا شاهد تلك اللقطات، فلا بدّ أنّه بات يعلم أنّني كنت في الشقّة وقتَ وقوع الجريمة. وإن كان يعلم ذلك، فأنا في ورطة كبيرة جدًّا.

قال: "اسمعي، كنت أتساءل عمّا إذا كان بإمكانك المجيء إلى مركز الشرطة لتوضيح بعض الأمور التي تثير التباسًا لدينا. سنرسل سيّارة إلى منزلك."

"أنا... لست في المنزل حاليًّا..."

"آه؟ وأين أنتِ إذًا؟"

أبعدتُ الهاتف عن أذني. وبدا صوت المحقّق راميريز وكأنّه آتٍ من بعيد وهو ينادي قائلًا: "ألو، سيّدة غاريك؟"

فضغطتُ على الزرّ الأحمر لإنهاء المكالمة، ورميت الهاتف على الطاولة وكأنّه يحرقني، ثم اتّكأت على المغسلة، مُحاوِلةً صدّ موجة من الغثيان والدوار.

لا أصدّق أنّه كانت ثمّة كاميرا عند الباب الخلفي. فقد سألت عن ذلك تحديدًا، وأخبروني أنّه ما من كاميرا هناك. لكن كان ذلك قبل أن يتكرّم دوغلاس ويُزوِّد المبنى بواحدة، فمن الطبيعي أن يفعل شيئًا كهذا. هذا هو دوغلاس الذي تزوّجت به: رجل حريص، وكريم، ومهووس بالتكنولوجيا. وربّما كانت محاولةً أخرى فحسب لتوثيق خيانتي له.

إن كانت ثمّة كاميرا، فستكون كافية لتبرئة ميلي، ولدقّ مسمار ضخم في نعشي.

فركتُ صدغَيّ، وكان الألم قد بدأ يجتاحهما. عليّ أن أجد طريقة لأتلاعب بالقصّة؛ لأنّني لن أقضي ما تبقّى من حياتي خلف القضبان. في الواقع، لديّ بعض الأفكار. فقد لعبتُ دور الزوجة المعنّفة ببراعة أمام ميلي، لذا، سأروي حكاية زوجي العنيف. ربّما في تلك الليلة المشؤومة، كان على وشك أن يهاجمني، وكنت أدافع عن نفسي. فالدفاع عن النفس حقّ قانوني؛ إمّا أنا أو هو.

قد تنجح هذه الحجّة.

"راسل! علينا أن نتحدّث."

كان راسل يُشكِّل تعقيدًا كبيرًا. فإن كان المُحقِّقون قد راجعوا تسجيلات الكاميرا عند الباب الخلفيّ، فلا بدّ أنّهم رأوه يدخل تلك الليلة أيضًا. لكن قد لا يكون لديهم دليل يربطه بي بشكل مباشر، لذا علينا أن نُوحِّد روايتيْنا. آمل ألّا يتصرّف بجبن وينهار تحت الضغط. فبإمكاني أن أتخيّله وهو يعترف بالقصّة القذرة كاملة أمام الشرطة.

ركضت نحو الحمّام. لن يكون راسل سعيدًا بهذه الأخبار، لكن من السذاجة توقّع أن يسير كلّ شيء بسلاسة. سنتجاوز هذه العاصفة، بطريقة أو بأخرى. فقد واجهتُ مواقف سيّئة من قبل وخرجتُ منها.

ناديته مجدّدًا: "راسل، ماذا..."

حين وصلت إلى عتبة الحمّام، كان أوّل ما رأيته هو اللون الأحمر؛ فقد امتدّ أمام ناظريّ كمٌّ هائل من السائل الأحمر. وماء الحوض الذي كان صافيًا يميل إلى الضبابية، أصبح الآن بلون قرمزيّ داكن. نظرت إلى الأعلى قليلًا لأحدّد مصدر الدم، فرأيته يتدفّق من جرح غائر في عنق راسل.

ثمّ نظرت إلى وجهه، إلى فكّه المرتخي، وعينيه المفتوحتين الشاردتين.

الفصل السبعون

راسل ميت؛ إنّه مَقتول.

حدث ذلك بين لحظة خروجي من الحمّام وهذه اللحظة.

تذكّرت النافذة المفتوحة التي رأيتها عندما خرجت قبل قليل لإحضار الشراب. هذا يعني أنّ شخصًا ما دخل هذا الكوخ، وأقدم على ذبح راسل.

وأخشى أنّني أعرف من يكون. فثمّة شخص واحد في هذا العالم يحمل ضغينة ضدّي الآن، وله تاريخ من السلوك العنيف، والشرطة لم تتمكّن من العثور عليه.

ناديت: "ميلي".

لكن لم يأتِني أيّ جواب.

فجأة، انطفأت الأنوار.

كنتُ لأقول إنّها العاصفة، لكن لا يبدو أنّ الرياح قويّة بما يكفي لقطع الكهرباء؛ لا بدّ أن أحدهم قطعها عمدًا.

ضممت ذراعيّ إلى صدري بينما سرت قشعريرة باردة في جسدي. فقد غرق الكوخ في الظلام الدامس بعد انقطاع الكهرباء. كنت أملك هاتفي الذي يستقبل بعض التغطية، لكنّني تركته في المطبخ. وإن كانت ميلي ذكيّة، فستكون قد استولت عليه الآن. هذا يعني أنّني بلا وسيلة لطلب النجدة.

ناديت مجدّدًا: "ميلي".

ما من جواب أيضًا. إنّها تلاعبني، ولا شكّ في أنّها باتت تكرهني الآن، ولها كلّ الحقّ في ذلك. فبينما كانت تمدّ لي يد العون، ألقيت بكلّ شيء على عاتقها. غير أنّها سهّلَت الأمر عليّ كثيرًا.

والآن، يتردّد في ذهني كلام صديقتي أودري: إنّها جريئة للغاية، صدّقيني... لا، لا بل خطرة.

ميلي خطرة للغاية؛ هذا أمر لا خلاف عليه، وقد جعلتُ منها عدوّة لي.

قلت بصوت مبحوح: "ميلي، أرجوكِ اسمعيني. أنا... أنا آسفة. ما كان يجب أن أفعل ما فعلت. لكن صدّقيني... دوغلاس كان رجلًا مؤذيًا؛ كنت صادقة في كلّ كلمة قلتها عنه."

تكسّر زجاجٌ في الجهة الأخرى من الغرفة، فالتفتّ نحو الصوت. إن لم تكن ميلي تملك نظّارة للرؤية الليلية، فلا بدّ أنها عمياء مثلي تمامًا في هذا الظلام. وربّما أمكنني استغلال ذلك لصالحي.

"لقد ارتكب دوغلاس أمورًا مريعة بحقّي؛ كان زوجًا فظيعًا، وكنت بحاجة إلى الخروج من هذا الزواج. لا بدّ أن تفهمي..."

لم تجبني ميلي بعد، لكن يمكنني أن أشعر بالغضب يتفجّر منها. لقد لعبتُ بالنار مع الشخص الخطأ.

تابعتُ قائلة: "ميلي، أؤكّد لك أنّني لم أكن أكذب. أنا أقدّر كثيرًا... طيبتك تجاهي، لكن كان لا بدّ لي من فعل ما فعلته."

أضاء وميض برق الغرفة، وأدركت أنّ الطريق إلى المطبخ خالٍ تمامًا. كان المطبخ مليئًا بالسكاكين والأدوات التي يمكن نظريًّا استخدامها كسلاح، حتّى لو كانت قد استولت على هاتفي.

فلتذهب محاولات التفاهم مع هذه المعتوهة إلى الجحيم. إن أرادت قتالًا، فستناله.

ركضتُ نحو المطبخ. كنت أسمع خطوات ميلي خلفي، لكنّني لم أتوقّف، بل مددت ذراعيّ أمامي، آمِلة ألّا أرتطم بالجدار. ولحسن الحظّ، تمكّنتُ من الوصول إلى المطبخ. تجاوزت طاولة المطبخ الصغيرة، مُحاوِلة ألّا أتعثّر بها، وتمكّنت من تخطّي هذه العقبة، لكنّ قدميّ انزلقتا فجأة.

كانت الأرض مغطّاة بالدماء.

لا بدّ أنّها دماء راسل التي انتقلت إلى هنا عندما داست عليها بحذائها. كلّما أغمضت عينيّ، رأيت راسل ممدّدًا في الحمّام، مذبوحًا، وعيناه تحدّقان إلى الفراغ.

لقد فعلت به ميلي ذلك؛ مع أنّه ليس تمامًا الشخص الذي أساء إليها، ولا أستطيع أن أتخيّل ما تنوي فعله بي.

غير أنّني لن أمنحها الفرصة، بل سأقاتل حتّى النهاية. فأنا لا أقلّ عنها قسوة.

نهضتُ بصعوبة، على الرغم من الألم الذي شعرتُ به في وركي اليمنى من جرّاء السقوط. تحسّست طريقي نحو طاولة المطبخ الرخامية، وبحثت بيديَّ عن حامل السكاكين. أنا متأكّدة أنّني رأيت حاملًا للسكاكين هناك؛ لم أكن أتخيّل ذلك.

أرجوك، كن هنا. أرجوك.

غير أنّ يديّ عادتا خاليتَي الوفاض، ولم أستطِع لمس شيء على سطح المطبخ يشبه سلاحًا. لا شكّ في أنّ ميلي أذكى من أن تترك شيئًا كهذا. لقد خدعتُها سابقًا لأنّها وثقت بي،

لكنّها الآن باتت تعرف لعبتي، وقد استبقَت كلّ خطواتي. لقد قتلَتْ نفسَها الليلة، وتنوي جعلي الضحيّة التالية.

تحسّستُ الفرن، بحثًا عن مقلاة رأيتها عليه. إن استطعت الإمساك بها وضربها بها بقوّة، فقد أتمكّن من إسقاطها؛ هذه فرصتي الوحيدة.

لكن في تلك اللحظة، سمعت خطوات آتية من خلفي، وكانت قريبة جدًّا.

يا إلهي، إنّها هنا. إنّها معي في المطبخ.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الحادي والسبعون

مددتُ يدي أتحسّس في الظلام. كانت ميلي خلفي مباشرة، على بعد أقلّ من ستّ أقدام على الأرجح. لو تضيءُ الظلامَ صاعقةٌ أخرى، فسأتمكّن من إيجاد شيء أستخدمه ضدّها؛ لكنّ الظلام كان دامسًا، حتّى إنّني لا أرى ما يوجد أمامي مباشرة.

قالت: "ويندي".

فاستدرتُ، وتراجعتُ حتّى التصقتُ بالفرن. شعرتُ أنّ قلبي يكاد يتوقّف، وللحظة، مادت بي الأرض. عندئذٍ، أخذتُ نَفَسًا عميقًا، مُحاوِلةً تهدئة أعصابي. فمن غير المجدي أن أفقد وعيي الآن؛ لأنّني على الأرجح، سأستيقظ ويداي وقدماي مُقيَّدة معًا.

كانت عيناي قد اعتادتا على الظلام بعض الشيء، فاستطعتُ أن أميّز بوضوح ظلّ ميلي في الغرفة. ثم لمحتُ شيئًا يلمع في يدها اليمنى.

كانت سكّينًا. لا بدّ أنّها السكّين نفسها التي استخدمَتها لقتل راسل، ولا تزال غارقة بدمائه.

يا إلهي!

توسّلتُ إليها قائلة: "أرجوكِ... بإمكاني أن أمنحكِ ما تريدينه، فأنا سأصبحُ فاحشة الثراء".

تقدّمت ميلي خطوة نحوي، بينما تابعتُ كلامي مذعورة: "أعرف أنّكِ كنتِ تعانين ماديًّا. سأدفع لكِ مصاريف دراستكِ، وإيجار منزلكِ، وسأمنحكِ علاوة فوق ذلك. لن تقلقي بشأن المال مجدّدًا".

لم أستطِع رؤيتها جيّدًا في ظلام المطبخ، غير أنّ ظلّها هزّ رأسه بالنفي.

أصبحت نبرة صوتي هستيرية: "سأخبر الشرطة أنّني كنتُ مُخطِئة. سأقول لهم إنّكِ لم تكوني هناك أصلًا، وإنّني أخطأتُ بشأن كلّ شيء".

لم يكن يضيرني أن أعِدَها بذلك؛ لا سيّما بعد أن وضعت الشرطة يدها على أشرطة الفيديو التي تُثبِت أنّ ميلي لم تكن موجودة في الشقّة في الوقت نفسه مع دوغلاس الحقيقي؛ لكنّ ميلي لا تعرف ذلك بعد. كنتُ أدرك أنّني حين أخرج من هنا، فمن المحتمل جدًّا أن تُلقِي الشرطة القبض عليّ، وقد قبلتُ ذلك. سأذهب إلى السجن إن اضطررتُ، لكنّني لا أريد أن أموت.

لا يبدو أنّ عرضي أثّر في ميلي. فقد تقدّمَت خطوة أخرى نحوي، بينما حاولتُ التراجع، لكن لم يكن ثمّة مكان آخر أذهب إليه.

توسّلتُ إليها مُجدَّدًا: "أرجوكِ... لا تفعلي ذلك".

في تلك اللحظة، أنارت صاعقة الغرفة، ولكن بعد فوات الأوان؛ إذ لم يعد بإمكاني العثور على سلاح على الطاولة. فجاهدت عيناي للرؤية في الضوء الخافت، وفي ومضة البرق، رأيت بوضوح وجه المرأة المُتَقَدِّمة نحوي، حاملةً السكّين بيدها اليمنى.

يا إلهي!

هذه ليست ميلي.

الفصل الثاني والسبعون

همستُ: "ماريبث!"

كانت سكرتيرة زوجي - وزوجة راسل أيضًا - تقف على بُعد بضع أقدام منّي، وعيناها تنفذان إلى أعماقي. لم يسبق لي أن شعرتُ بالخوف من ماريبث من قبل. فحتّى عندما كنتُ أخونها مع زوجها، لم أولِها أيّ اهتمام؛ إذ بدت لطيفة بما فيه الكفاية، ولم يخبرني راسل بخلاف ذلك.

غير أنّني أسأت تقديرها، وعنق راسل المذبوح دليل على ذلك.

إن أردت أن أكون موضوعية، فأنا أكثر جاذبيّة من ماريبث. إذ إنّها تكبرني بعشر سنوات على الأقلّ، وهذا الفارق يظهر بوضوح. فشعرها الأشقر باهت، والخطوط الرفيعة تحيط بعينيها وفمها، كما أنّ الجلد المُمتَدّ تحت ذقنها مترهّل. لكن سرعان ما غرق المطبخ في الظلام مجدّدًا، وتحوّلَت إلى مجرّد ظل.

قالت: "اجلسي".

فتلعثمتُ مُجيبَة: "أنا... لا أرى شيئًا".

عندئذٍ، بهرني ضوء سطع فجأة، انبعث من تطبيق المصباح في هاتفها المحمول. سلّطَته على طاولة المطبخ الصغيرة، التي كانت عبارة عن طاولة مربّعة تتوسّط مقعدين قابلين للطيّ. فتعثّرتُ وأنا أسير نحو الطاولة، وسقطتُ على أحد الكرسيّين قبل أن تخونني ساقاي.

جلست ماريبث على الكرسي المقابل. وبفضل ضوء الهاتف، استطعتُ رؤية ملامح وجهها من جديد. كانت شفتاها مشدودتين في خطّ مستقيم، في حين أصبحت عيناها الزرقاوان -الهادئتان سابقًا- أشبه بسكّينَين مسنونتَين. كانت ترتدي معطفًا واقيًا من المطر، مُلطَّخًا بدماء راسل، فبدت مُرعِبة بحقّ.

مع ذلك، وجدتُ عزاءً طفيفًا في أنّها لم تقتلني بعد. إذ كانت ترغب في إبقائي حيّة لسببٍ ما، وهذا ما منحني فرصة لأفكّر في طريقة للفرار.

سألتها: "ماذا تريدين؟"

رفّت جفنيها، ولمع بياض عينَيها وسط محجرين غائرين ومحاطَين بالظلال. قالت: "منذ متى وأنتِ تخونينني مع زوجي؟"

فتحتُ فمي، مُتَرَدِّدة بين الكذب أو الصدق، لكن عندما نظرتُ إلى عينيها، أدركتُ أنّه من الأفضل أن أكون صادقة.

قلتُ: "عشرة أشهر".

ردّدت الكلمتين بحدّة: "عشرة أشهر... أمام عينيّ! أتعلمين؟ كنّا سعيدَيْن قبل مجيئك؛ فقد عشنا معًا عشرين عامًا. صحيح أنّه لم يكن مِثاليًّا، لكنّه كان يحبّني". وتهدّج صوتها وهي تتابع: "لكن حين التقى بكِ..."

فقلتُ مُحاوِلة تهدئتها: "أنا آسفة، نحن لم نخطّط لذلك".

"بل كانت لديكما خطط، وخطط كبيرة. كان ينوي تركي من أجلكِ..."

لم تقل ذلك كسؤال، فآثرتُ الصمت. إذ كان راسل قد زعم أنّه ينوي ترك ماريبث، لكنّني لم أعد واثقة من نواياه؛ فقد خذلني في النهاية.

قلت أخيرًا، على أمل التخفيف عنها: "كان يحبّكِ كثيرًا".

فصرخَت: "إذًا، لماذا خانني معك؟"

حاولتُ الحفاظ على هدوئي، مع أنّ قلبي كان يخفق بعنف: "اسمعي، كان يريد العودة إليكِ، فقد شعر بالندم. لو أنّكِ لم..."

حين حدّقَتْ إليّ ماريبث بعينيها اللتين تشعّان غضبًا، ذكّرتُ نفسي بأنّ هذه المرأة قتلت زوجها للتوّ، أي إنّها لم تكن تسعى إلى استعادته؛ بل كلّ ما يشغلها هو الانتقام.

تابعَت وهي تحدّق إليّ بنظرات جليدية: "ودوغ... أنتِ قتلته، أليس كذلك؟ أنتِ وراسل؟"

هممت بالإنكار، لكنّني رأيت نظرة عينيها، وأدركتُ أنّ الإنكار لن يُجدي نفعًا، فاعترفتُ قائلة: "نعم، فعلتُ".

عندئذٍ، رقّت عيناها وامتلأتا بالدموع، ثمّ قالت: "كان دوغ غاريك رجلًا طيّبًا، لا بل من أفضل الرجال. كان أخًا بالنسبة إليّ".

"أعرف... وأنا آسفة".

صرخَت: "آسفة! أنت لم تزاحميه في طابور السينما، بل قتلته! لقد مات الرجل بسببكِ!"

فعضضتُ على شفتي، خشية أن أنطق بكلمة أخرى تزيد الطين بلّة. كانت ماريبث تستشيط غضبًا؛ فقد خنتها مع زوجها، وقتلت أعزّ أصدقائها. لكنّ هذا لا يعني أنّني أستحقّ أن أموت هنا على يديها.

كان عليّ أن أجد مَخرجًا.

وقع نظري على السكّين في يدها اليمنى. كانت موضوعة على حجرها، ولا تزال ملوّثة بدماء راسل؛ تلك الدماء المنتشرة في كلّ مكان. هل أملك فرصة ولو ضئيلة لانتزاعها منها؟ ففي النهاية، لم تكن ماريبث في قمّة لياقتها البدنية.

سألتها بحذر: "ماذا تريدين منّي؟"

فمدّت يدها إلى جيب معطفها، وأخرجت ورقة بيضاء، ثمّ فتّشت قليلًا حتّى وجدت قلمًا، ودفعت بهما نحوي على الطاولة.

قالت: "أريدكِ أن تكتبي اعترافًا".

استبدّ بي الذعر، لكنّني اضطررتُ إلى كبحه. "ماذا؟"

ردّت بحدّة: "كما سمعتِ. اكتبي كلّ شيء؛ كيف أغويتِ راسل، وكيف تآمرتما لقتل زوجكِ. فأنا أريد اعترافًا كاملًا".

"حسنًا..." لم أكن راغبة في فعل ذلك، لكنّني رأيتُ ما فعلَته براسل، وخشيتُ أن ألقى المصير نفسه...

"هيّا!"

لم تتوقّف يداي عن الارتجاف وأنا أخطّ كلماتي على الورقة البيضاء التي تلوّثت الآن ببصمات أصابع قرمزية. لم أكن أعلم تمامًا ما تريد منّي كتابته، فحاولتُ أن أُبقِي النصّ بسيطًا. في الواقع، هذا لا يهمّ كثيرًا؛ لأنّ أيّ شيء يُكتَب تحت التهديد بسكّين لا يُعتدّ به أمام المحكمة.

إلى من يهمّه الأمر،

كنت على علاقة غرامية براسل سايموندز طوال الأشهر العشرة الماضية. وقد أقدمنا معًا على قتل زوجي، دوغلاس غاريك.

تأمّلتُ ملامح وجهها التي لم تكشف عن شيء، ثمّ سألتها: "أهذا ما تريدينه؟"

قالت: "نعم، لكنّ مهمّتك لم تنتهِ بعد".

"ماذا تريدين منّي أن أكتب أيضًا؟"

"اسمعي ما عليك كتابته"، ثمّ نقرت على الورقة بظفرها الطويل وقالت: "لم أعد أحتمل الشعور بالذنب".

فخربشتُ الجملة بخطّ شبه مَقروء بسبب ارتجاف يديّ الشديد. فجأة، تشوّشت رؤيتي، ولم أتمكّن من متابعة الكتابة، لكن بعد ثوانٍ، استعدت تركيزي.

تابعت قائلة: "لذا، قرّرتُ هذه الليلة أن أُنهي حياتينا معًا".

فتوقّفت عن الكتابة، وسقط القلم من بين أصابعي التي اجتاحها الخدر. "ماريبث..."

"اكتبي!"

رفعَت السكّين وقرّبَتها من وجهي، فأغمضت عينيّ قليلًا، وتذكّرت الجرح المفتوح في حلق راسل. يا إلهي! هذه المرأة لا تمزح. فكتبتُ الجملة الأخيرة من اعترافي.

قالت ماريبث: "والآن، وقّعي اسمك".

فما كان منّي إلّا أن نفّذتُ طلبها؛ فأنا لست في موقف يسمح لي بالرفض.

أخذَت اعترافي المُوقَّع وقرأته بعناية، لكنّها أبقت عينًا عليّ في الوقت نفسه، ثمّ قالت: "هذا جيّد".

أدركتُ حينذاك ما سيحدث لاحقًا. إذ كان الاعتراف ينتهي بقولي إنّني قرّرت وضع حدّ لحياتي، وهذا يعني أنّها ستقتلني قبل انتهاء هذه الليلة. سبّبت لي الفكرة دوارًا شديدًا، ومع أنّ تلك المرأة كانت تهدّدني بسكين، إلّا أنّني هُرعت إلى حوض الجلي لأتقيّأ، فتركتني أذهب.

انحنيت فوق المغسلة، وواصلت التقيّؤ حتّى بعد أن أفرغتُ ما في جوفي. فصُبِغ الحوض باللون الأحمر بفعل الشراب الذي تناولته سابقًا. سمعت صرير الكرسي الخشبي خلفي، وسرعان ما أصبحت ماريبث واقفة بجانبي عند الحوض.

فتوسّلتُ إليها قائلة: "أرجوكِ، لا تفعلي ذلك".

أمالت رأسها وقالت: "أليس هذا ما فعلتِه بدوغلاس؟ ألا تعتقدين أنّكِ تستحقّين المصير نفسه؟"

كان الوضع مع دوغلاس مُختلفًا؛ فقد عاملني بطريقة مُريعة، ولم يكن لديّ خيار آخر. وحتّى بعد موته، استمرّ بتعذيبي من خلال وصيّته. يا إلهي! كيف سأتمكّن من الطعن في تلك الوصيّة السخيفة؟ لكنّني سأفكّر في الأمر بعد خروجي من هنا. أوّلًا، عليّ إقناع هذه المرأة بالتراجع عن جنونها.

قلت: "جميعنا نرتكب الأخطاء. أنا أشعر بندم شديد على ما فعلته، وسيتحتّم عليّ العيش مع هذا الندم طيلة حياتي".

قالت ببرودة: "هذا ليس كافيًا".

شعرتُ بانقباض في صدري، كما لو أنّ شيئًا ما يعتصره، وسألتها: "ألن يكفي أن أُسجن بقيّة حياتي؟"

أجابت: "كلّا، بل تستحقّين الأسوأ لأنّك امرأة حقيرة، وينبغي أن يكون موتك بطيئًا ومُؤلِمًا".

انقبض صدري أكثر. "وماذا سيحدث برأيك؟ هل تعتقدين أنّ الشرطة ستصدّق أنّني طعنت نفسي حتّى الموت؟ فالنّاس لا يفعلون ذلك عادة، ومن المؤكّد أنّهم سيعرفون أنّني تعرّضت للقتل".

صمتت ماريبث هنيهة، ثم قالت: "أنتِ مُحِقّة؛ لن يصدّقوا أنّك انتحرت إذا طعنتك".

عندئذٍ، تنفستُ الصعداء، فقد بدأت هذه المرأة تصغي إلى المنطق أخيرًا: "بالضبط".

"لهذا السبب، لن تموتي بهذه الطريقة".

باغتتني موجة أخرى من الغثيان، حتّى كدت أنهار أرضًا. "ماذا؟ ماذا تعنين؟"

هل تملك سلاحًا آخر هنا؟ أهو مسدس؟ أم عصا حديدية؟ ماذا ستفعل بي؟

قالت: "هل سمعتِ يومًا عن دواء يُدعى ديجوكسين؟"

ديجوكسين؟ لماذا يبدو لي الاسم مألوفًا؟

فجأة، تذكّرت. فقد كان دوغلاس يتناول دواء الديجوكسين من أجل قلبه، ولا بدّ أنّ ماريبث تحتفظ بنسخة عن مفاتيح منزل لونغ آيلاند الذي كان يخزّن فيه أدويته.

تابعت تقول: "الجرعة الزائدة من الديجوكسين خطِرة للغاية. إذ تبدأ الأعراض بالغثيان، والدوار، وتشنّجات بطن رهيبة، فضلًا عن رؤية ضبابية. وهي أعراض مُؤلِمة للغاية. وبعد ذلك، يضطرب نبض القلب بشكل مُميت، وهذا ما يؤدّي إلى الوفاة".

قلت لها ببطء: "إذًا، أتريدين منّي ابتلاع حفنة من أقراص الديجوكسين؟"

إن كانت تطلب إليّ ابتلاع الأقراص، فعليّ أن أجد طريقة للتهرّب من ذلك. فبإمكاني وضعها تحت لساني، ومن ثمّ بصقها عندما تتسنّى لي الفرصة. إذ لا يمكنها إجباري على ذلك.

غير أنّها ابتسمت قائلة: "لقد ابتلعتِه بالفعل يا ويندي".

يا إلهي! الشراب!

اندفعتُ إلى الحوض مُجدَّدًا، مُحاوِلة التقيّؤ، لكن لم يخرج شيء من جوفي. وفي اللحظة نفسها، انقبضت معدتي في تشنّجات مُؤلِمة دفعت الدموع إلى عينيّ. فانزلقتُ أرضًا، وأنا قابضة على بطني.

جثَت ماريبث بجانبي وقالت: "لستُ متأكدة كم من الوقت سيستغرق الأمر... ساعة، أم ساعتين؟ لكنْ لا داعي للعجلة، فما من أحد سيبحث عنّا هنا".

نظرتُ إليها، بينما كانت ملامحها تتّضح وتتلاشى، وقلت مُتوسّلة: "أرجوكِ، خذيني إلى المستشفى".

"لا أعتقد".

"أرجوكِ... ارفقي بي..."

"أمثلما رفقتِ بدوغلاس؟"

مددتُ يدي، لكنّ أصابعي لم تبلغ ساق بنطالها. فعندما حاولت الإمساك بها، شعرتُ أنّ يدي لم تعد تطاوعني. "سأفعل ما تريدينه، سأعطيكِ كلّ ما تطلبينه، أعدك".

فقالت: "وأنا أعدكِ بأن يكون موتك بطيئًا ومُؤلِمًا. وعلى عكسكِ، أنا لا أخلف وعودي".

الفصل الثالث والسبعون

ميلي

حان الوقت لمواجهة الواقع.

نمتُ الليلة الماضية في سيارة إنزو. فقد كنت أعلم أنّ الشرطة تملك مذكّرة توقيف بحقّي، ولم أكن مُستعِدّة للعودة إلى السجن. لذا، اختبأت. ركنت السيّارة في زقاق مظلم، ونمت على المقعد الخلفي. في السابق، كنت أعيش في سيّارتي، ولم تكن تجربة النوم على المقعد الخلفي جديدة بالنسبة إليّ.

أدركت أيضًا أنّني لا أستطيع النوم باستمرار على المقعد الخلفي لسيّارة إنزو. لهذا السبب، كان عليّ تسليم نفسي، على أمل ظهور الحقيقة في النهاية.

هكذا، عندما توقّفتُ أمام مبنى شقّتي، كنت أتوقّع أن أجد نصف رجال الشرطة مُتمرَكِزين هناك، بانتظاري. لكنْ بدلًا من ذلك، لم أرَ سوى سيّارة شرطة واحدة. ومع ذلك، كنت أعلم أنّها أتت من أجلي.

بالفعل، ما إن ترجّلت من سيّارة إنزو المازدا، حتّى قفز شرطيّ شابّ من سيّارة الدوريّة، وسألني: "هل أنت ويلهيلمينا كالواي؟"

فأجبته مُؤكِّدة: "نعم".

وحضّرت نفسي لسماع العبارة المُعتادَة: ويلهيلمينا كالواي، أنتِ قيد الاعتقال، لكنّه لم يقلها. "هلّا تفضّلت بالحضور معي إلى مركز الشرطة؟"

"هل أنا قيد الاعتقال؟"

هزّ رأسه نافيًا. "ليس على حدّ علمي. يرغب المحقّق راميريز في التحدّث إليكِ، لكنّكِ لستِ مُلزَمة بالحضور".

حسنًا إذًا، هذه بداية جيّدة.

صعدت إلى المقعد الخلفيّ لسيّارة الدورية. كنتُ قد أبقيت هاتفي مُطفأً طوال الليل، لكنّني شغّلته الآن. وجدت بعض المكالمات الفائتة من قسم شرطة نيويورك، وعشرين مكالمة

فائتة من إنزو. لا شكّ في أنّه أدرك أنّني أخذت سيّارته. لا حاجة إلى الاستماع إلى الرسائل الصوتية، لذا فتحت قائمة الرسائل النصّية التي أرسلها إليّ.

أين أنتِ؟
هل أخذتِ سيارتي؟
لقد أخذتِ سيارتي!
أرجوكِ عودي وأعيدي السيارة. فلنتحدث.
لا تذهبي إلى الكوخ!
أين أنتِ؟ أنا قلق جدًّا.
أرجوكِ عودي. لا تذهبي إلى الكوخ. أحبّكِ.
سيكون كلّ شيء على ما يرام. عودي.

واستمرّت الرسائل على هذا النحو.
واصل إنزو إرسال الرسائل طوال الليل. لقد أمضى نصف الليلة قلقًا عليّ، وكنت مدينة له بتفسير، أو على الأقلّ بإعلامه أنّني بخير. لذا أرسلت له رسالة قصيرة:

أنا بخير. وأنا الآن على المقعد الخلفي لسيّارة شرطة. لست قيد الاعتقال. سيّارتك مركونة أمام مبنى شقتي.

فأتاني ردّ إنزو على الفور، كأنّه كان يحدّق إلى هاتفه مُنتظِرًا رسالتي:

أين كنتِ؟!

أجبته:

لقد نمت في السيّارة. كلّ شيء على ما يرام.

ظهرت ثلاث نقاط تدلّ على أنّه يطبع ردًّا، فتوقّعت أن يكتب لي أنّه يحبّني أو أنّه كان قلقًا، أو حتّى أن يوبّخني على سرقة سيّارته. لكنْ بدلًا من ذلك، كتب شيئًا غير مُتوَقَّع إطلاقًا:

ويندي غاريك ماتت. رأيت الخبر على التلفاز.

ماذا؟! كيف؟!

لقد انتحرت.

الفصل الرابع والسبعون

لم تبدُ لي غرفة الاستجواب مُخيفة كما في المرّة السابقة.

وبينما كنت في سيّارة الشرطة، رحت أقرأ كلّ خبر استطعت العثور عليه عن انتحار ويندي غاريك. على ما يبدو، قامت بذبح صديقها، ثم ابتلعت كمّية من الأقراص. حتّى إنّها تركت رسالة انتحار.

أضافت هذه الحادثة بُعدًا جديدًا تمامًا إلى ما جرى مع دوغلاس غاريك.

كنتُ جالسة في الغرفة منذ نحو نصف ساعة حين دخل المحقّق راميريز أخيرًا. كان لا يزال تعبيره جادًّا، لكنّه لم يعد يبدو مُخيفًا كما في السابق. في الواقع... بدا حائرًا.

قال وهو يجلس على الكرسي المقابل لي: "مرحبًا، آنسة كالواي".

أجبته: أهلًا حضرة المحقّق".

قطّب جبينه وسألني: "هل سمعتِ بما حدث لويندي غاريك؟"

"سمعت؛ فقد ذاع الخبر".

"عليك أن تعرفي أنّ ويندي اعترفت أيضًا - في رسالة انتحارها - بجريمة قتل السيّد غاريك".

سمحت لنفسي بابتسامة صغيرة جدًّا. "إذًا، لم أعد موضع شبهة، أليس كذلك؟"

اتّكأ إلى الوراء على كرسيه البلاستيكي الذي صرّ تحت وزنه. "في الحقيقة... أنتِ لم تعودي موضع شبهة منذ فترة. فقد اكتشفنا وجود كاميرا عند المدخل الخلفي، لم يكن أحد يعلم بوجودها. وعندما راجعنا تسجيلاتها، تبيّن أنّك لم تكوني يومًا في المبنى مع السيّد غاريك في الوقت نفسه".

"هذا صحيح، فقد لفّقت لي ويندي التهمة".

كانت ثمّة كاميرا طوال هذا الوقت. عانيت من كلّ ذلك الذعر والتوتّر خلال اليومين الماضيين... في حين أنّ دليل براءتي كان موجودًا.

أومأ برأسه مُؤيِّدًا: "هذا ما يبدو. لذا، أودّ الاعتذار منك. يمكنك أن تتفهّمي سبب ظنّنا أنّكِ المسؤولة عن الجريمة".

"بالتأكيد. لديّ سجلّ إجرامي، لذا، إن وقعت جريمة، فلا بدّ أن أكون أنا الفاعلة".

عندئذٍ، احمرّ وجه راميريز خجلًا، وقال: "أعترف أنّني تسرّعت بالاستنتاجات، لكن عليكِ أن تُقرّي أنّ الأدلة لم تكن في صالحك. كما أنّ ويندي غاريك كانت مُصرَّة جدًّا على أنّك الجانية".

كان مُحِقًّا، فقد أحكمت ويندي تلفيق تهمتها. لكن، لو كانت أذكى قليلًا، لما اضطرّت إلى فعل ذلك أساسًا. ففي النهاية، لقد صعّبت ويندي غاريك الأمور على نفسها أكثر ممّا ينبغي، وكان بإمكانها أن تتعلّم منّي الكثير.

غير أنّ هذه التجربة جعلتني أشعر بالمرارة. فقد ساعدتُ العديد من النساء على مرّ السنين، ومع أنّ الأمور لم تكن سلسة طوال الوقت، إلّا أنّني كنت أشعر دائمًا أنّني أحارب في سبيل الخير. ولم أتردّد يومًا في مساعدة امرأة لجأت إليّ.

أمّا الآن، فبدأت أشعر بالتردّد؛ إذ بدت ويندي وكأنّها ضحيّة بالفعل. لذا، سيكون من الصعب عليّ أن أثق مجدّدًا بامرأة تطلب مساعدتي بعد هذه التجربة. وهذا أسوأ ما فعلَته بي ويندي.

سألتُ راميريز: "إذًا، لم أعد مُشتبَهًا بها، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح. فبالنسبة إليّ، القضيّة أُغلِقت".

لقد مات دوغلاس، وباتت الشرطة تعرف أنّ ويندي هي المسؤولة عن مَقتَله. كما ماتت ويندي، ولا حاجة إلى التحقيق، أو إلى مزيد من الاعتقالات أو المحاكمات.

أنا حرّة.

"إذًا، لا أفهم سبب وجودي هنا".

ابتسم راميريز بخجل. "في الواقع... اتّضح أنّك تملكين سمعة".

"سمعة!" وشعرت بمعدتي تنقبض؛ فهذا لا يبشّر بالخير.

"سمعة كبطلة".

"عذرًا!"

"أنا أعرف أنّك كنت تحاولين مساعدة السيّدة غاريك، تمامًا كما ساعدت نساءً أخريات من قبل. وأريدك أن تعرفي أنّنا نقدّر ذلك. فنحن نرى الكثير من الفظائع هنا، وأحيانًا نصل إلى الضحايا مُتأخِّرين".

أصابتني كلماته في الصميم؛ فلطالما حاولت أن أفعل المستحيل قبل فوات الأوان. وأينما أخذتني الحياة، سواء أكنت عاملة منزلية أم عاملة اجتماعية، فسأبذل ما في وسعي لإنقاذ كلّ امرأة تحتاج إلى المساعدة. تمتمتُ قائلة: "أنا أفعل ما أستطيع بالإمكانيات المتاحة".

فابتسم وقال: "أفهم ذلك، وأريدك أن تعلمي أنّه بإمكانك أن تُعِدّيني واحدًا من تلك الإمكانيّات. هذه بطاقتي، وإذا صادفتِ يومًا امرأة في خطر، اتّصلي بي فورًا. وأعدك أنّني سأصدّقك هذه المرّة".

ومرّر بطاقته على الطاولة، فالتقطتُها وأنا أحدّق إلى اسمه؛ بينيتو راميريز. أخيرًا، أصبح لديّ صديق في جهاز الشرطة، هذا لا يصدَّق.

سألته ممازحة: "أودّ أن أستوضح أمرًا، أنت لا تلاحقني عاطفيًّا، أليس كذلك؟"

فانفجر ضاحكًا وأجاب: "كلّا، فأنا أكبر منك سنًّا بكثير. كما أعتقد أنّك مُرتبِطة بذاك الإيطالي الذي جاء إلى المركز أمس، وأحدث ضجّة كبيرة دفاعًا عنك، مُؤكِّدًا أنّنا نلاحق الشخص الخطأ. كان مُصمِّمًا على عدم المغادرة قبل أن نصغي إليه، حتّى كدنا نضطرّ إلى اعتقاله".

ابتسمتُ قائلة: "أحقًّا؟"

"أجل. في الحقيقة، هو لا يزال في غرفة الانتظار حتّى الآن، ويرفض المغادرة قبل أن يراكِ".

لم تفارق الابتسامة وجهي، ولم أحاول كبحها وأنا أجيبه: "حسنًا. إذًا، أعتقد أنّني سأذهب".

وعندما نهضت من مكاني، نهض هو الآخر، وصافحني بحرارة، ثم خرجتُ لملاقاة إنزو، والعودة أخيرًا إلى المنزل.

الخاتمة

ميلي

بعد مرور ثلاثة أشهر

لا أفهم أين كان إنزو يُخفي هذا الكمّ الهائل من الأغراض في شقّته الصغيرة.

فقد دخل شقّتي حاملًا ما بدا لي وكأنّه الصندوق المليون، ووضعه فوق صندوق آخر. حسنًا، لم يكن عذابًا أن أراقب عضلات ذراعيه وهي تنتفخ تحت قميصه أثناء حمله الصناديق، لكن علامَ تحتوي كلّ هذه العلب؟ فالرجل لا يرتدي سوى سبعة أو ثمانية قمصان قطنيّة وسروالين من الجينز، ماذا يملك بعد؟

سألته وهو يمسح العرق عن جبينه: "أهذا كلّ شيء؟"

"كلّا، بل ثمّة صندوقان آخران".

"صندوقان آخران!"

كنت بدأت أندم على هذه الخطوة. حسنًا، ليس حقًّا. فبعد انفصالي عن بروك، أكملنا أنا وإنزو من حيث توقّفنا قبل رحيله إلى إيطاليا. وهذه المرّة، كنّا نعرف تمامًا أنّ كلًّا منّا لا يستطيع العيش من دون الآخر. لذا، عندما أشار إنزو إلى أنّه يبدّد أمواله عبثًا على الإيجار بينما يقضي كلّ وقته عندي، سارعت إلى دعوته للانتقال إلى شقّتي.

يا للمفارقة! فحين تكون العلاقة صحيحة، يشعر المرء بذلك.

قال إنزو: "صندوقان صغيران لا أكثر".

"همم". لم أصدّقه بالتأكيد، وذلك لأنّ تعريفه للصندوق الصغير هو أنّ وزنه يقلّ عن وزني!

ابتسم لي وقال مُعتذِرًا: "آسف لأنّني أتسبّب لك بهذا الإزعاج".

في الواقع، لم يكن يزعجني على الإطلاق. لا، بل لولاه، لما تمكّنت من البقاء في هذه الشقّة. فقد كانت السيّدة راندال لا تزال مُصمِّمة على طردي، حتّى بعد أن ثبتت براءتي بالكامل، لكنّ إنزو ذهب وتحدّث إليها، وفجأة أصبحَت سعيدة ببقائي. إنّه حقًّا ساحر.

اقترب إنزو منّي وعانقني. ومع أنّه كان مُتعرِّقًا قليلًا نتيجة حمل الصناديق، إلّا أنّني لم أكترث.

قال أخيرًا: "حسنًا، سأذهب لأحضر الصندوقين الأخيرَين".

فتأوّهتُ وأنا أراقبه يُغادر. كان عليّ أن أساعده لاحقًا في فرز كلّ هذه الأغراض والتخلّص من الكثير منها، كما كنت أخطّط لإفراغ بعض الأدراج اليوم.

لم تكد تمضي بضع دقائق على ذهابه، حتّى رنّ جرس الباب في الأسفل. كان إنزو قد ذكر أنّه سيطلب بيتزا للعشاء، لكنّني لا أظنّ أنّه طلبَها بعد. لذا، كان ثمّة شخص واحد يمكن أن يكون بالأسفل. فضغطت على زرّ لأسمح له بالدخول.

بعد دقيقة، سمعت طرقًا على الباب، فحملت الصندوق الذي كان موضوعًا على سريري بيد واحدة وتوجّهت به إلى غرفة المعيشة، ثمّ فتحت الباب باليد الأخرى.

كان بروك واقفًا هناك. وكعادته، كان يرتدي إحدى بدلاته الأنيقة، فيما كان شعره مُصفَّفًا بإتقان، وأسنانه تلمع من شدّة بياضها. كانت تلك هي المرّة الأولى التي أراه فيها منذ ثلاثة أشهر، بحيث شعرت وكأنّني نسيت مدى وسامته.

أنا واثقة من أنّه سيُسعِد امرأة أخرى يومًا ما، لكنّني لن أكون تلك المرأة.

قال: "مرحبًا، هل جهّزتِ أشيائي؟"

فناولته الصندوق قائلة: "إنّها هنا".

إذ بينما كنت أرتّب المكان لاستقبال إنزو، لاحظتُ أنّ أحد الأدراج لا يزال يحتوي على ملابس وأغراض تركها بروك عندي. في البداية، فكّرت في التخلّص منها، لكنّني تذكّرت كيف نبّهني عندما كانت الشرطة بصدد إصدار مذكرة اعتقال بحقّي، فقرّرت الاتّصال به وسؤاله عمّا إذا كان يريد استرجاعها، فأجاب بأنّه سيمرّ لأخذها في اليوم التالي.

قال: "شكرًا، ميلي".

"على الرحب والسعة".

تردّد قليلًا عند الباب، ثم قال: "تبدين بخير".

يا إلهي! هل سنلعب هذه اللعبة؟

أجبت: "شكرًا، وأنت أيضًا". وبما أنّني لم أستطِع تمالك نفسي، سألته: "هل من امرأة جديدة في حياتك؟"

فهزّ رأسه مُجيبًا: "ليس حقًّا".

لم يطرح عليّ السؤال نفسه، وحمدت الله على ذلك. فبعد كلّ المرّات التي رفضتُ فيها الانتقال إلى شقّته، سيكون من المؤلم إخباره أنّني وإنزو سنقيم تحت سقف واحد. وعلى الرغم

من الطريقة التي انتهت بها علاقتي مع بروك - عندما تركني في مركز الشرطة - إلّا أنّني أعلم أنّه أحبّني بصدق، أكثر بكثير ممّا أحببته.

قال وهو ينقل الصندوق من ذراع إلى أخرى: "حسنًا... أتمنّى لك التوفيق في... كلّ شيء".

"وأنت أيضًا، أراك لاحقًا". لا أعرف لماذا قلت ذلك، فعلى الأرجح، لن أراه مجدّدًا.

كنت على وشك إغلاق الباب، حين مدّ بروك يده ليوقفني قائلًا: "آه، ميلي".

"ماذا؟"

هزّ الصندوق بين ذراعيه، ونظر إلى محتوياته، ثم أعاد النظر إليّ قائلًا: "هل عبوة أقراصي الإضافية موجودة هنا؟"

شعرت بأصابعي تغوص في راحة يدي: "ماذا؟"

أوضح قائلًا: "عبوة الديجوكسين الاحتياطية، تلك التي كنت أحتفظ بها في خزانة الأدوية عندما أنام هنا، ألا تزال بحوزتكِ؟ كنت آخذها معي في أسفاري".

شددت قبضتيّ أكثر، وأجبت: "امم... لا، لم أرها في الخزانة. لا بد أنّني تخلّصت منها، أنا آسفة".

فلوّح بيده قائلًا: "لا تقلقي، يكفيني أنّكِ لم تتخلّصي من قميص يايل".

ثمّ رفع يده مُودِّعًا للمرّة الأخيرة. وبينما كان يغادر، لم أغلق الباب فورًا، بل وقفت أراقبه وهو ينزل السلّم، حابسة أنفاسي طوال الوقت. ولم أتنفّس الصّعداء، إلّا بعد أن اختفى عن ناظريّ.

لم أكن أظنّ أنّه سيتذكّر عبوة الأقراص التي تركها في خزانة الأدوية، لكنّني لم أنسَها بالتأكيد. فحين وجدتها للمرّة الأولى هناك أثناء فترة مواعدتنا، أجريت بحثًا عن الدواء لأعرف المزيد عن حالة صديقي الصحّية. وهكذا اكتشفت أنّ تناول جرعات كبيرة من الديجوكسين قد يؤدي إلى اختلالات قاتلة في نبض القلب. كانت معلومة خزّنتها في ذهني آنذاك.

على الرغم من خطورة الديجوكسين، إلّا أنّه دواء شائع الاستعمال لعلاج أمراض القلب، إلى حدّ أنّ دوغلاس غاريك نفسه كان يتعاطاه بسبب إصابته بالرجفان الأذيني. لكنّ الأقراص التي تناولَتها ويندي غاريك وتسبّبت في وفاتها لم تكن من مخزون دوغلاس؛ كما افترضَت الشرطة.

فبعد أن أخذتُ مفاتيح سيّارة إنزو - حين سمعت أنّهم على وشك إصدار مذكّرة توقيف بحقّي - لم أقصد الكوخ في الغابة كما كنت أنوي، بل وفيت بوعدي لإنزو. وبدلًا من ذلك، قدت السيّارة إلى مانهاتن، وذهبت إلى شقّة ماريبث - زوجة راسل سايموندز، التي كانت أيضًا موظّفة لدى دوغلاس غاريك الحقيقي - وعرّفتُها بنفسي.

تبيّن أنّ ماريبث امرأة لطيفة للغاية. كانت محطّمة الفؤاد بسبب وفاة مديرها، وقد أحسستُ بالذنب لاضطراري إلى كشف حقيقة زوجها أمامها. غير أنّها شعرت بتحسّن كبير بعد أن خضنا حديثًا مُطوّلًا. وعندما تذكّرَت بوليصة التأمين الضخمة على الحياة التي كان راسل قد اشتراها قبل سنوات، قرّرت أن تقوم برحلة علاجية صغيرة إلى الكوخ وسط الغابة.

أمّا أنا، فمضيت في طريقي، ولم يكلّفني الأمر سوى زجاجة ديجوكسين.

والمفارقة أنّه لو دسّت ويندي لزوجها جرعة زائدة من دوائه، لقتلته تلك الجرعة على الأرجح من دون أن يتمكّن أحد من الإثبات أنّ الأمر لم يكن مجرّد حادثة، ولوفّرت على نفسها الكثير من العناء.

غير أنّها اتخذت بدلًا من ذلك قرارًا سيّئًا للغاية، واستهانت بشخص في غاية الخطورة.

لقد استهانت بي، ودفعت الثمن غاليًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«لا تدخلي غرفة الضيوف». أظلم وجه دوغلاس غاريك وهو يلمس الباب بأطراف أصابعه، قبل أن يتابع قائلًا: «فزوجتي... مريضة جدًا». وبينما كان يواصل جولته ليعرّفني على شقّة «البنتهاوس» الرائعة التي يقطنان فيها، انتابني شعور مخيف تجاه المرأة المختبئة خلف الأبواب المغلقة. غير أنّني لا أستطيع المجازفة بخسارة هذه الوظيفة، ليس إذا أردت إبقاء سرّيّ الدفين طيّ الكتمان...

في الواقع، ليس من السهل إيجاد صاحب عمل لا يطرح كثيرًا من الأسئلة حول ماضيّ. لذا، حمدتُ الله عندما ابتسم لي حظّي العاثر أخيرًا وعثرت على عمل. كانت الوظيفة لدى آل غاريك تقوم على تنظيف شقّتهما المذهلة المطلّة على المدينة، وتحضير الوجبات الفاخرة في مطبخهما الحديث. لذا، قرّرت العمل لديهما لبعض الوقت، والتزام الصمت.

كان كلّ شيء شبه مثالي، غير أنّني لم ألتقِ بالسيّدة غاريك بعد، ولم أدخل غرفة الضيوف. لكنّني كنت أسمع بكاءها من حين إلى آخر، وألمح بقع دم حول ياقات قمصان نومها البيضاء وأنا أغسل الملابس. وذات يوم، طرقتُ رغمًا عنّي باب تلك الغرفة الغامضة. وعندما انفتح الباب بلطف، رأيتُ خلفه ما غيّر كلّ شيء...

حينذاك، قطعت عهدًا على نفسي. ففي النهاية، سبق لي أن فعلت ذلك من قبل. كان بوسعي حماية السيّدة غاريك، من دون أن أفضح أسراري. فقد أخطأ دوغلاس غاريك، وعليه أن يدفع الثمن؛ لكن إلى أيّ مدى كنت مستعدة للذهاب؟

تُعدّ هذه الرواية المشوّقة والمليئة بالمفاجآت تكملة للظاهرة العالمية «الخادمة The Housemaid»، الأكثر مبيعًا بحسب نيويورك تايمز ويو إس إيه توداي وول ستريت جورنال وأمازون، ولا شكّ في أنّها ستأسرك بين صفحاتها حتّى ساعة متأخّرة من الليل! وكلّ من أحبّ «الزواج المثالي The Perfect Marriage» لجينيفا روز، و«المرأة في النافذة The Woman in the Window»، و«الفتاة المفقودة Gone Girl»، سيُولع بها!

يمكن قراءة هذه الرواية بشكل مستقلّ أيضًا، من دون الحاجة إلى قراءة الجزء الأول.

فريدا مكفادين، المؤلّفة التي تصدّرت قوائم نيويورك تايمز وأمازون تشارتس ويو إس إيه توداي، هذا فضلًا عن وول ستريت جورنال وواشنطن بوست وصنداي تايمز وبابليشرز ويكلي، هي طبيبة متمرّسة متخصّصة في إصابات الدماغ، ألّفت الكثير من روايات التشويق النفسية وروايات الكوميديا الطبية. اختيرت أعمال فريدا ضمن أفضل كتب العام حسب محرّري أمازون، وفازت بجائزة الكتّاب العالميين لأدب التشويق لأفضل رواية مطبوعة بغلاف ورقي، كما فازت بجائزة اختيار القرّاء على موقع Goodreads. وقد تُرجمت رواياتها إلى أكثر من أربعين لغة. تعيش فريدا مع عائلتها وقطّتها السوداء في منزل قديم مكوّن من ثلاثة طوابق يطلّ على البحر، سلالمه تصرّ وتئنّ مع كل خطوة... ولا أحد يسمع صراخكم هناك، إلّا إذا صرختم بصوت عالٍ جدًا، ربّما...

للمزيد عن الكاتبة، يمكنكم زيارة موقعها الإلكتروني: freidamcfadden.com

مكتبة
t.me/soramnqraa

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com

شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
Arab Scientific Publishers
السجل التجاري 1010921463